



القســم الأدبي



نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويريّ

السّـــفر الرابـــع

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٥

الطبعة الثانية بمطبعـة دار الكتب المصرية

فهرس

السفر الرابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

صفحة

السفر الرابع

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثانى

(فى المجون والنوادر والفُكاهات والمُلَح)

وهذا الباب مما تنجذب النفوس اليه ، وتشتمل الخواطر عليه ؛ فإن فيه راحةً للنفوس إذا تعبت وكلّتْ ، ونشاطًا للخواطر إذا سئمت وملّت ؛ لأن النفوس لاتستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال . فإذا عاهدتها بالنوادر فى بعض الأحيان ، ولاطفتها بالفكاهات فى أحد الأزمان ، عادت إلى العمل الجدّ بَنْشطة جديدة ، وراحةٍ فى طلب العلوم مديدة .

وقد رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلّت عميت » .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أجِمُّوا[1] هذه القلوب والتمسوا لها طرق الحكمة ، فإنها تَمَلّ كما تملّ الأبدان ، والنفس مؤثِرة للهوى ، آخذة بالهوينى ، جانحة إلى

---

(١) أى أريحوها من تعبها .

اللهو، أمّارة بالسوء، مستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل؛ فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه. وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه.

وقال هشام بن عبد الملك: قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعما، وشممت الطّيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالى أمرأةً أتيتُ أم حائطا؛ فما وجدت شيئا ألذّ إلىّ من جليس تسقط بيني وبينه مئُونة التحفُّظ[2].

وقال أحمد بن عبد ربه: المُلَح نُزهة النفس، وربيع القلب، ومَرْتَع السمع، ومجلب الراحة، ومَعدِن السرور. وقال أيضا: إن فى بعض الكتب المترجمة أن يوحنّا وشمعون كانا من الحَوَارِيِّين، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك مَن حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله. فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك قد فرغت من عملك! فقال له يوحنا: ما أكثر بكاك! كأنك قد يئست من ربك. فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أنّ أحبّ السيرتين إلىّ سيرة يوحنا.

والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا: هو ضحوك السنّ، بسّام العشيّات[3]، هَشٌّ الى الضيف. وإذا ذمّته قالت: هو عَبوس الوجه، جَهْم المُحَيّا، كريه المنظر، حامض الوجه "كأنما وجهه بالخل منضوح". وكأنما أُسعِط خيشومه بالخردل.

وقيل لسفيان: المزاح هُجْنة؛ فقال: بل سُنّة، لقوله عليه الصلاة والسلام: « إنى لأمزح ولا أقول إلا الحق »، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) كذا فى العقد الفريد. وفى الأصل: « فان أكرهتها أنصبتها، وإن أهملتها أدبتها ».
(٢) فى الأصل: « مروءة التحفظ ».
(٣) فى العقد الفريد: « بسام الثنيات ».

ذكر مُزَاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم لرجل آستحمله : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار : « اِلحَقِي زوجَك ففى عينه بياضٌ » . فسنعتِ المرأة نحو زوجها مرعوبة؛ فقال لها : مادهاكِ ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ فى عينك بياضا؛ فقال : إن فى عينى بياضا لا لسوء . وأتته عجوز أنصاريّة فقالت : يارسول الله، آدع لى بالمغفرة . فقال لها : « أمَا علمتِ أنّ الجنة لايدخلها العُجُز» ! فصرخت؛ فتبسّم صلى الله عليه وسلم وقال لها : " أمَا قرأتِ ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ".

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أعرابىّ قد صلى صلاة خفيفة ، فلما قضاها قال : اللهم زوّجنى بالحورِ العينِ ؛ فقال عمر : ياهذا ! أسأت النّقْد، وأعظمت الخِطْبة .

ذكر من آشتهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نُعَيْمان، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريّين، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة، منها ماروى : أنه خرج مع أبى بكر الصِّدِّيق إلى بُصْرَى، وكان فى الجملة سُوَيْبِط، وهو بدرِىّ أيضا، وكان سويبط على الزاد؛ فجاءه نعيمان فقال له : أطعمنى؛ قال : لا، حتى يأتى أبو بكر . فقال نعيمان : والله لأغيظنّك . وجاء إلى أناس جلبوا ظَهْرًا، فقال آبتاعوا منى غلاما عربيا فارها إلا أنه ذَعّاء، له لِسان، لعله يقول : أنا حرّ؛ فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه،

لا تُفسدوا عليّ غلامى . قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص . فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو . فقالوا : قد آشتريناك . فقال سويبط : هو كاذب ، أنا رجل حرّ ؛ فقالوا : قد أُخبرنا خبرك ، ووضعوا فى عنقه حبلا وذهبوا به . فجاء أبو بكر رضى الله عنــه فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه . وأُخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة عسل آشتراها من أعرابىّ ، وأتى بالأعرابىّ إلى باب النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : خذ الثمن من هاهنــا . فلما قسمها النبيّ صلى الله عليــه وسلم نادى الأعرابىّ : ألاَ أُعْطَى ثمنَ عسلى ؟ ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "إحدى هَنَاتِ نُعَيمان" . وسأله : لِمَ فعلتَ هذا ؟ فقال : أردت بِرّك يارسول الله ، ولم يكن معى شىء . فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابىّ حقّه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مرّ يوما بمَخْرَمة بن نَوْفَل الزُّهرىّ ، وهو ضرير ، فقال له : قُدْنى حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخّر المسـجد قال له : آجلس ؛ فجلس مخرمة ليبول ؛ فصاح الناس : ياأبا المِسْوَر ، أنت فى المسجد . فقال : من قادنى ؟ فقيل له : نعيمان . قال : لله علىّ أن أضربه بعصاى إن وجدته . فبلغ ذلك نعيمان ، فجاء يوما فقال لمخرمة : يا أبا المِسور ، هل لك فى نعيمان ؟ قال نعم . قال : هو ذا يصلى . وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنــه وهو يصلّى ، فقال : هــذا نعيمان ؛ فعلاه مَخْرَمة بعصاه ؛ فصاح به الناس : ضربتَ أمير المؤمنين . فقال : من قادنى ؟ قالوا : نعيمان ؛ فقال : لاجَرَم لاعرَضت له بسوء أبدًا .

ومنهم ٱبن أبي عَتِيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضى الله عنهم . وكان ذا ورع وعفاف وشرف، وكان كثير المجون، وله نوادر مستظرفة ، منها : أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ما تقول فى إنسان هجانى بشعر، وهو :

٥ أذهبتَ مالك غير مُـتَّرِكٍ[(1)] * فى كل مؤنسـةٍ وفى الخمرِ

ذهب الإله بمـا تعيش به * وبَقِيتَ وحدك غيرذى وَفْرِ

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفَح . فقال له عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك . فقال : وما هو؟ قال : أرى أن أنيكه . فقال ٱبن عمر : سبحان الله! ما تترك الهزل! وٱفترقا . ثم لقيه بعد ذلك فقال له : أتدرى ١٠ ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أىّ إنسان؟ قال : الذى أعلمتك أنه هجانى . قال : ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لى حرّ إن لم أكن نِكته . فأعظم ذلك عبد الله بن عمر وٱضطرب له . فقال له : ٱمرأتى والله التى قالت الشعر وهجتنى به . وكانت ٱمرأته أمّ إسحاق[(2)] بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللعب فى موضعه، كما مُدِح الجدّ فى موضعه؛ فقال أبو تمّام :

١٥ الجدّ شيمتُه وفيه فُكاهـةٌ * طورًا ولا جِدّ لمن لم يلعبِ

وقال الأُبَيْرِد رحمة الله عليه :

اذا جدّ عند الجدّ أرضاك جِدُّه * وذو باطلٍ إن شئت ألهاك باطِلُهْ

---

(١) رواية البيتين فى كتاب التاج للجاحظ ص ١٣١ :

ذهب الاله بما تعيش به * وقـرت ليلك أيما قر

٢٠ أنفقت مالك غير محتشم * فى كل زانية وفى الخمر

(٢) فى التاج أنها عاتكة بنت عبد الرحمن .

ومن مجون عبـد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له : إن فلانا القارئ ، وكان يظهر النسك ، قد قطع علىّ الطريق وآذانى و يقول لى : أنا أُحبّك . فقال لها : قولى له : وأنا أُحبّك أيضا ، وواعديه المنزل؛ ففعلت وأدخلته المنزل؛ وكان عبد الله قد واعد جماعةً من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلت الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاعتلّت عليه؛ فوثب إليها [(1) فاحتملها وضرب بها الأرض؛ فدخل عليه ٱبن أبى عَتيق وأصحابه وقد تورّكها؛ فخجل وقام وقال : يا فُسّاق ، ما تجمّعتم هاهنا إلا لريبة . فقال له ٱبن أبى عتيق : أُستر علينا ستر الله عليك . ثم لم يرتدع عن العبث بها ، فشكَتْ ذلك الى سيّدها؛ فقال لها : هيِّئى من الطعام طِحْن ليلة الى الغداةِ ففعلت ، ثم قال لها : عِديه الليلة ، فإذا جاء فقولى له : إنّ وظيفتى الليلة طَحْن هذا كله ، ثم ٱخرجى الى البيت وٱتركيه ، ففعلت . فلما دخل طَحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدِرِ الرحى حتى أفتقد سيّدى ؛ فاذا نام وأمِنّا أن يأتينا أحد ، صرتُ إلى ما تحبّ ، ففعل ، ومضت الجارية الى مولاها ، وأمر ٱبن أبى عَتيق عدّة من مَوْلَياته أن يتراوحن على سَهرِ ليلتهِنّ و يتفقّدن أمر الطّحن ويَحْثُثْن عليه ، ففعلن وجعلن يُنادين الفتى كلما كفّ عن الطحن : يا فلانة إنّ مولاكِ مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفَفت عن الطحن ، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكفّت عن الطحن . فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن ٱجتهد فى العمل والجارية تتفقّده وتقول له : استيقظ مولاى والساعة ينام فأصير الى ما تحبّ وهو يطحن ، حتى أصبح وفرغ القمح . فأتته الجارية بعد فراغه فقالت له : قد أصبح فانجُ بنفسك . فقال : أوَ قد فعلتِها يا عدوّة الله !

(1) الكلام الذى يبتدئ بهذا المربع [وينتهى فى صفحة ١١ بهذا المربع] ساقط من الأصل وموجود بالنسخة الراغبية .

وخرج تعبا نصبا ، وأعقبه ذلك مرضا شديدا أشرف منه على الموت، وعاهد الله ألّا يعود الى كلام الجارية، فلم تر منه بعد ذلك شيئا تكرهه . قال : وتعشّى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار، فوقع حجر فى الدار و وقع آخر وثالث، فقال للجارية : آخرجى فانظرى : أذّنوا المغربَ أم لا ؛ فخرجت وجاءت بعد ساعة ، وقالت : قد أذّنوا وصلّوا . فقال الرجل الذى كان عنده : أليس قد صلّينا قبل أن تدخل الجارية؟ قال : بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لَرُجمنا الى الغداة، أفهمت ؟! قال : نعم، قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبى عَتيق قول عمر بن أبى ربيعة .

مَنْ رسولى الى الثُّريّا فإنى (١) * ضِقتُ ذرعًا بهجرها والكتابِ

فركب بغلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ ذا الحُلَيفة (٢) قيل له : أحرم، قال : ذو الحاجة لا يُحرِم، وجاء حتى دخل على الثريّا . فقال لها : ابن عمك يقول :

* ضِقت ذرعًا بهجرها والكتاب *

ثم ركب بغلته وعاد .

ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابىّ عن جارية له يقال لها زهرة، فقيل له : أيَسُرّك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت؟ فقال : لا والله! تذهب الأمَةُ وتضيع الأُمّة . وجد أعرابىّ مرآة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها فرأى وجهه فاستقبحه، فرمى بها وقال : لشرٍّ ما طرحك أهلك . وقيل لأعرابىّ : لِمَ يقال : باعك الله فى الأعراب؟ فقال : لأنّا نُجيع كَبِده، ونُعرِى جلدَه، ونُطيل كدَّه . وتزوّج أعرابىّ على كِبَر سِنه، فقيل له

(١) فى ديوان عمر بن أبى ربيعة : « بأنى » .

(٢) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة .

فى ذلك ، فقال : أُبادره باليُتْم ، قبل أن يُبادرنى بالعقوق . ومرّ أعرابىّ وفى يده رغيف برجل فى يده سيف ، فقال : يعنى هذا السيف بهذا الرغيف ، فقال : أمجنون أنت؟ فقال الأعرابىّ : ما أنكرت منى؟ أنظر أيهما أحسن أثرًا فى البطن .

وحُكى أن المهدىّ خرج للصيد فغلبه فرسه حتى آنتهى به الى خِباء لأعرابىّ ، فقال : يا أعرابىّ ، هل من قِرىً؟ قال نعم ، وأخرج له فضلةً من خُبْزِ مَلّةٍ فأكلها وفضلة من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبيذ فى زُكْرة [1] فسقاه قَعْبا [2] . فلما شرب قال : أتدرى من أنا؟ قال : لا والله . قال : أنا من خَدَم الخاصّــة ، قال : بارك لك الله فى موضعك . ثم سقاه آخر ، فلمّا شربه قال : أتدرى من أنا؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدم الخاصة ، قال : بل أنا من قوّاد أمير المؤمنين ، فقال له الأعرابىّ : رحُبت بلادُك ، وطاب مزادك ومَرَادك . ثم سـقاه قدحا ثالثا ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابىّ ، أتدرى من أنا؟ قال : زعمتَ أخيرا أنك من قوّاد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكنى أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابىّ الزكرة فأوكاها [3] وقال : والله لئن شربت الرابع لتقولنّ : إنك لرسول الله ، فضحك المهدىّ . ثم أحاطت بهم الخيل ، فنزل أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابىّ ، فقال له المهدىّ : لا بأس عليك ! وأمر له بصلة . فقال : أشهد أنك صادق ، ولو آدّعيت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابىّ على يزيد بن المهلّب وهو على فرشه والناس سِماطان ، فقال : كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تُحبّ . فقال الأعرابىّ : لو كنتَ كما أُحبّ كنتَ أنت مكانى وأنا مكانك ، فضحك يزيد .

---

(١) الزكرة (بالضم) : زق للخمر . (٢) القعب : القدح الضخم .

(٣) أوكاها : ربطها .

ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عَدِىّ بن أرطاة شُرَيْحا القاضي ومعه آمرأة له من أهل الكوفة يخاصمها اليه؛ فلما جلس عَدِىّ بين يدى شُرَيح، قال عدىّ : أين أنت؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : إنى آمرؤ من أهل الشام؛ قال : بعيد الدار . قال : وإنى قدمت العراق؛ قال : خير مقدم . قال : وتزوّجت هذه المرأة؛ قال : بالرفاء والبنين . قال : وإنها ولدت غلاما؛ قال : لِيَهْنِك الفارس. قال : وقد أردت أن أنقلها إلى دارى؛ قال : المرء أحق بأهله . قال : كنت شَرَطت لها دارها؛ قال : الشرطُ أملك . قال : آقض بيننا؛ قال : قد فعلت . قال : فعلى من قضيت؟ قال : على ابن أُمّك .

ودخل على الشعبىّ فى مجلس قضائه رجل وآمرأته، وكانت المرأة من أجمل النساء، فاختصما اليه، فأدلت المرأة بحجتها، وقَوِيت بيِّنتها. فقال للزوج : هل عندك من دافع؟ فأنشأ يقول :

فُتِنَ الشَّعْبِىّ لمّا * رفع الطَّرْفَ إليها
فتنته بِدلالٍ * وبخَطَّىْ حاجِبَيْها
قال للجِلوازِ[1] قَرِّبْـ * ـها وقَدّم شاهِدَيْها
فقضى جَوْرًا على الخَصْـ * ـمِ ولم يقضِ عليها

قال الشعبىّ : فدخلت على عبد الملك بن مروان؛ فلما نظر إلىّ تبسّم وقال :

فُتِنَ الشعبىّ لما * رفع الطرف اليها

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات؟ قلت : أوجعته ضربًا يا أمير المؤمنين بما آنتهك من حرمتى فى مجلس الحكومة وما آفترى به علىّ . قال : أحسنت! .

(١) الجلواز : الشرطى .

وأحضر رجل امرأته الى بعض قضـاة البصرة، وكانت حســنة المُنْتَقَب، قبيحة المَسْفَر، فمال القاضى لها على زوجها وقال: يعمِد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء اليهـا . ففطن الرجل لميــله اليها فقال : أصلح الله القاضى، قد شككتُ فى أنها امرأتى، فمُرْها تَسْفِر عن وجهها، فوقع ذلك بوِفاق من القاضى، فقال لها : اسفرى رحمكِ الله؛ فسفَرت عن وجه قبيح. فقال القاضى لمّـا نظر الى قبح وجهها : قُومى عليكِ لعنة الله! كلامُ مظلوم، ووجهُ ظالم .

قيل : بينما رَقَبة بن مَصْقَلة القاضى فى حَلْقته، إذ مرّ به رجل غليظ العنق؛ فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، هذا أعبد الناس . فقال رقبة : إنى لأرى لهذا عنقًا ما دقّقتها العبادة[1] . قال : فمضى الرجل وعاد قاصدًا اليهم . فقال رجل لرقبة : يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غِيبة؛ قال : نعم، أخبره أنت حتى تكون نميمة . ودخل رَقَبة الى المسجد الأعظم فألقى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال : قتيل فالوذج رحمكم الله! قالوا: عند من؟ قال : عند من حكم فى الفرقة وقضى فى الجماعة، يعنى : بلال بن أبى بُرْدة .

واختصم رجلان الى إيَاس بن معاوية وهو قاضى البَصْرة لعمر بن عبد العزيز فى مِطْرَف خَزّ وأنبجانىّ، وادّعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنبجانىّ لصاحبه . فدعا إياس بمشط وماء، فبلّ رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما: سَرّح رأسك فسرّحه، فخرج فى المشط عفر المطرف ، وفى مشط الآخر عفر الأنبجانىّ؛ فقال: ياخبيث ! الأنبجانىّ لك، فأقر، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى علىّ من بأس إن أكلت تمـرا؟ قال لا . قال : فهل ترى علىّ من بأس ان أكلت معه كَيْسوما؟ قال لا . قال : فإن شربت عليهمـا ماء؟ قال : جائز .

(١) فى أحد الأصول : « ماوقذتها » وفى أصل آخر : « مادقتها » .

قال: فلم تحرّم السكر، وإنما هو ماذكرت لك؟ قال له إياس لو صببت عليك ماء هل كان يضرّك ؟ قال لا . قال : فلو نثرت عليك ترابًا هل كان يضرّك ؟ قال لا . قال : فإن أخذت ذلك نخلطته وعجنته وجعلت منه لَبِنةً عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرّك ؟ قال : كنتَ تقتلنى . قال : فهذا مثل ذاك .

٥ دعا الرشيد أبا يوسف القاضى فسأله عن مسألة فأفتاه؛ فأمر له بمائة ألف درهم. فقـال] إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح ! فقال : عجِّلوها له . فقيل : إن الخازن فى بيته والأبواب مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت فى بيتى والدروب مغلقة ، فلمـا دُعيت فُتِحت . فقال له الرشيد : بلغنى أنك لا ترى لبس السواد . فقال: يا أمير المؤمنين، ولِم وليس فى بدنى شىء أعزّ منه؟ قال : وما هو؟

١٠ قال : السواد الذى فى عينيّ .

وسأل الرشيد الأوزاعىّ عن لُبْس السواد، فقال: لا أحرّمه، ولكنى أكرهه. قال : ولِم ؟ قال : لأنه لا تُجْلَى فيه عَرُوس، ولا يلبِّى فيه مُحْرِم، ولا يُكَفَّن فيـه ميت . فالتفت الرشيد الى أبى يوسف وقال : ما تقول أنت فى السواد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور فى السواد . فاستحسن الرشـيد ذلك . ثم قال : وفضـيلة

١٥ أخرى يا أمير المؤمنين . قال : وما هى ؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به؛ فاهتزّ الرشيد لذلك .

تقدّم رجل الى أبى خازم عبد الحميد بن عبد العزيز السَّكُونىّ قاضى المعتمد، وقدّم أباه يطالبه بدَين له عليه، فأقرّ الأب بالدين، وأراد الابن حبس والده . فقال القاضى: هل لأبيك مال؟ قال: لا أعلمه . قال : فمذ كم داينته بهذا المـال ؟ قال :

٢٠ منذ كذا وكذا . قال: قد فرضتُ عليك نفقة أبيك من وقت المداينة؛ فحبس الابن وخلّى الأب .

كان عبد الملك بن عمر قاضى الكوفة، فهجاه هُذَيْل الأشجعىّ بأبيات منها :

اذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتــه بحـاجةٍ * فهمّ بأن يقضى تنحنح أو سَعَلْ

فكان عبد الملك يقول : قاتله الله! والله لربما جاءتنى النحنحة وأنا فى المتوضّأ فأذكر ما قال فأردّها .

٥ وقيل: شهد سلمىّ الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل، فقال : هو — أصلحك الله — ناصبىّ، رافضىّ، قَدَرىّ، مجبِرىّ، يشتم الحجاج بن الزبير الذى يهدم الكعبة على علىّ بن أبى سفيان . فقال له جعفر : ما أدرى على أى شىء أحسدك : على علمك بالمقالات، أم على معرفتك بالأنساب ! فقال : أصلح الله الأمير، ما خرجتُ من الكُتّاب، حتى حذقت هذا كله ورائى .

١٠ وٱستُفْتِى بعضُ القضاة، وقد نُسِبت الى القاضى أبى بكر بن قُرَيْعة، فقيل له : مايقول سيدنا القاضى أيده الله فى رجل باع حِجْرا(١) من رجل، فحين رفع ذنبها ليقلّبه خرجت منها رِيح مصوِّتة ٱتصلت بحصاة ففقأت عين المشترى؟ أفتنا فى الدية والردّ يرحمك الله. فأجاب: لم تجرِ العادة بمثل هذه البدائع، بين مشترٍ وبائع؛ فلذلك لم يثبت فى كتب الفقهاء، ولم يستعمل فى فتوى العلماء؛ لكن هذا وما شاكله يجرى مجرى الفضول، ١٥ المستخرج من أحكام العقول، والقول فيه — وبالله العصمة من الزلل والخطل — : أن دِية ماجنته الحِجْر ملغى فى الهدر، عملًا بقول النبىّ المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، «جُرْح العجماء جُبَار» ؛ لا سيما والمشترى عند كشفه لعورتها ، ٱستثار كامِن سَـوْرتها . وعلى البائع لها ٱرتجاعها، وردّ ما قبض من ثمنها، لأنه دلّس حِجْرًا مَضيقُها مَنْجنيقُها . وإذا كانت السهام طائشة، فهى من العيوب الفاحشة. وكيف ٢٠ يمتنع ردّها وأغراضها نواظر الحَدَق ، وقلّما يَسْتظهِر المقلّبون الخيل بالدَّرَق .

(١) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

ذكر شيء من نوادر النُّحاة

قدّم رجل من النحاة خصما الى القاضى، وقال: لى عليه مائتان وخمسون درهما. فقال لخصمه: ماتقول؟ فقال: أصلح الله القاضى، الطلاق لازم له؛ إن كان له إلا ثلثمائة، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضى أنه نَحْوِىّ.

٥ ومرّ أبوعلقمة بأعدال قد كُتِب عليها: رُبَّ سُلِّم لأبو فلان، فقال لأصحابه: لا إله إلا الله! يلحنون ويربحون.

وجاء رجل الى الحسن البصرىّ فقال: ما تقول فى رجل مات فترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال: ما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: ما لأبيه وأخيه. فقال الرجل: إنى أراك كلما طاوعتك تخالفنى! . وقيل سكر هارون بن محمد ١٠ ابن عبد الملك ليلة بين يدى الموفّق، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام فى المضرب. فلما انصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه وقال: يا هارون انصرف. فقال: هارون لا ينصرف. فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون: سل مولاك فهو يعلم أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفّق فقال: هارون لا ينصرف؛ فتركه راشد. فلما أصبح الموفّق وقف على أن هارون بات فى مضربه؛ فأنكر على راشد، وقال: ١٥ يا راشد، يبيت فى مضربى رجل لا أعلم به! فقال: أنت أمرتنى بهذا، قلت: هارون لاينصرف. فضحك وقال: ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره.

وقيل: قدم العُرْيان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفّظ من مَسْلَمة فإنه يقول: لَأن يُلقِمنِى رجل بحجر أحبُّ إلىّ من أن يُسمِعنى رجل لحنا. فأتاه العريان ذات يوم فسلّم عليه. فقال له مَسْلَمة: كم عطاءك؟ قال: ألفين. فنظر الى رجل ٢٠ عنده وقال له: لحن العراقِىّ؛ فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على

العريان وقال : كم عطاؤك؟ فقال : ألفان . فقال : ما الذى دعاك الى اللحن أولا والإعراب ثانيـا؟ قال : لحن الأمير فكرهت أن أعرب، وأعرب فأعربت . فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

ووقف نحوىّ على بقّال يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع ؟ قال : عشرين بدانق، فقال : وماعليك أن تقول : عشرون بدانق؟ فقدّر البقّال أنه يستزيده، فقال ثلاثين بدانق. فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين، فقال : وماعليك أن تقول : سبعون؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبدا .

ذكر شىء من نوادر المتنبئين

قيل : ادّعى رجل النبوّة فى أيام المهدى، فأدخل عليه ؛ فقال له : الى من بعثت؟ فقال : ما تركتمونى أذهب الى من بعثت اليهم، فإنى بعثت بالغـداة وحبستمونى بالعشىّ . فضحك المهدىّ منه وأمر له بجائزة وخلّى سبيله .

وتنبأ رجل وآدّعى أنه موسى بن عمران . فبلغ خبره الخليفة، فأحضره وقال له : من أنت؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم . قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال نعم . قال : فألقها من يدك ومُرْها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) كما قال فرعون حتى أُصَيِّر عصاى ثعبانا كما فعـل موسى . فضحك الخليفة منه وآستظرفه . وأُحضرت المـائدة، فقيل له : أكلت شيئا ؟ قال : ما أحسنَ العقلَ ! لو كان لى شىء آكله، ما الذى كنتُ أعمل عنـدكم ؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .

وآدّعت آمرأة النبوّة على عهد المأمون، فأُحضرت اليه فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا فاطمة النبيّة . فقال لها المأمون : أتؤمنين بمـا جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ؟ قالت : نعم، كل ما جاء به فهو حق . فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لا نبيّ بعدى » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال : لا نبية بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أمّا أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأتِ بها، وضحك حتى غطّى على وجهه .

٥ وآدّعى رجل النبوّة، فقيل له : ما علاماتُ نبوّتك؟ قال : أنبئكم بما فى نفوسكم. قالوا : فما فى أنفسنا؟ قال : فى أنفسكم أنى كذبت ولست بنبيّ .

وتنبأ رجل فى أيام المأمون، فأُتِى به إليه، فقال له : أنت نبيّ؟ قال نعم . قال: فما معجزتك؟ قال : ماشئت . قال : أَخرِج لنا من الأرض بِطّيخة . قال : أمهلنى ثلاثة أيام . قال المأمون : بل الساعة أريدها . قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفنى ،

١٠ أنت تعلم أن الله يُنبِتها فى ثلاثة أشهر، فلا تقبلها منى فى ثلاثة أيام! فضحك منه ، وعلم أنه محتال، فآستتابه ووصله .

وآدّعى آخر النبوّة فى زمانه فطالبه بمُعجزة، فقال : أطرَح لكم حصاةً فى الماء فأُذيبها حتى تصير مع الماء شيئا واحدا . قالوا : قد رضِينا . فأخرَجَ حصاةً كانت معه فطرحها فى الماء فذابت . فقالوا : هذه حيلة، ولكن أَذِبْ حصاةً غيرها نأتيك

١٥ بها نحن . فقال لهم : لا تتعصّبوا، فلستم أضلّ من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، ولم يقل فرعون موسى : لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أُعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا . فضحك المأمون منه وأجازه .

وآدّعى رجل النبوّة فى أيام المعتصم، فأُحضر بين يديه، فقال له : أنت نبِيّ؟ قال نعم . قال : إلى من بُعثت ؟ قال : إليك . قال : أشهد إنك لسفيه أحمق . قال: إنما

٢٠ يذهب إلى كل قوم مثلُهم . فضحك منه وأمر له بشىء .

وآدّعى آخر النبوّة فى أيام المأمون؛ فقال له : ما مُعْجزتك؟ قال : سل ما شئت؛ وكان بين يديه قُفْل، فقال : خذ هذا القفل فافتحه. فقال : أصلحك الله، لم أقل إنى حدّاد . فضحك منه وآستتابه وأجازه .

وآدّعى آخر النبوّة، فطُلِب ودُعِى له بالسيف والنِّطْع؛ فقال : ما تصنعون؟ قالوا : نقتلك. قال : ولِمَ تقتلوننى ؟ قالوا : لأنك آدّعيت النبوّة . قال : فلست أدّعيها . قيل له : فأىّ شىء أنت؟ قال : أنا صِدِّيق . فدُعِى له بالسياط؛ فقال : لم تضربوننى؟ قالوا : لآدّعائك أنك صِـدّيق؛ قال : لا أدّعى ذلك . قالوا : فمن أنت؟ قال : من التابعين لهم بإحسان . فدُعِى له بالدِّرة . قال : ولِمَ ذلك؟ قالوا : لآدّعائك ما ليس فيك ؛ فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبىّ تريدون أن تحطّونى فى ساعة واحدة الى مرتبة العوامّ! لا أقلّ من أن تصبروا علىّ الى غد حتى أَصِيرَ لكم ما شئتم[1] .

وآدّعى آخر النبوّة، وسمّى نفسه نوحا، فنهاه صديق له عن ذلك فلم ينته؛ فأخذه السلطان وصلبه؛ فمرّ به صديقه الذى كان ينهاه، فقال : يانوح ! ماحصل لك من السفينة غير الدَّقَل .

ذكر شىء من نوادر المغفّلين والحَمْقَى

قال بعضهم : رأيت آبن خلف الهمدانىّ فى صحراء وهو يطلب شيئا، فقلت له : ما تبغى هاهنا ؟ قال : دفنت شيئا ولست أهتـدى اليه . قلت : فهلّا علّمت عليه بشىء! قال : جعلت علامتى قطعة من الغيم كانت فوقه، وما أراها الساعة . ونظر مرة فى الحُبِّ (وهو الزير) فرأى وجهه، فعدا الى أمّه فقال : يا أمّى فى الحُبِّ لِصّ . فجاءت أمه وتطلّعت فيـه، فقالت : إى والله ومعه قَحْبـة . ورُئِى فى وسط داره

---

(١) فى الأصول : « لا أقل مما تصبروا » .

وهو يعدو عَدْواً شديدا ويقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك فقال : أردت أن أسمع صوتى من بعيد . ودخل إلى رجل يعزّيه، فقال : عظّم الله مصيبتكم، وأعان أخاك على مايرد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس. فقال : تضحكون مما قلت ! وإنما أردت هاروت وماروت .

٥ وقيل: كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثىّ، ليقسّم بين القواعد والعميان والأيتام مالا . فدخل عليه أبو زياد التميمىّ، وكان مغفّلا فقال : أصلحك الله ! اكتبنى فى القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد هنّ النساء اللّاتى قعدن عن أزواجهنّ . فقال : فاكتبنى فى العميان، قال: اكتبوه منهم؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . قال أبو زياد :
١٠ واكتب ابنى فى الأيتام؛ قال : نعم! من كنتَ أباه فهو يتيم .

وسُئل بعضهم عن مولده، فقال: وُلدت رأسَ الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام، فاحسبُوا الآن كيف شئتم .

ذكر شيء من نوادر النبيذيّين

قال رجل لبعض أصحاب النبيذ : وجّهتُ إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجدك؛
١٥ فقال : ذاك وقت لا أجد فيه نفسى .

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهر . قالوا : فالعصر؟ قال : تعرف وتنكر . قالوا: فالعشاء؟ قال : يبلغها الجواد . قالوا: فالعَتَمة؟ قال: ما كانت لنا فى حساب قط .

شرب الأُقَيْشر فى حانوت خمّار حتى نفِد مامعه، ثم شرب بثيابه وبقى عُرْيانا،
٢٠ فجلس فى تبن يستدفىء به . فمرّ رجل ينشُد ضالّة؛ فقال الأقيشر : اللّهم اردُد عليه،

وٱحفظ علينا . فقال له الحمار : سَخِنتْ عينُك ، أيّ شيء يحفظ عليك ربّك ! قال : هذا التبن ، لئلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .

وباع بعضهم ضَيعةً له ، فقال له المشترى : بالعشىّ أشهد عليك . فقال : لو كنتُ ممن يفرغ بالعشىّ ما بعت ضيعتى .

ذكر شىء من نوادر النساء والجوارى

٥

قال رجل : قلت لجارية أريد شراءها : لا يُريبكِ شيبى ، فإن عندى قوة . فقالت : أَيسرك أنّ عندك عجوزا مُغْتلِمة !

أُدخِل على المنصور جاريتان فأعجبتاه . فقالت التى دخلت أوّلا : يا أمير المؤمنين ، إن الله فضّلنى على هذه بقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ . وقالت الأخرى : لا ، بل الله فضّلنى عليها بقوله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

١٠

وعُرِض على المعتصم جاريتان بِكر وثيِّبٌ ، فمال إلى البِكر . فقالت الثيب : ما بيننا إلا يوم واحد . فقالت البكر : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

قيل لآمرأة ظريفة : أبِكر أنتِ ؟ قالت : أعوذ بالله من الكساد .

وقال المتوكل لجارية ٱستعرضها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير المؤمنين .

١٥

وٱستعرض رجل جارية فٱستقبح قدميها . فقالت : لا تُبالِ ، فإنى أجعلهما وراء ظهرك .

وقال الرشيد لبغيض جاريته : إنك لدقيقة الساقين . قالت : أحوج ما تكون إليهما لا تراهما .

وروى أبو الفرج الأصفهانى عن إسحاق: أن الرشيد أحضره مجلسَه ذاتَ ليلة، وقد مضى شَطْر الليل؛ قال: فأخرج جارية كأنها مَهَاة، فأجلسها فى حِجره، ثم قال غنِّينى؛ فغنته:

جِئْن من الروم وقَاليقَــلا[1] * يَرْفُلْنَ فى المِرْط ولِين المُلَا
مُقَرْطَقَات بصنوف الحُلَى * ياحبذا البيضُ وتلك الحُلَى

فآستحسنه وشرب عليه. ثم آستؤذن للفضل بن الربيع فأُذن له. فلما دخل، قال: ما وراءك فى هذا الوقت؟ قال: خيرٌ يا أمير المؤمنين، ولكن جرى لى الساعة سببٌ لم يجز كتمانه. قال: وما ذاك؟ قال: أُخرِج إلىّ فى هــذا الوقت ثلاثُ جوارٍ: مكيّة، ومدنيّة، وعِراقيّة؛ فقبضت المدنية على ذَكَرى؛ فلما أَنْعظ، وثبت المكية فقعدتْ عليه. فقالت لها المدنيّة: ما هذا التعدّى! ألم تعلمى أنّ مالكا حدّثنا عن الزُّهْرىّ عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: «من أحيا أرضا ميتــة فهى له»! فقالت الأخرى: أوَلم تعلمى أن سُفيان حدّثنا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه: أنّ النبىّ صلى الله عليــه وسلم قال: «الصّيد لمن صاده لا لمن أثَارَه». فدفعتها العراقية عنه، ووثبت عليه وقالت: هــذا لى وفى يدى حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، وأمر بحملِهنّ إليه، ففعل وحظِينَ عنده. وفيهنّ يقول:

مَلَك الثلاثُ الآنساتُ عِنانى * وحلَلْنَ من قلبى بكلّ مكانِ

طُلبت جارية محمود الورّاق للمعتصم بسبعة آلاف دينار، فامتنع من بيعها، وآشتريتْ له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائة دينار. فذكر المعتصمُ ذلك لها، فقالت:

---

(١) قاليقلا: بلد من أعمال أرمينية.

إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهواته المواريث فسبعون دينارا فى ثمنى كثيرٌ، فكيف بســبعمائة !

اقترح بعضهم على جاريته أن تغنّى له :

سرّى وسرّك لم يسمعهما أحدٌ * إلا الإله وإلا أنت ثمّ أنا

فقالت : يا سيّدى والقوّادة لا تنساها فهى الأصل . ٥

وقال بعضهم : نظرتُ إلى جارية جميلة فى دهليز، فقالت لى : ياسيدى تُريد النيك؟ قلت : إى والله. قالت : فاقعد حتى يأتى سيّدى فينيكك كما ناكنى البارحة.

وقال آخر : كان لى جارية فأردتها على بعض الأمر، فقالت : إنّ الأعور الدّجال لايدخل المدينة ولكن يُلِمُّ بأعراضها .

وآستعرض رجل جارية فقال لها : فى يَدَيْك عمل؟ قالت : لا، ولكن فى رجلىَّ. ١٠

وحُكى أنّ بعض المُجّان كان يعشق جارية أمجن منه . فضاق يوما ، فكتب إليها : قد طال عهدى بك ياسيّدتى، وأقلقنى الشوق إليك . فإن رأيتِ أن تستدركى رَمق بمُضْغة مِلْك وتجعليه بين دينارين وتُنْفذيه إلىّ لأستشفى به فعلتِ إن شاء الله. ففعلتْ ذلك وكتبتْ إليــه : ردُّ الظَّرف من الظَّرف، وقد سارعتُ إلى إنفاذ ما طلبتَ ؛ فأنعِمْ بردّ الطبق والمكبّة، وآستعمِل الخبر : « إستدِرّوا الهــدايا بردّ الظّروف » . ١٥

وطلب آخر من عشيقته خاتمــا كان معها، فقالت : يا ســيّدى، هذا ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود حتّى تعود .

قال الجاحظ : إبتاع فتى صلفٌ بذّاخٌ جاريةً بُخاريّةً حسناء، فلما واقعها قال لها : ما أوسع حِرِك ! وكرر هذا القول، فقالت له : أنت الفداء لمن كان يملؤه . ٢٠

وقيل لمدنيّة : أيّما أحب اليك التمر أم النيك ؟ فقالت : التمر ما أحببته قط .

وكتب رجل الى عشيقته : مُرِى خيالك أن يلم بى . فكتبت اليه : ابعث الىّ بدينارين حتى آتيك بنفسى .

قدّم بعضهم عجوزا دلّالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى، زوّجتنى هذه امرأةً، فلما دخلت بها وجدتها عرجاء . فقالت : أصلح الله القاضى ! زوّجته امرأة يجامعها، ولم أعلم أنه يريد أن يحج عليها أو يسابق بها فى الحَلْبة أو يلعب عليها بالكرة والصولجان ! .

كتب رجل الى عشيقته رقعة، قال فى أوّلها : عصمنا الله وإياك بالتقوى . فكتبت اليه فى الجواب : يا غليظ الطبع، إن آستجاب الله دعاءك لم نلتق أبدا .

قال عقيل بن بلال : سمعتنى أعرابيّة أنشد :

وكم ليلةٍ قد بِتّها غيرَ آثم * بمهضومة الكشحين ريّانة القُلْب[1]

فقالت : هَلّا أثمت! أخزاك الله ! .

وكتب الجمّاز الى عشيقته رقعة حشاها بالشّعر . فكتبت اليه على ظهرها : لا تجتمع شِعرتان بشِعر .

زحمتْ مدنيّةٌ رجلا، فقال لها : المستعان بالله منكن، ما أكثركن! فقالت : نحن فى هذه الكثرة وأنتم تلوطون وتتبادلون، فلو كان فينا قِلة لِنكتم الحمير .

قال أبو نواس يوما لِقَيْنَةٍ وأشار إلى أيره : فى أىّ سورة ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ . فكشفت وقالت : فى سورة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

وكان يوما عند بعض إخوانه ؛ فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر . فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى . فقالت :

---

(١) القلب (بالضم) : سوار المرأة .

وما رأيت ؟ قال : ألكِ معرفة بعــلم التعبير؟ قالت : ولا أعرف غيره . قال : رأيت كأنى راكب دابة شهباء، وعليها جُلٌّ أخضر وهى تمرح تحتّى . فقالت : إن صدقت رؤياك فستدخِل بخلة . وقد روى أن هذه الحكاية آتفقت له مع عنان جاريةِ الناطفىّ .

ومرّت آمرأة حبلى برجل، فتعجّب من عِظم بطنها، فقال ماكان أحذق هذا الحَشّاء! فقالت المرأة : إذا شئت فأبعث أمك حتى آمره بأن يحشوها لك خيرا من هذا الحشو .

وقال بعضهم : مرت بى آمرأة وأنا أصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتقيتها بيــدى، فوقعت على فرجها؛ فقالت : يا فتى، ما أتيت أشدُّ ممــا آتقيت .

ومرّ الفرزدق بنسوة وهو على بغلته، فلما حاذاهنّ ضرطت البغلة، فضحكن. فألتفت إليهن وقال : لا تضحكن، فما حملتنى أنثى إلا ضرطت . فقالت إحداهن: ما حملك أكثر من أمك، فأراها قد قاست منك ضراطاكثيرا . فحرّك بغلته وهرب منهن .

وكان رجل يُدِلّ بآلته وعِظمها . فقال يوما لأمرأة وقد واقعها : أراه لم يخرج من حلقك بعد؛ فقالت : أو قد أدخلته بعد ! .

وكان بعضهم جالسا مع آمرأته فى مَنْظَرة ؛ فمرّ غلام حسن الوجه؛ فقالت : أُعيذ هــذا بالله؛ ما أحسنه وأحسن وجهــه وقدّه ! فقال الزوج : نعم، لولا أنه خَصِىّ . فقالت : لعنه الله ولعن من خصاه ! .

ولمــا زُفّت عائشة بنت طلحة الى مصعب، قال : والله لأقتلنها الليلة جِماعا . فواقعها مرّةً ونام فلم ينتبه الى السحر؛ فحرّكته وقالت : آنتبه يا قتّال .

وقيل لآمرأة : ما تقولين فى السَّحْق ؟ فقالت : هو التيمم، لا يجوز إلا عند عدم الماء .

كان لرجل عِنّينٍ آمرأةٌ، فرآها يوما تُساحِق آمرأة أخرى، فقال لها : ويلك، خرق على خرق؟ قالت : نعم حتى يرزق الله رقعة .

٥ وقالت آمرأة لأخرى : ليس شىء أطيب من الموز (تكنى عن الجماع) فقالت : صدقتِ، ولكنه ينفخ البطن (تشير الى الحبل) .

وخطب رجلٌ آمرأةً، فاشتطت عليه فى المهر وغيره، فقال : نعم إن دخلتِ على عيوبى، قالت : وما هى؟ قال: إن أيرى كبير، وأنا مشتهر بالجماع لا أريحك منه، وأنا بطىء الإنزال! فقالت : يا جارية أحضرى شيوخ المحلّة يشهدوا على بركة ١٠ الله تعالى وساحِبيه، فالرجل ساذج لا يعرف الخير من الشر .

قال رجل لأبنة له : أريد أن أزوّجك من فلان . فقالت : الله الله يا أبت ! فإنى لا أصبر عنك ولا حاجة لى بزوج . قال : فإنى أتركه لعل الله تعالى يسهل خيرا منه، فإنه بلغنى عنه خصلة لا أرضاها لك . قالت : ما هى؟ قال : بلغنى أن أيره مثل أيرِ البغل، وأنه يكثِر الجماع . فمكثت طويلا، ثم قالت : يا أبت، زوّجنى ١٥ فى حال حياتك، فإن الحوادث لا تؤمن، ولا حاجة لى فى الانتظار .

قال أبو العيناء : خطبتُ آمرأة فآستقبحتنِى . فكتبت اليها :

فإن تَنْفِرِى من قبح وجهى فإننى * أريب أديب لا غبِىّ ولا فَدْمُ

فأجابتنى : ليس لديوان الرسائل أريدك .

وخطب ثُمامة العوفىّ آمرأة . فسألت عن حِرفته، فكتب اليها يقول :

٢٠ وسائلةٍ عن حِرفتى قلت حِرفتى * مقارعة الأبطال فى كل مَأزِقِ

وضربى طُلَى الأبطال بالسيف مُعْلَمًا * إذا زحف الصفان تحت الخوافِقِ

فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك! أنت أسد، فاطلب لك لَبُؤة؛ فإنى ظبية أحتاج الى غزال .

خرجت حُبّى المدنيّة فى جوف الليل؛ فلقيها إنسان فقال لها : تخرجين فى هذا الوقت! قالت : ما أبالى، إن لقينى شيطان فأنا فى طاعتــه، وإن لقينى رجل فأنا فى طلبــه . وجاءت الى شيخ يبيع اللبن ، ففتحت ظرفا فذاقتــه ودفعته إليــه وقالت : لا تعجَل بشدّه؛ ثم فتحت آخر فذاقته ودفعته إليه . فلما أشغلت يديه جميعا، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تَصْفِق[1] بظاهر قدميها آسته وخصييه، وتقول : يا ثارات ذات النِّحْيَين، والشيخ يستغيث، فلم يخلُص منها إلا بعد جهد.

لاعب الأمين جارية بالنرد على إمرة مطاعة ، فغلبتــه؛ فقال : آحتكمى؛ فقالت : قم فافعل ففعل . وعاود اللعب فغلبته، فاحتكمت عليــه مثل الأول . ثم لاعبها الثالثــة فغلبته، فقالت : قم أيضا فأفعل؛ فقال : والله لا أقدر . قالت : فأكتب عليــك به كتابا؛ فتناولت الدواة والقِــرطاس وكتبت : حق فلانة على أمير المؤمنين فردا تأخذه منه متى شاءت من ليــل أو نهار . وكان على رأسها جارية بمِذبة فى يدها، فقالت ، ياسيدتى، وآكتبى فى الكتاب : ومتى قام بالمطالبة بمــا فى هذا الكتاب أحد فهو ولِىّ قبض ما فيه . فضحك الأمين وأمر لها بجائزة .

غاب رجل عن آمرأته فبلغها أنه آشــترى جارية، فاشترت غلامين . فبلغه ذلك فجاء مبادرا، وقال لها : ما هذا؟ فقالت : أمَا علمت أنّ الرحىَ الى بغلين أحوج من البغل الى رَحَيَين! ولكن بع الجارية حتى نبيع الغلامين؛ ففعل ذلك ففعلت .

ومثــل ذلك ما حكِى عن الأحنف : أنه اعتمّ ونظر فى المرآة؛ فقــالت له آمرأته : كأنك قد هممت بخطبة آمرأة! قال : قد كان ذلك . قالت : فإذا فعلت

(١) تصفق : تضرب . والصفق : الضرب يسمع له صوت .

فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى آمرأتين . فنقض عمته وترك ما كان قد همّ به .

نظر المتوكل الى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها ؛ فقال لها : إنك لرَسْحاء . فقالت : يا أمير المؤمنين، ما نقصناه من الطستِ زدناه في المِنسف[1] .

ذكر شيء من نوادر المخنّثين

قال جحظة . فاخرني بعض المخنّثين ، فقال لي : يا أبا الحسن ، مَنْ في الدنيا مثل المخنّثين ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : إن حدّثوا ضحكتم ، وإن غنّوا طرِبتم ، وإن ناموا نِكتم .

وقيل لمخنّث : أما تستحي من أن تناك ؟ قال : ذوقوا ثم لوموا .

نظر مخنّث إلى رجل طويل الخصيين قصير الأير، فقال : سخنت عينك، الغلالة أقصر من القميص .

مرّ عيسى بن موسى بعد أن خلعه المنصور من ولاية العهد بعده وقدّم المهديَّ عليه بمخنّث ؛ فقال إنسان : مَنْ هذا ؟ فقال المخنث : هذا الذي كان غدا فصار بعد غد .

قال شيخ لقرقر المخنّث : أبو من أنت ؟ فقال : أمّ عمر فديتك .

سمع شاهيك المخنث رجلا يصف الكرفس وأنه جيد لفتح السُّدَد ، فقال : أنا إلى سدّ الفُتَح أحوج .

عُرِض على عُبادة المخنّث خادِم ، فقال : أنا لا أركب سفينة بغير دَقَل .

(١) في الأصل : «المنشفة» وهو تحريف والكناية فيه واضحة .

قال المتوكل يوما لجلسائه : أتعلمون أوّل ماعتب المسلمون على عثمان بن عفان رضى الله عنه ؟ فقال أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين، إنه لمـا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام أبو بكر رضى الله عنه على المنبر دون مقام النبيّ صلى الله عليه وسلم بمرقاة؛ فلما ولى عمر قام دون مقام أبى بكر رضى الله عنهما بمرقاة؛ فلما ولى عثمان قام على المنبر فى موضع النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فأنكر المسلمون ذلك عليه، وكانوا ٥ أرادوا منه أن ينزل عن مقام عمر بمرقاة، فقال عبادة : ياأمير المؤمنين، ما أجد أعظم مِنّة عليك، ولا أسبغ معروفا من عثمان . قال : وكيف ؟ ويلك ! قال : لأنه صعِد ذروة المِنبر، ولو أنه كلمـا قام خليفة نزل عن مقام من تقدّمه بمرقاة ، كنت أنت تخطب لنـا فى بئر جَلُولَاء .

وقيل لمخنّث : من يرغب فيك مع قبحك؟ فقال الحِمار: اذا جاع أكل المِكنسة . ١٠

نظر رجل إلى أير آبنه وهو كبير فضربه، وقال له : ماطال أيرك إلا من كثرة ما تُنَاك . فقال له مخنّث كان فى الحمام : لا تفعل، فلو كان حقا لكان أيرى قد بلغ مكة طولا .

قيل لمخنّث : كم سِنوك ؟ قال خمس وتسعون سنة . قيل له : فلم لا تتزوّج ؟ فقال : ليس فى رجال هذا الزمان خير . ١٥

دخل عُبادة يوما إلى الحمـام فرأى غلاما كبير الأير، فبادر وقبض عليه بيده، فقال له الغلام : ماهذا عفاك الله ؟ قال : أما سمعت قول الشاعر :

إذا ما رايةٌ رفِعت لمجدٍ * تلقّاها عرابة باليمين

وكان عبادة يقول : ما أشبّه الدنيا إلا بأير قام ثم نام .

طلب رجل منزلا يكترِيه، فجاء إلى باب دار فدفعه، وقال: ألكم منزل للكِراء؟ ٢٠

و إذا فى الدار مخنّث وفوقه رجل ، فقال المخنّث : ألست ترانا بعضنا فوق بعض من ضيق المكان ! من أين يكون لنا منزل نكريه ! .

نظر رجل الى مخنّث والمخنّث ينتف لحيته ، فقال له الرجل : ويلك ! لأى شيء تنتف لحيتك وفيها جمال وجهك ؟ فقال : أيسرّك أن مثلها فى آستك ؟ قال لا . قال : فشيء تأنف لآستك منه ، فكيف لا آنف لوجهى منه ! .

وقيل : مرّ الطائف بالمدينة بمخنّثين ، فأراد أن يقول : خذوهما فقال : نيكوهما ، ثم قال : آضربوهما . فقال أحدهما : قد سبقت رحمتك عذابك فلا ترجع .

وحكى أبو الفرج الأصفهانىّ فى كتابه المترجم بالأغانى بسنده حكاية عن الدّلال المخنّث المدنىّ جاء منها : أنه أُخذ مع غلام وهما سكرانان ، فأُتى بهما الوالى ، فقال للدلال : يا فاسق ! فقال : من فمك الى السماء . فقال : يا عدوّ الله ، ما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام الى الصحراء تفسق به ! قال : لو علمتُ أنك تغار علينا ، وتشتهى أن نفسق سرًّا ما خرجتُ من بيتى . قال : جرّوه وآضربوه حدًّا . قال : وأىّ شيء ينفعك من ذلك ؟ وأنا والله أُضرب فى كل يوم حدودا . قال : ومن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيورُ الناس . قال : آبطحوه على وجهه [وآجلسوا على ظهره](1) ؛ قال : أحسب أن الأمير قد آشتهى أن يرى كيف يُفعل بى ! قال : أقيموه لعنه الله وآشهروه مع الغلام . فأُخرجا يُدار بهما فى السّكك . فقيل له : ما هذا يادلّال ؟ قال : الأمير قد آشتهى أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بينى و بين هذا ونادى علينا ، ولو قيل له : إنه قوّاد لغضب . فبلغ قوله الوالى ، فقال : خلوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما ! .

(١) زيادة عن الأغانى .

قيل لبعضهم : أىّ الألوان أحبّ إليك؟ قال: القضيب. قيل: فمن الفواكه؟ قال : القِثّاء . قيل : فمن الثياب؟ قال : التِّكّة. قيل : فمن السلاح؟ قال: العود. قيل : فمن العلوم؟ قال: الشَّرْط، لأن فيه ذكر الحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه. قيل : فمن الآداب ؟ قال : العروض، لأن فيه الطويل والمديد والبسيط والكامل والوافر. قيل : فمن المنازل؟ قال : ذات عرق. قيل : فمن القبائل؟ قال : بنو نهد. ٥

ذكر شىء من نوادر البغّائين

قيل لرجل من ولد بُشْر وكان مأبونا : أما تستحى وأبوك كان سيفَ السلطان؟ قال: فأنا جَعْبتُه. وقال له آخر: إن أباك كان ينيك وأنت تناك! قال : أقضى دينه.

قيل لأبى سوار وقد رئى غلامه فوقه: لقد آمتهنك غلامك هذا الأسود؛ قال: ما آمتهننى، ولكنى آمتهنته، عمـدت إلى أكرم عِلْقٍ فيـه فآستعملته فى أقـذر مدخل فىّ. ١٠

أشرفت آمرأة من منظرة لهـا، فرأت صبيا جميلا أعجبها؛ فقالت لجاريتها : أدخليـه؛ فأدخلته فقدّمت المرأة طعاما وآنسـته، فأكلا؛ وأحضرت الشراب فشربا؛ فلم تجد عنده شيئا؛ فقالت : ما أحوجنا إلى من كان ينيكنا جميعا! فقال: أخذتيها من فمى والله. ١٥

ونظير هذه الحكاية ما حكى عن الأحوص الشاعر، وكان جسيما وسيما حسن اللباس، فنظرت اليه آمرأة وهو يتبختر، فقالت : ليتنا جميعا فى فراش واحد إلى الغداة؛ فقال الأحوص : ومعنا من ينيكنا.

قال : وجلس بعضهـم على باب داره وعنـده جماعة، فوقف عليـه رجل على بغل فحدّثه فأدلى البغل ذكره؛ فقال بعض جلسائه : أير هذا البغل فى آست فلان؛ فقال صاحب الدار : ما أنصفتنا! تجلس عندنا وتشتهى الخير لغيرنا! . ٢٠

ذكر شيء من نوادر اللّاطة والغلمان

قيل : رُئى بعض اللاطة مع غلام أسود، فقيــل له : لم رغِبت فى الأسود ؟ فقال : الأسود طيّب النكهة ، كَنِز الأفخاذ ، ملتهب الجوف، رخيص الحِــدْر ، سريع الإجابة، لأنك تدعوه لتنيكه، فيظنّ أنك دعوته لينيكك .

٥ وقيل لآخر : لِم فضّلت الغلام على الجارية ؟ قال : لأنه فى الطريق صاحب، ومع الإخوان نديم، وفى الخلوة أهل .

كتب رجل إلى غلام كان يعشقه :

* وضعت على الثرى خدّى لترضَى *

فكتب اليه الغلام : زن عشرة دراهم، وضع خدّك على خدّى .

١٠ وُجِد شيخ مع صبيّ، فقيل له : يا شيخ، أما تستحى وأنت رجل كبير عاقل! لم لا تحصّن نفسك ؟ فأخرج الشيخ قطعة من فمه فيها قيراط، وقال : والله ما أملك غيرها، وقد رضِى بها هذا الصبيّ، فهل فيكم من يزوّجنى بها ٱبنته حتى أتحصّن !

وُصِف غلام عند بعض اللاطة، فقيل : هو فاسد؛ فقال : فى فساده صلاحى .

قيل للوطىّ : ويحك ! إن من الناس من يسرِق ويزنى ويعمل العظائم سنين ١٥ كثيرة وأمره مستور، فأنت إنما لطت مدّة شهور وقد شُهِرت وٱفتضحت ؛ فقال : من يكون سره عند الصبيان كذا يكون حاله .

نظر بعض اللاطة إلى غلام وأدمن النظر إليه؛ فقال له الغلام : لم هذا النظر؟ فقال : يا سيدى ، أين منزلكم ؟ قال فى النار ، تطلب أثرا بعد عين ! إن من عِظم جهلك أن تؤخر اليوم لغد أو تتبع من لا تأمن العوائق عليه .

٢٠ غضِب سـعيد بن وهب يوما على غلام له ؛ فأمر به فبُطِح ، وكُشِف الثوبُ عنه ليضربه، وقال له : يٱبن الفاعلة ، إنمــا غرتك هذه حتى ٱجترأت علىّ هــذه

الجرأة، وسأُرِيك هوانهـا علىّ. فقال الغلام : طالمـا غرّتك هـذه الآست حتى اجترأت على الله تعـالى، وسترى هوانك عليه . قال سعيد : فورد علىّ من جوابه ما حيرنى وسقط السوطُ من يدى .

استنقع رجل فى المـاء بغير سترة عليه ؛ فمرّ به غلام فأنكر ذلك عليه . فلما نظر الرجل إلى الغلام آنتشر ذكره، فقال للغلام : بأبى أنت ! أردت إماتة منكرٍ فأحييت أنكر منه، وأومأ إلى متاعه .

قال الجاحظ : كان عبد العزيز ذا مالٍ، وكان إذا جاء وقت الزكاة أتاه القوّاد بغلام، فيقول له عبد العزيز : يا بنىّ، ألك أخوات ؟ ألك خالات ؟ ألك عمّات؟ فيقول الغلام نعم. فيقول: هذه العشرة الدراهم، أو هذا الدينار من زكاة مالى، فآدفعه إليهم؛ ثم إن شئت أن تنزل لى على سبيل المكارمة فافعل ؛ فلا يمنعه الغلام نفسه بعد أخذ الدراهم . فغبر عليه ثلاثون سنة، ليست زكاة ماله إلا عند أمهات المؤاجرين وأخواتهم وخالاتهم وعماتهم .

قيل : وآجر لوطىٌّ غلاما وأعطاه درهمين . فلمـا أراد أن يُدخِل متاعه آمتنع الغلام عليه، وقال : آجعله بين الفخذين. فقال الرجل : هو بين فخذىّ منـذ خمسين سنة، فما معنى الدرهمين !

ذكر شىء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سَيّابة لبشّار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمتيه إلا عوّضه عنهما : إمّا الحفظ والذكاء، وإمّا حسن الصوت . فما الذى عوّضك الله عن عينيك؟ قال : فقد النظر (١) لبغيض ثقيل مثلِك ! ثم قال له : ويحك ! من أنت؟ قال

(١) فى إحدى النسخ : «الراحة من النظر ... »

إبراهيم بن سيّابة . قال : لو نُكِح الأسد فى آسته لذلّ ! وكان إبراهيم يُرمَى بذلك .
ثم تمثل بشّار فقال :

لو نُكِح الليث فى آسته خضعا * ومات جوعا ولم ينل شِبعا
كذلك السيف عند هِزّته * لو بصق الناس فيه ما لمعا

٥ ونظير هذه الحكاية ما حُكِى عن بعضهم، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شأنى، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرّة وبيده سِراج ، فلم يزل حتى آنتهى إلى النهر ، وملأ جرّته وعاد . قال : فقلت له : ياهذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلِك ، يستضىء به ئلا يعثر فى الظلمة ، فيقع علىّ ويكسر جرّتى .

١٠ قالوا : بلغ أبا العيناء[٢] أنّ المتوكل يقول : لولا عمى أبى العيناء لآستكثرت منه ؛ فقال : قولوا لأمير المؤمنين : إن كان يريدنى لرؤية الأهلّة ونظم اللآلئ واليواقيت وقراءة نقوش الخواتيم ، فأنا لا أصلُح لذلك ؛ وإن كان يريدنى للمحاضرة والمنادمة والمذاكرة والمسامرة ، فناهيك بى . فانتهى ذلك الى المتوكل فضحك منه ، وأمر بإحضاره ، فحضر ونادمه .

١٥ تزوّج بعض العميان بسوداء ؛ فقالت له : لو نظرت الى حسنى وجمالى وبياضى لآزددت فىّ حبًّا . فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركك لِى البُصَراء .

حكى أبو الفرج الأصفهانىّ عن أبى العباس السائب بن فرّوخ الأعمى مولى بنى ليث ، أو عن بشار الأعمى : أنه هوى آمرأة ذات بعلٍ فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه ففعلت ؛ ثم قال : أرسلى إليه فليأتك ، فأرسلت إليه ،

٢٠ (٢) فى الأصول : « أبا العتاهية » والتصويب عن وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٧٢٠ طبع بولاق) .

فأتاها، بجلس زوجها الى جانبها؛ فقال لها الأعمى[١] : إنك قد وصفت لنا، وما نراك فألمسينا، وقيل : إنه أنشدها :

مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسن * وإنا لا نراك فألمسينا

فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، فنفر وعلم أنه قد كِيد، ونهض قائمـا فقال :

عليَّ أليَّـــةٌ ما دمتُ حيًّا * أمَسُّـــكِ طائعا إلا بعُـودِ

ولا أُهدِى لأرضٍ أنتِ فيها[٢] * سـلامَ اللهِ إلا من بعيدِ

رجوتُ غنيمةً فوضعتِ كفّى * على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ

فخيرٌ منـكِ من لا خيرَ فيــه * وخـيرٌ من زيارتِكم قُعودِى

ذكر شيء من نوادر السؤّال

سأل أبو عونٍ رجلا فمنعه، فألحّ عليه فأعطاه؛ فقال : اللهم آجرنا وإياهم، نسألهم إلحافا ويعطوننا كرها، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يُؤجِرهم عليها .

وقف أعرابىّ سائل على باب وسأل؛ فأجابه رجل وقال : ليس هاهنا أحد. فقال : إنك أحَدٌ لو جعل الله فيك بركة .

ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول فى البالوعة؛ فسمع السائل صوت بولها فظنه نشيش المقلَى، فقال : أطعمونا من هذا الذى تقلونه؛ فضرطت المرأة وقالت : حَطبُنا رَطْبٌ ليس يُشعل .

ووقف سائل على باب وقال : تصدّقوا علىّ فإنى جائع . قالوا : إلى الآن لم نخبز . قال : فكفٌّ سويق . قالوا : ليس عندنا سويق . قال : فشربة من ماء فإنى عطشان .

(١) فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية) : فدخل وزوجها جالس وهو لا يعلم، فجعل يحدثها ساعة وقال لهـا : ما اسمك بأبى أنت ؟ فقالت أمامة؛ فقال : أمامة قد وصفت ... الخ

(٢) رواية الأغانى : * ولا أهدى لقوم أنت فيهم *

قالوا : ما أتانا السقاء . قال : فيسير دهن أجعله فى رأسى . قالوا : من أين لنا دهن .
فقال : يا أولاد الزنا ، فما قعودكم هنا ! قوموا وآشحتوا[1] معى !

ذكر شىء من نوادر من آشتهر بالمجون

كان مُزَبِّد ممن آشتهر بالمجون والنوادر ، وله نوادر . فمنها ما قيل : إنه أخذه
٥ بعض الولاة وقد آتُّهِم بالشُّرْب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ؛ فقال : قيِّئوه .
فقال مزبّد : ومن يضمن عشائى أصلحك الله؟ فضحك منه وأطلقه . وهبّت ريح
شديد فصاح الناس : القيامة ، القيامة ! فقال مزبّد : هذه قيامة على الريق بلا دابة ،
ولا دجّال ، ولا القائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا يأجوج ومأجوج . وقيل له :
لِمَ لا تكون كفلانٍ؟ (يعنون رجلا موسرا) فقال : بأبى أنتم ! كيف أشبَّه بمن يَضْرِط
١٠ فيُشَمَّت[2] وأعطسُ فأُلطم ! . وقيل له : ما بالُ حمارك يتبلّد إذا توجّه نحو المنزل
وحمير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المنقلَب . ونظرت آمرأته
وهى حبلى الى قبح وجهه ، فقالت : الويل لى إن كان الذى فى بطنى يُشبهك .
فقال لها : الويل لك إن لم يكن يشبهنى . وسمع رجلا يقول عن آبن عباس :
مَنْ نوى حِجّةً وعاقه عائق ، كُتِبت له . فقال مزبّد : ما خرج العام كِراء أرخص من
١٥ هذا . وحُكِى عنه : أنه جمع بين رجل وعشيقته فى منزله ، فعاتبها ساعة ومدّ يده اليها ،
فقالت : ليس هذا موضعه . فسمع مزبد قولها فقال : يا زانية ! فأين موضعه !
بين الركن والمقام ! هذه الدار ما بنيت إلا للقحاب والقيادة ، ولا آخذ ثمن أخشابها
إلا من القِمار ، ولا موضعَ أحق منها بهذا .

ومِمن آشتهر بالمجون أشعب .

٢٠ (١) هذه الكلمة عامية . والفصيح فى هذا المعنى «شحذ» أو «سأل» .
(٢) التشمت (بالشين المعجمة والسين المهملة) : الدعاء للعاطس .

ذكر شيء من نوادر أشعب وأخباره

هو أشعب بن جُبَير، وآسمه شُعَيب، وكنيته أبو العلاء، وأمه أم الجلندح، وقيل: أم حميد حميدة (١)، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضى الله عنها. وكان أبوه قد خرج مع المختار بن أبي عُبَيـد؛ فأسره مُصْعَب بن الزبير؛ فقال له: ويلك! تخرج عليّ وأنت مولاى! وقتله صبرا. وقد قيـل فى ولائه: إن أباه مولى عثمان آبن عفّان رضى الله عنه، وإن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب، وإن ميمونة أمّ المؤمنين أخذتها لمّـا تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت تدخل على أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيستظرِفنها؛ ثم صارت تنقل أحاديث بعضهنّ الى بعض، وتُغرِى بينهن. فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت. وقد حُكِى عن أشعب: أنه جلس يوما فى مجلس فيه جماعة، فتفاخروا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شِعره وغير ذلك مما يتمدّح به الناس ويتفاخرون؛ فوثب أشعب وقال: أنا آبن أمّ الجلندح، أنا آبن المحرّشـة بين أزواج النبيّ صـلى الله عليه وسلم. فقيل له: ويلك! أو بهذا يفتخر الناس! قال: وأىّ آفتخار أعظم من هذا! لو لم تكن أمّى عندهن ثقةً لمـا قَبِلن روايتها فى بعضهنّ بعضا. وقد حُكى: أنها زنت، فحُلِقت، وطِيف بها على جمل، فكانت تنادى على نفسها: من رآنى فلا يَزْنِيَنّ. فقالت لهـا آمرأة: نهانا الله عزّ وجل عنـه فعَصَيناه، ونُطيعك وأنت مجلودة محلوقة، راكبة على جمل!. ونشأ أشعب بالمدينة فى دور آل أبي طالب، وكَفَلته وتولّت تربيته عائشة بنت عثمان. وعُمِّر أشعب عمرًا طويلا. وحُكى عنه أنه قال: كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار لمّـا حُصِر؛ فلما جرّد ممـاليكه السيوف ليقاتلوا كنت فيهـم؛ فقال عثمان: من أغمد سيفه فهو حرٌّ. فلمـا

(١) فى الأغانى: «كان يقال لأمه أم "الخلندج" وقيل أم جميل وآسمها حميدة».

وقعت فى أذنى كنت والله أول من أغمد سيفه فعُتِقت . وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة . وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

وقد روى أبو الفرج الأصفهانىّ بإسناد رفعه الى إبراهيم بن المهدىّ عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده فى سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمان بن عفان . وعمّر أشعب حتى هلك فى أيام المهدىّ . قال : وكانت فى أشعب خِلال ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عِشرة ، وأكثرهم نادِرة، وكان أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة، وكان آمرأً منهم . وقال مصعب بن عبد الله: كان أشعب من القرّاء حسن الصوت بالقراءة، وكان قد نسك وغزا، وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعىّ : قال أشعب : نشأت أنا وأبى الزِّناد فى حجر عائشة بنت عثمان؛ فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . وقال إسحاق آبن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنّى أصواتا فيُجيدها . وفيه يقول عبد الله آبن مُصْعَب الزبيرى عفا الله عنه :

اذا تمززت صُراحِيّة[1] * كمثل ريح المِسك أو أطيبُ
ثم تغنّى لى بأهزاجه * زيد أخو الأنصار أو أشعبُ
حسِبت أنى مَلِكٌ جالسٌ * حَفّت به الأملاك والموكب
وما أبالى وإلهِ العلا[2] * أشَرّقَ العالم أم غَرّبوا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة، وقد آن أن نذكرها . فمنها ما حُكى أنه كان يقول : كلبى كلب سوء، يبصبص للأضياف، وينبح على أصحاب الهدايا . وقيل له : قد لَقِيتَ رجالًا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم فلو حَفِظت

(١) الصراحية : آنية الخمر . (٢) فى الأغانى : « وإله الورى » .

أحاديث تحدّث بها! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث. قيل : فحدِّثنا . قال : حدّثنى عِكْرِمة عن آبن عبّاس رضى الله عنهم قال : خَلّتان لا تجتمعان فى مؤمن إلا دخل الجنة، ثم سكت . فقيل له : هاتِ، ما الخلتان؟ قال : نسِى عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى . وكان أشعب يحدّث عن عبـد الله بن عمر رضى الله عنهما فيقول : حدّثنى عبد الله ، وكان يُبْغضنى فى الله . وكان أشعب يلازم طعام سالم بن عبد الله ٥ آبن عمر رضى الله عنهم . فآشتهى سالم أن يأكل مع بناته فخرج الى البستان؛ فجاء أشعب الى منزل سالم على عادته؛ فأُخبر بالقِصـة ؛ فاكترى جملا بدرهم وجاء الى البستان . فلمـا حاذى الحائط وثب فصار عليـه ؛ فغطّى سالم بناتِه بثوبه وقال : بناتى بنـاتى ! فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) . ١٠

قال أشعب : جاءتنى جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك؛ فجعلتُه بين ثِنْى الفِراش . فجاءت بعد أيام وقالت : بأبى أنت! الدينار؛ فقلت آرفعى فراشى وخذى ولده فإنه قـد ولد ، وكنت قـد تركت الى جنبه دِرهمـا، فأخذتِ الدرهم وتركت الدينار. وعادت بعد أيام فوجدت معه درهمـا آخر فأخذته ، وفى الثالثة كذلك . وجاءت فى الرابعة، فلما رأيتها بكيتُ؛ فقالت : ما يُبكيك ؟ قلت : مات دينارك ١٥ فى النفاس . فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسـقة ! تُصَدِّقين بالوِلادة ولا تصدّقين بالنفاس ! .

ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المدائنىّ، قال : قال أشعب : تعلّقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عنِّى الحِرْص والطلبَ إلى النـاس؛ فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يُعطنى أحدٌ شيئا . فجئت الى أُمى ، فقالت : مالك قد جئت خائبـا ؟ ٢٠ فأخبرتها بذلك؛ فقـالت : والله لا تدخل حتى ترجـع فتستقيل ربك . فرجعت

فجعلت أقول : يا ربّ أقلني ، ثم رجعت ، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطونى، ووُهِب لى غلام؛ فجئت الى أمى بجمال موقرة من كل شىء . فقالت: ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهبوه لى . فقالت : أىّ شىء هذا ؟ فقلت : غين . قالت : أىّ شىء [غين][1] ؟ قلت : لام . قالت: أىّ شىء [لام][1] ؟ [قلت : ألف . قالت : وأى شىء ألف][1] ؟ قلت : ميم . قالت : وأىّ ميم ؟ قلت : غلام ؛ فغُشِى عليها . ولو لم أقطِّع الحروف لماتت الفاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما الى جانب مروان بن أبان بن عثمان ؛ فانفلتت من مروان ريح لها صوت ؛ فانصرف أشعب يوهم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح . فلما آنصرف مروان الى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية ، قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التى تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ؛ فلم يدعه حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

(١٣) وقال محمد بن أبى قبيلة : غذّى أشعب جديًا بلبن أمّه وغيرها حتى بلغ غاية ، ثم قال لزوجته أمّ آبنه وردان : إنى أحبّ أن ترضعيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به الى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : تالله إنه لأبنى، رضع بلبن زوجتى، قد حبوتك به ، ولم أر أحدا يستأهله سواك . فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذُبح وسُمِط . فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة؛ فقال : ما عندى والله اليوم شىء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك . فلما يئس أشعب منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر، ثم آندفع فشهَق حتى التقت أضلاعه، ثم قال : أَخْلِنى . قال : ما معنا أحد يسمع، ولا عليك عين . قال : وثب آبنك إسماعيل على آبنى فذبحه وأنا أنظر اليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك! وفِيمَ؟ وتريد ماذا؟ قال :

(١) التكملة عن الأغانى (ج ١٧ ص ٨٥ طبع بولاق) .

أمّا ما أريد فوالله مالى فى إسماعيــل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك . بجزاه خيرا وأدخله منزله وأخرج اليه مائتى دينار فقال : خذ هذه، ولك عندنا ما تحبّ . قال : وخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مسترسل فى مجلسه ، فلما رأى وجه أبيه أنكره وقام إليــه، فقال : يا إسماعيل، فعلتها بأشــعب! قتلت ولده؟ قال : فاستضحك وقال : جاءنى، وأخبره الخبر . فأخبره أبوه بمــا كان منــه وما صار إليــه . قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رُعْتنى راعك الله ! فيقول : روعة ٱبنك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمــائتى الدينار .

قال المدائنىّ : دخل أشعب على الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، وعنده أعرابىّ قبيح المنظر، مختلف الخِلقة؛ فسبّح أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبى أنت وأمى، أتأذن لى أن أسلح عليــه؟ فقال : إن شئت . ومع الأعرابىّ قوس وكنانة ، ففوّق نحــوه سهما، وقال : والله لــئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها . فقــال أشعب للحسين : جُعلتُ فِداك، أخذنى القُولَنْج[1] . وعنه قال : توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى . فقيل له : لِمَ تركت غسل اليمنى؟ فقال : لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : «أمتى غُرٌّ محجَّلون من آثار الوضوء»[2] وأنا أحب أن أكون أغرّ محجّلا مطلق اليمين . وقال : سمع أشعب حُبَّى المدنيّة تقول : اللهم لا تمتنى حتى تغفر لى ذنوبى؛ فقال لها : يا فاسـقة ! أنت لم تسألى الله تعالى المغفرة، وإنمــا سألته عمر الأبد! (يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا) .

وقال الزبير بن بكّار : كان أشعب يوما فى المســجد يدعو، وقد قبّض وجهه

(١) القولنج (بضم القاف وقد تفتح، وبفتح اللام وقد تكسر) : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٢) الذى فى الجامع الصغير : «أمتى يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء» .

فصيّره كالصُّبْرة[1] المجموعة . فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فخصّبه وناداه : يا أشعب، إنما أنت تناجى ربك فناجه بوجه طليق . قال : فأرخى لَحْييه حتى وقعا على زَوْرِه[2] . قال : فأعرض عنه، وقال : ولا كلّ ذا .

وقال مصعب : بلغ أشعب أنّ الغاضرىّ قد أخذ فى مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة آستطابوه؛ فرقّبهم حتى علم أنه فى مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحِكهم، فصار اليهم، ثم قال : قد بلغنى أنك قد نحوت نحوى، وشغلت عنى من كان يألفنى؛ فإن كنت مثلى فافعل كما أفعل . ثم غضّن وجهه وعرّضه وشنّجه، حتى صار عرضُه أكثر من طوله ، وصار فى هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر فى سيف؛ ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار فى ظهره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر، ثم نزع سراويله، وجعل يمد جِلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلّاهما من يده ، وجعل يميس، وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال . فضحِك القوم حتى أغمى عليهم، وقُطع بالغاضرىّ فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء، لا أعاود ما تكره أبدا، إنما أنا عبدك وتخريجك؛ ثم انصرف أشعب وتركه .

وقال الزبير بن بكّار: حدثنى عمّى، قال : لِقى أشعبَ صديقٌ لأبيه، فقال له : ويلك يا أشعب ! كان أبوك الحى وأنت أقطّ[3] ، فإلى من خرجت تشبه ؟ قال : إلى أمّى .

(١) كذا فى الأغانى . والصبرة : المناسب من معانيها هنا أن تكون بالضم بمعنى الكومة المجتمعة من الطعام وغيره . وفى الأصول : « كالشعرة » . ولم نجد لها معنى مناسبا .

(٢) الزور : وسط الصدر . (٣) الأقط : القصير الشعر .

وقال الهيثم بن عدى : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألوننى عن أحاديث الملوك، ويعطوننى عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقى أشعبَ سالمُ بنُ عبد الله بن عمر، فقال له : يا أشعب، هل لك فى هريس أُعِدّ لنا ؟ قال : نعم، بأبى أنت وأمى . فمضى أشعب إلى منزله؛ فقالت له آمرأته : قد وجّه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعانى اليها، وعبد الله بن عمرو فى يدى متى شئت، وسالم إنما دعوتُه للناس فلتة، وليس لى بدٌّ من المضىّ اليه . قالت : إذًا يغضب عبد الله . قال : آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكلَ متعالِلٍ . فقال له : كل يا أشعب، وآبعث ما فضل عنك إلى منزلك . قال : ذلك أردت، بأبى أنت وأمّى . قال : فقال : ياغلام، آحمل هذا إلى منزله، فحمله ومشى أشعب معه . فقالت آمرأته : ثكلتك أمُّك، قد حلف عبدالله لا يكلّمك شهرا؛ قال : دعينى وإياه، هاتى شيئا من زعفران؛ فأعطته، فأخذه ودخل الحمّام، فمسحه على وجهه وبدنه، وجلس فى الحمام حتى صفّره، وخرج متوكئا على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رآه حاجبه قال : ويحك ! بلغتْ بك العلّةُ ما أرى . ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له . فلما دخل عليه، إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد فى الرعدة، ويقارب الخطو، وجلس وما كاد أن يستقِلّ . فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب فى غضبنا عليك . فقال له سالم : ويلك ! مالك ؟ ألم تكن عندى آنفا وأكلت هريسة ! قال : لقد شُبّه لك، لاحول ولا قوة إلا بالله . قال : لعل الشيطان يتشبّه بك . قال أشعب : علىّ وعلىّ إن كنت رأيتك منذ شهر . فقال له عبد الله : آعزُب ويلك عن خالى ! أتبهته لا أمّ لك ! قال : ماقلتُ إلا حقّا . قال : بحياتى آصدُقْنى وأنت آمن

من غضبي . قال : وحياتِك لقد صدق؛ وحدّثه بالقصة؛ فضحك حتى آستلق على قفاه .

وقال المدائنيّ والهيثم بن عديّ : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أشعب بعد ما طلّق آمرأته سعدة، فقال له : يا أشعب، لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تُبَلِّغ رسالتى سعدة . فقال له : أحضر المال حتى أنظر اليه، فأحضر الوليد بَدْرة، فوضعها أشعب على عنقه، وقال : هات رسالتك . قال : قل لها يقول لك :

أسعدةُ هل اليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامةِ من تلاقِ

بلى! ولعلّ دهرًا أن يؤاتى * بموتٍ من حليلك أو طلاقِ

فأُصبِحَ شامتًا وتَقَرَّ عينى * ويجمعَ شملَنا بعد آفتراقِ

قال : فأتى أشعب الباب فأُخبِرتْ بمكانه، فأمرت ففُرِش لها فرش وجلست وأذِنت له؛ فدخل فأنشدها . فلما أنشد البيت الأوّل :

أسعدةُ هل اليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامةِ من تلاقِ

قالت : لا والله، لا يكون ذلك أبدا . فلما أنشد البيت الثانى :

بلى! ولعلّ دهرا أن يؤاتى * بموتٍ من حليلك أو طلاقِ

قالت : كلّا إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به . فلما أنشد البيت الثالث :

فأُصبِحَ شامتا وتقرَّ عينى * ويُجمعَ شملُنا بعد آفتراق

قالت : بل تكون الشماتة به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : ياسيّدتى، إنها عشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنّك أو تبلّغه كما بلّغتنى . قال : وما تهبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحتى . قال : قومى عنه؛ فقامت، فطواه، ثم قال : هاتى رسالتك، جُعلت فداكِ! قالت : قل له :

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَها * فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ ؟

فأقبل أشعب، حتى دخل على الوليد، فأنشده البيت. فقال : أوه قتلتنى والله! فما ترانى صانعا بك يا ٱبن الزانية ! اِختَرْ إمّا أنْ أُدليك مُنَكَّسًا فى بئر، أو أرميَك من فوق القصر منكّسا ، أو أضربَ رأسك بعمودى هـذا ضربة . قال له : ماكنتَ فاعلًا بى شيئا من ذلك . قال : ولم؟ قال : لأنك لم تكن لتعذِّب عينين قد نظرتا إلى سُعْدة! قال : صدقت يا ٱبن الزانية !

وقال الهيثم بن عدىّ : كتب الوليـد بن يزيد فى إشخاص أشـعبَ من الحجاز إليـه ، فحمل على البريد، فلما دخل، أمر أن يُلبس تُبَّانًا[1] و يُجعل له فيه ذنب قرد، وتشدّ فى رجليـه أجراس، وفى عنقه جلاجل، ففُعل ذلك به، فدخل عليـه وهو عجب من العجب، فلما رآه ضحك منه، وكشف عن ذكره، قال أشعب : فرأيته كأنه ناىٌ مدهونٌ، فقال : اسجد للأصمّ ويلك! يعنى : أيره، فسجدت، ثم رفعت رأسى فسجدت أخرى، فقـال لى : ما هـذا؟ فقلت : الأولى للأصمّ والثـانية لخصيتيك، فأمر بنزع ما كان ألبسنيه ووصلنى ولم أزل من ندمائه حتى قُتِل .

وروَى أبو الفرج الأصفهانىّ بإسناده إلى إبراهيم بن المهدىّ عن ٱبن أشعب عن أبيه، قال : دُعِى ذات يوم بالمغنّيين إلى الوليد بن يزيد، وكنت نازلًا معهم، فقلت للرسـول : خذنى فيهم؛ قال : لم أؤمر بك، إنما أمرت بإحضار المغنيين ، وأنت بَطّال لا تدخل فى جملتهم . فقلت له : أنا والله أحسن غناءً منهم؛ ثم ٱندفعت فغنّيت . فقال : لقد سمعتُ حسنا، ولكن أخاف . قلت : لاخوف عليك؛ ولك مع ذلك شرط . قال : وما هو ؟ قلت : كل ما أصبت فلك شـطره؛ فأشهد علىّ

(١) التبان (بوزن رمان) : سراويل قصير يستر العورة .

الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لَقِس النفس؛ فغنّاه المغنّون فى كل فنّ فلم يتحرّك ولم يَنْشَط . فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره؛ فقال: بينه وبين آمرأته شرّ، لأنه عشِق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألّا يذكرها أبدًا بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأبجر إلينا، وجلس ثم آندفع يغنّى :

فبِينِى فإنى لا أُبالى وأيْقِنِى * أصعّد باقى حبّكم أم تَصَوَّبا
ألم تعلمى أنى عَزُوفٌ عن الهوى * إذا صاحبى من غير شىء تَغَضَّبا

فطَرِب الوليد وآرتاح، وقال للأبجر : أصبت والله يا عُبَيد ما فى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سَكِر، ولم يحظَ أحدٌ بشىء سوى الأبجر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبتُ فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربنى مائة سوط الساعة بحضرته! فضحك، ثم قال: قبّحك الله! وما السبب فى ذلك؟ فأخبرته بقصّتى مع الرسول، وقلت له : إنه بدأنى بالمكروه فى أوّل يومه فاتصل علىّ (1) إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدى مثلها . فقال : لقد لطّفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا عوض الخمسين التى أراد أخذها من أشعب، فقبضتُها وآنصرفت .

وقال عُبَيدة بن أشعب : غضبت سُكَينة على أبى فى شىء خالفها فيه، فحلفتْ لَتَحْلِقنّ لحيته. فقال له الحجّام : آنفُخ أشداقك حتى أتمكن منك؛ فقال له أشعب : يآبن البظراء، أمرتْك أن تحلق لحيتى أو تعلّمنى أزمر! أخبرنى عن آمرأتك إذا أردت أن تحلق حِرَها تنفخ أشداقه! فغضب الحجّام وحلف ألّا يحلق لحيته وآنصرف . فبلغ سكينة الخبر، فضحكت وعفت عنه .

(1) فى الأغانى : « بما اتصل » .

قال آبن زَبَنَّج[1] : كان أبَان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم[2]، فبينا نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابىّ معــه جمل ، والأعرابىّ أشقر أزرق أزعر يتلظّى كأنه أفعى ، والشرّ بيِّنٌ فى وجهه، مايدنو منــه أحد إلا شتمه ونهره ؛ فقال أبان : هذا والله من البادية[3]، ادعوه لى، فدعوه له وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ؛ فأتاه فسلّم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له . فقال له أبان : حيّاك الله يا خال، اجلس، فجلس . فقال له : إنى أطلب جملًا مثل جملك هــذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمــد لله الذى جعل ظَفَرِى به عند من أُحبّه، أتبيعُنيه ؟ فقال: نعم أيها الأمير . قال: فإنى قد بذلت لك به مائة دينار ؛ فطمِع الأعرابىّ وسُرّ بذلك وآنتفخ، وبان الطمع فى وجهه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب ! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك (يعنى : فى الطمع) فأوسِعْ له مما عنــدك ؛ قال : نعم، بأبى أنت وزيادة . فقال له أبان: يا خال، إنمــا زدتك فى الثمن على بصيرة أنّ الجمل يساوى ستين دينارا ، ولكنى بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإنى أُعطيك عُرُوضا تساوى مائة دينار؛ فزاد طمع الأعرابىّ وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير . وأسرّ أبان الى أشعب، فأخرج شيئا مغطًّى، فقال له: أخرج ما جئت به ؛ فأخرج جرد عمامة تساوى أربعة دراهم . فقال له : قوِّمها يا أشعب . فقال : عمامة الأمير يشهد فيها الأعيادَ والجُمَع ويلقَى فيها الخلفاء! خمسون دينارا . قال: ضعها بين يديه، وقال لآبن زَبَنّج : أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووُضعت العمامة بين يدى الأعرابىّ ؛

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢ طبع بولاق) . وزبنج بفتح الزاى والباء وفتح النون مشدّدة، راوية ابن هرمة . وفى الأصول « ربيح » وهو تصحيف .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «وأولعهم» وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « البابة » .

فكاد يدخل بعضه فى بعض غيظا، ولم يقـدر على الكلام . قال: هات قَلَنْسُوَتى، فأخرج قلنسوةً طويلة خَلَقاً[1] قد علاها الوسخ والدُّهْن وتخرّقت تساوى نصف درهم. قال : قوِّم؛ فقال : قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلّى فيها الصلوات الخمس، ويجلس فيها للحكم! ثلاثون دينارا . قال: أثبِتْ، فأثبت ذلك، ووُضعت القلنسوة بين يدى الأعرابىّ فاربدّ وجهه وجحظت عيناه وهمّ بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل . ثم قال لأشعب: هاتِ ما عندك؛ فأخرج خُفَّين خَلَقَين قد نُقبا وتقشّرا وتفتّتا، فقال : قَوِّمْ؛ فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبىّ صلى الله عليه وسلم! أربعون دينارا، فقال: ضَعْهما بين يديه. ثم قال للأعرابى: أُضمم اليك متاعك، وقال لبعض الأعوان : آمضِ مع الأعرابىّ وآقبض ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون دينارا . فوثب الأعرابىّ فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو فى شدّة الرمى، ثم قال له : أتدرى فى أى شىء أموت؟ قال لا؛ قال : لم أُدرك[2] أباك عثمان فأشترك والله فى دمه إذ وَلَد مثلك! ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره؛ وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه . فكان الأعرابىّ بعد ذلك إذا لقِى أشعب يقول له : هلمّ إلىّ يابن الخبيثة، حتى أكافئك على تقويمك[3] المتاع يوم قوّمت؛ فيهرُب منه أشعب .

ونقل الزبير بن بكار عن عمه : تظلّمت آمرأة أشعب منه الى أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، فقالت : لا يَدَعُنى هذا من كثرة الجماع؛ فقال له أشعب: أترانى أُعلَف ولا أركَب؟ فلتكفف ضرسها لأكفّ أيرى .

---

(١) فى الأصل «خلقة» وهو خطأ؛ يقال: ثوب خلق وجبة خلق بغير هاء .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول: «كيف لا أدركت» .

(٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصول: «قيمتك»، وهو تحريف .

وقال المدائنيّ : حدّثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت آمرأة شديدة العين، لا تنظر الى شيء فتستحسنه إلا عانته ؛ فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لابنته : يا بنية ، إذا أنا مت فلا تندبيني ، والناس يسمعونك ، وتقولين : وا أبتاه ، أندبك للصوم والصلاة ، للفقه والقرآن ، فيكذّب الناس و يلعنونني . ثم آلتفت فرأى المرأة ، فغطّى وجهه بكمه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت آستحسنت شيئا مما أنا فيــه ، فصلى على النبيّ صلى الله عليه وسـلم ولا تُهلكيني ؛ فغضبت المرأة وقالت : سخِنت عينك ! وفي أي شيء أنت ممــا يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! قال : قــد علمت ، ولكن قلتُ لئلا تكوني[1] قد آستحسَنت خفة الموت عليّ وسهولة النزع ، فيشتدّ ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهي تسبّه ، وضحك من كان حوله من كلامه ومات .

ذكر شيء من نوادر أبي دُلَامة

هو أبو دُلَامة زَنْد بن الجَوْن . و زند بالنون . وهو كوفيّ ، أسود ، مولى لبني أسد ؛ كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصافص ، فأعتقه . وأدرك آخر زمن بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع الى أبي العباس السفّاح وأبي جعفر المنصور والمهــديّ ، وكانوا يقدّمونه و يفضّلونه و يستطيبون مجالسته ونوادره .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : كان أبو دُلامة رديء المذهب ، مرتكبا للمحارم ، مُضيِّعا للفروض ، متجاهرا بذلك ؛ وكان يُعْلَم هــذا منه و يُعْرَف به ، فيُتجافَى عنــه للطف محلّه . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما نثبت في هذا الموضع ما له من نادرة أو حكاية مســتظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبي جعفر المنصور ،

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : «ولكن قد لا تكونين» وهو تحريف .

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلُبْس السواد والقلانس الطوال، تُدعم[1] بعيدان من داخلها، وأن يعلّقوا السيوف فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) . فلما دخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزىّ قال له المنصور : ما حالك ؟ قال : شرُّ حال يا أمير المؤمنين، وجهى فى نصفى، وسيفى فى آستى، وقد صَبَغتُ بالسواد ثيابى ونبذتُ كتاب الله وراء ظهرى؛ ثم أنشد :

٥

وكنا نرجى مِنحةً من إمامنا * فجاءت بطُولٍ زاده فى القَلانِس
تراها على هام الرجال كأنها * دِنانُ[2] يهودٍ جُلِّلَتْ بالبَرَانِس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذّره من ذلك، وقال : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

١٠ وحكى عنه : أنه كان واقفا بين يدى السفاح أو المنصور، فقال له : سلنى حاجتك؛ فقال أبو دلامة : كلب صيد؛ قال : أعطوه إياه . قال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب ويتصيّد به؛ قال : أعطوه غلاما . قال : وجارية تُصلح لنا الصيد وتُطعمنا منه؛ قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال[3] فلا بدّ لهم من دار يسكنونها؛ قال : أعطوه دارًا تجمعهم .

١٥ قال : فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائة جَرِيب[4] عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة؟ قال : مالا نبات فيه . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد . فضحك وقال :

(١) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ١ طبع بولاق) . وفى الأصول : «وتدعم» .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «ديار» وهو تحريف .
٢٠ (٣) فى الأغانى : «عبيدك» .
(٤) الجريب : مقدار معين من مساحة الأرض .

آجعلوا المــائتين كلها عامرة . قال : فأْذَنْ لى أن أقبِّــل يدك ؛ قال : أمّا هـــذه فدعها ، فإنى لا أفعل . قال : والله ما منعت عيالى شيئا أقلَّ عليهم ضررا منها .

ورُوِى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

إنّ الخليط أجدّوا البين فآنتجعوا * وزوّدوك خبالًا بئس ما صنعوا

والله يعلم أنْ كادت، لبينهم * يومَ الفراق، حصاةُ القلب تنصدع

عجبتُ من صِبْيتى يومًا وأمِّهِمُ * أمِّ الدّلامة لمّـا هاجها الجـزع

لا بارك الله فيهـا من مُنَبِّهـةٍ * هبّتْ تلوم عيالى بعـد ما هَجَعوا

ونحن مُشتبهو الألوان ، أوجهنا * سـود قباح، وفى أسمائنـا شُنَعُ

إذا تَشَكَّتْ إلىّ الجوعَ ، قلتُ لها * ما هاج جوعَك إلا الرِّىُّ والشِّبَعُ

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا[1] * على الخليفة منـه الرىّ والشبع

لا والذى يا أمـير المؤمنين قضى * لك الخـلافة فى أسبابها الرِّفَعُ

ما زلت أُخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيـالى ثم تضطجع

شـوهاءُ مَشْناةٌ[2] فى بطنهـا ثَجَلٌ[3] * وفى المَفَاصـلِ من أوصافها فَدَعُ[4]

ذَكّرتُها بكتابِ الله حُرْمَتَنـا * ولم تكن بكتاب الله ترتجـعُ

فآخرَنْطَمتْ[5] ثم قالت وهى مُغْضَبةٌ[6] * أأنت تتلو كتاب الله يا لُكَـعُ!

(١) ورد هذا البيت فى الأصول : «قالت أذابك قد صارت الخ ... » . وهو تحريف . وقد أورد صاحب الأغانى هذا البيت على أنه رواية أخرى فى البيت قبله وهى الرواية الجيدة . ولذلك كانا متحدى القافيـــة .

(٢) مشناة : قبيحة . (٣) الثجل : عظم البطن وآسترخاؤه .

(٤) الفدع : اعوجاج الرسغ فى اليد أو الرجل .

(٥) آخرنطمت : رفعت أنفها آستكبارا أو غضبا .

(٦) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « مصغية » وهو تحريف .

أخرجْ تَبَغَّ لنا مالًا ومَزْرعةً * كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ
وٱخْدَعْ خليفتنا عنّا بمسألةٍ * إنّ الخليفة للسؤّال ينخدع

قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتى جريب عامرة — ويروى بستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال : أنا أُقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنّجف ، وإن شئت زدتُك . فضحك وقال : آجعلوها كلها عامرة .

قال : ولمّا توفّى السفّاح دخل أبو دُلامة على المنصور والناس عنده يعزّونه ، فقال :

أمسيتَ بالأنبارِ يابنَ محمد * لم تَستطعْ عن عُقْرِها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلِّهم * ويلًا وعَوْلًا فى الحياة طويلًا
فَلْتَبْكِيَنّ لك السماءُ بعَبْرةٍ * ولتبكينّ لك الرجالُ عويلا
مات الندى إذ متّ يابن محمد * فجعلته لك فى التراب عديلا
إنى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم * فوجدتُ أسمحَ من سألتُ بخيلا
ألِشقوتى أُخِّرتُ بعدك للتى * تدعُ العزيز من الرجال ذليلا؟
فَلأَحْلِفنّ يمينَ حقٍّ برّةٍ * تالله ما أُعطيتُ بعدك سولا

قال : فأبكى الناس قولُه . فغضب المنصور غضبًا شديدًا وقال : إن سمعتُك تُنشد هذه القصيدة لأقطعنّ لسانك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مُكرما ، وهو الذى جاء بى من البدو ، كما جاء الله بإخوة يوسف اليه ؛ فقل كما قال يوسف : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . فسُرِّىَ عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دُلامة ، فسل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعلم ذلك؟ قال : هؤلاء (وأشار الى جماعة ممن حضر) فوثب سليمان ابن مُجالد وأبو الجهم فقالا : صدَق أبو دُلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى

أيّوب الخازن [وهو مغيظ][1] : ياسليمان آدفعها اليـه وسيِّره الى هـذا الطاغية (يعنى عبد الله بن علىّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف) فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين، أُعيذُك بالله أن أخرُج معهم، ووالله إنى مشئوم . قال المنصور : امض فإن يُمْنِى يغلب شُـؤمَك . فقال : يا أمير المؤمنين، والله ما أُحبّ أن يجرّب ذلك منّى على مثل هذا العسكر، فإنى لا أدرى أيّهما يغلب : يمنك أو شؤمى؛ إلّا أنى بنفسى أوثق وأعرَف وأطولُ تجربة . فقال : دَعْنى وهذا، فمالك من الخروج بدّ . قال : فإنى أصْـدُقك الآن، شهدت والله تسعةَ عشر عسكرًا كلها هُزِمت، وكنت سببها، فإن شئتَ الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل . فضحك المنصور وأمره أن يتخلّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

وعن جعفر بن حسين اللّهْبىّ قال : حدثنى أبو دُلامة قال : أُتِى بِى المنصور أو المهدىّ وأنا سكران، فحلف ليُخْرِجَنِّى فى بَعْث حرب، فأخرجنى مع رَوْح بن حاتم المهلّبىّ لقتال الشُّراة[2] . فلمـا آلتقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أنّ تحتى فرسَك ومعى سـلاحك لأثّرت فى عدوّك اليوم أثرًا ترتضيه ! فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ اليك ذلك ولآخذنّك بالوفاء بشَرْطك؛ فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلىّ ، ودعا بغيره فاستبدل به . فلمّا حصل ذلك فى يدى قلت : أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتا فاسمعها . قال : هات، فأنشدته :

إنى آستجرتُك أن أقدّمَ فى الوغَى * لِتَطَاعُنٍ وتَنازُلٍ وضِرَابِ
فهَبِ السيوفَ رأيتُها مشهورةً * وتركتُها ومضيتُ فى الهُـرّاب
ماذا تقول لِمَـا يجىء ولا يُرَى * من بادرات الموتِ بالنُّشّـاب

(١) زيادة عن الأغانى .
(٢) الشراة : الخوارج الذين شروا أنفسهم [أى باعوها] فى طاعة الله بالجنة .

(١٨) فقال : دع هـذا عنـك، وبَرَز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال : اخرج اليـه يا أبا دُلامة . فقال : أَنْشُـدك اللهَ أيها الأمير فى دمى . فقال : والله لَتَخْرُجنّ! فقلت : أيها الأمير، فإنه أوّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما تَنبعِث منى جارحةٌ من الجوع، فمُرْ لى بشىء آكُلُه ثم أخرُج؛ فأمر لى برغيفين ودَجاجة ؛ فأخذت ذلك وبرزت عن الصفّ . فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فروٌ قد أصابه المطر فابتلّ، وأصابته الشمس فاقفعلّ(١) وعيناه تَقِدان، فأسرع إلىّ؛ فقلت : على رِسْلك يا هذا! فوقف؛ فقلت : أتقتل من لايقاتلك؟ قال لا . قلت : أتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال لا . قلت : أفتستحلّ ذلك قبل أن تدعو من تقاتله الى دينك؟ قال : لا، فاذهب عنى الى لعنة الله، فقلت : لا أفعل أو تسمعَ منى. قال : قل. فقلت : هل كانت بيننا عداوة أو تِرَةٌ أو تعرفنى بحالٍ تُحْفِظك علىّ أو تعلم بينى وبين أهلك وِترا؟ قال : لا والله؛ قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل [الرأى](٢)، فإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك. فقال : يا هذا، جزاك الله خيرا فانصرِفْ. قلت : إنّ معى زادًا أريد أن آكله وأُريد مؤاكلتك لتتوكّد المودّة بيننا ويرى أهلُ العسكرين هوانَهم علينا؛ قال : فافعل . فتقدّمت اليه حتى آختلفت أعناق دوابّنا وجمعنا أرجلنا على مَعَارِفها وجعلنا نأكل والناس قد غُلبوا ضحكا . فلما آستوفينا ودّعنى، ثم قلت له : إن هـذا الجاهل، إن أقمتَ على طلب المبـارزة نَدَبنى اليك فتتعَب وتُتعبنى، فإن رأيت ألّا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت؛ فآنصرف وآنصرفت . فقلت لروح : أمّا أنا فقد كفيتُك قِرْنى ، فقل لغيرى يكفيك قِرْنَه كما كفيتك . وخرج آخر يدعو الى البِراز؛ فقال لى : اخرج اليه، فقلت :

(١) اقفعل : تقبض . (٢) زيادة عن الأغانى .

إنى أعوذ برَوْح أن يُقَــدِّمَنى * الى القتال فتخزَى بى بنو أسَدِ
إن البِرازَ الى الأقــران أعلمَــه * ممــا يُفَرّق بين الرُّوح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ رُصِدتَ لها * وأصبحت لجميع الخلق كالرَّصَد
إنّ المهلّبَ حُبَّ الموت أورثكم * فما ورِثتُ آختيارَ الموت عن أحدِ
لو أنّ لى مهجةً أخرى لجُدْتُ بها * لكنها خُلقت فردًا فلم أَجُدِ ٥

قال : فضحك روح وأعفانى .

قال : وشرب أبو دُلامة فى بعض الحانات وسكِرَ، فمشى وهو يميــل ، فلقيــه العَسَس فأخذه ؛ فقيل له : من أنت؟ وما دينك؟ فقال :

دِينى على دين بنى العبّـاسِ * ما خُتِمَ الطِّين على القِرْطاسِ
إذا آصطحبتُ أربعًا بالكاسِ * فقــد أدار شَرْبُهــا براسى ١٠
* فهل بما قلت لكم من باسِ *

فأخذوه وخرقــوا ثيابَه وساجه(١)، وأُتى به الى أبى جعفر، فأمَر بحبسه مع الدَّجاج فى بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرّةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع صــوت الدّجاج وزُقَاء(٢) الديك . فلمّــا أكثر قال له السـجّان : ما شأنك ؟ قال : ويلك! من أنت ؟ وأين أنا؟ قال : أنت فى الحبس، وأنا فلان ١٥ السجّان . قال : ومَنْ حبَسنى ؟ قال : أميرالمؤمنين . قال : ومن خرّق طيلَسانى؟ قال : الحرس . فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعــل فأتاه ؛ فكتب الى أبى جعفر المنصور يقول :

أميرَ المؤمنــين فَدَتْك نفسى * عَلَامَ حبستَنى وخَرَقْتَ ساجى

(١) الساج : الطيلسان . ٢٠
(٢) الزقاء : الصياح .

أمِنْ صهباءَ صافيةِ المِزاجِ * كأنّ شعاعها لَهَبُ السِّراجِ
وقد طُبِخَتْ بنارِ الله حتى * لقد صارت من النُّطَفِ النِّضَاجِ
تَهَشُّ لها القلوب وتشتهيها * اذا بَرَزَتْ تَرَقْرَقُ فى الزُّجَاجِ
أُقَاد الى السجون بغير جُرْمٍ * كأنى بعضُ عمّال الخراجِ!
٥ فلَوْ معهم حُبِستُ لكان سهلا * ولكنى حُبِستُ مع الدجاجِ
وقد كانت تُخَبِّرُنى ذنوبى * بأنى من عِقابك غيرُ ناجِ
على أنّى وإن لاقيتُ شرًّا * لخيرِكَ بعد ذاك الشرِّ راجى

فاستدعاه المنصور وقال : أين حُبِست يا أبا دُلامة ؟ قال : مع الدّجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أُقوقىُ(١) معهم الى الصباح ؛ فضحك وخلّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أمَا سمعتَ قوله : وقد طُبخت بنار الله ؟ (يعنى الشمس) قال : لا والله ، ما عَنيتُ إلا نار الله المُوقَدة التى تَطّلِع على فؤاد الربيع . فضحك المنصور وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرّض له .

ورُوى عن المدائنىّ قال : دخل أبو دُلامة على المهدىّ وعنده إسماعيل بن على وعيسى بن موسى والعبّاس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم ؛ فقال له المهدىّ : أنا أُعطى الله عهدًا إن لم تَهْجُ واحدًا ممن فى البيت ، لأقطعنّ لسانَك أو لأضربنّ عُنُقَك . فنظر اليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأنّ علىّ رضاك . قال أبو دلامة : فعلمتُ أنى قد وقعت وأنها عَزْمةٌ من عَزَماته لابدّ منها، فلم أرَ أحدًا أحقّ بالهجاء منّى ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى، فقلت :

٢٠ ألَا أبلِغْ لديكَ أبا دُلامه * فلست من الكرامِ ولا كرامَه

(١) أقوقىُ : أصيح .

إذا لبس العمامة كان قِـرْدًا (١) * وخـــنزيرًا إذا نزع العمامه
جمعتَ دَمامةً وجمعت لؤمًا * كذاك اللؤم تتبعــه الدَّمامه
فإن تكُ قد أصبتَ نعيمَ دنيا * فلا تَفْرَحْ فقد دنتِ القيامه

فضحك القوم ولم يبقَ منهم أحد إلا أجازه .

قال : وخرج المهدىّ وعلىّ بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأُرسلت الكلاب وأُجرِيت الخيــل ، ورمى المهــدىّ سهما فأصاب ظبيا ، ورمى علىّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ؛ فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدىّ ظبيًا * شــكّ بالسهم فؤاده
وعلىّ بــن ســليما * ن رمى كلبًا فصــاده
فهنــيئا لهــما كــلّ * آمرئ يأكل زاده

فضحك المهدىّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دُلامة ، وأمر له بجائزة سنية ؛ فلقّب علىّ بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب ، فغلب عليه .

قال : وتوفّيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها ؛ فلما وقف على حُفْرتها قال لأبى دُلامة : ماأعددت لهذه الحُفرة؟ قال : آبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنة عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى غُلِب وستر وجهه .

قال الهيثم بن عدىّ رحمة الله عليــه : حجّت الخيزُران ، فلمــا خرجت ، صاح أبو دلامة : جعلنى الله فداك ، اللهَ اللهَ فى أمرى ! فقالت : من هذا؟ قالوا : أبو دلامة . فقالت : سلوه ما أمرُه ؛ قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنونى من مَحْمِلها ؛ قالت أدنوه ؛ فأُدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم . قالت :

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « قلت قردا » .

فمه! قال: تَهَبِينى جاريةً من جَواريك تُؤنسنى، وترفُق بى وتُريحنى من عجوزعندى؛ قد أكلت رِفْدى، وأطالت كَدّى؛ فقد عاف جلدى جلدَها، وتشوقتُ فقدَها. فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمرُ لك بما سألت. فلمّا رجعت تلقّاها وأذكرها وخرج معها الى بغداد، فأقام حتى غَرِض[1]. ثم دخل على أمّ عَبِيدة حاضنة موسى وهارون فدفع اليها رقعة قد كتب بها الى الخيزران، فيها:

أبلغى سيّدتى بالله * يا أمّ عَبِيدَهْ
أنّها أرشدها الله * وإن كانت رشيده
وعدتنى قبل أن تخرجَ * للحج وليده
فتأنّيتُ وأرسلتُ * بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلفتُ * لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيد * فراشى من قعيده
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو * ت طَرِىٍّ فى عصيده
ما حياة مع أنثى * مثل عِرسى بسعيده

فلما قُرِئت عليها، ضحكت ودعت بجارية من جواريها فائقة الجمال، فقالت لها: خُذى كل مالك فى قصرى، ففعلت؛ ثم دعت بعض الخدم وقالت له: سلّمها الى أبى دُلامة. فانطلق الخادم بها فلم يصادفه فى منزله؛ فقال لامرأته: اذا رجع أبودلامة فادفعيها اليه وقولى له: تقول لك السيدة: أحسِنْ صُحْبة هذه الجارية فقد أمرت لك بها. فقالت له نعم. فلما خرج الخادم دخل ابنها دُلامة فوجد أمّه تبكى؛ فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن تبرّنى يوماً من الأيام فاليوم.

(١) غرض: مل وضجر.

قال : قولى ما شئت فإنى أفعله . قالت : تدخل عليها فتُعْلِمها أنك مالكَها وتطَؤها فتحرّمها عليه وإلا ذهبتْ بعقله بجفائى وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية؟ قالت : فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محطَّم ذاهب ، فمدّ يده اليها وذهب ليقبِّلها ؛ فقالت : مالك ويحك ! تَنَحَّ وإلّا لطمتُك لطمةً دقّقت منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصتك السيِّدة ؟ قالت : إنها بعثت بى الى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت ، وقد كان عندى آنفا ونال منى حاجته . فعلم أنه قد دُهِى من أمّ دُلامة وآبنها . فخرج أبو دلامة الى دُلامة فلطمه ولبّبه[1] وحلف ألّا يفارقه إلا الى المهدىّ . فمضى به مُلَبِّبا[2] حتى وقف بباب المهدىّ ، فعُرِّف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله فلما دخل قال : مالك؟ قال : فعل بى هذا آبن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ، ولا يرضينى إلا أن تقتله . قال : ويحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر ؛ فضحك حتى آستلقى ثم جلس . فقال له أبو دُلامة : أعجبك فعله فتضحك منه؟ ! فقال : علىّ بالسيف والنِّطع . فقال له دُلامة : قد سمعتَ قوله يا أمير المؤمنين ، فاسمع حجّتى . قال : هات ! قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، هو يفعل بأمّى منذ أربعين سنة ما غضِبتُ ، وفعلتُ أنا بجاريته مرّةً واحدة غضب وصنع بى ما ترى . فضحك المهدىّ أشدّ من ضحكه الأوّل ، ثم قال : دَعْها له يا أبا دُلامة ، وأنا أُعطيك خيرا منها ؛ قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا فعَل بها والله كما فعل بهذه ؛ فتقدّم إلى دُلامة ألّا يعاود مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ثم وهب له جارية .

---

(١) كذا فى الأغانى . ولببه : جمع ثيابه عند صدره ونحره وجره . وفى الأصول : « وتلبب به » وتلبب بالشىء : تحزم به وهى غير لائقة .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول . «متلببا به» .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله: جاء آبن أبى دُلامة يوما الى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إنّ شيخى كما ترون قد كبِر سنُّه ورَقّ جلده ودقّ عظمه، وبنا الى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير عليه بالشيء يُمسك رمقَه ويُبقى قوّته فيخالفنى فيه، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفونى بمسألته معى. فقالوا: نفعل حبًّا وكرامة؛ ثم أقبلوا على أبى دُلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى آبنه وهو ساكت، قال: قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليّة. فقالوا له: قل؛ فقال : إن أبى إنما قتله كثرة الجماع، فتعاونونى حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصحّ لجسمه وأطول لعمره . فعجبوا بما أتى به وضحكوا . ثم قالوا لأبى دُلامة : قد سمعتَ فأجِبْ . قال : قد سمعتم أنتم فعرفتكم أنه لم يأت بخير . قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمّه حكما فيما بينى وبينه، فقوموا بنا اليها . فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها، وقصّ أبو دلامة القصة عليها وقال : قد حَكّمتك . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن آبنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه ولم يألُ جهدا، وما أنا إلى[1] بقاء أبيه أحوج منى الى بقائه، وهذا أمر لم يقع به تجربة منّا ولاجرى بمثله عادة لنا؛ وما أشك فى معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثّر عليه أثرا محمودا آستعمله أبوه . فضحك أبوه والقـوم وآنصرفوا يعجبون من خبثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « ما أنا إلا الى » .

ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش. قال أبو الفرج: وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفّهم رُوحا وأشدّهم طمعا وألحّهم مسألة، وهو من المغنّين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه. قيل: إنه عوتب على كثرة إلحاحه فى المسألة، فقال: وما يمنعنى من ذلك، وآسمى مسكين وكنيتى أبو صدقة وآبنتى فاقة وآبنى صــدقة، فمَنْ أحقُّ بهذا منى؟ وكان الرشيد يعبث به كثيرا؛ فقال ذات يوم لمسرور: قل لآبن جامع وإبراهيم الموصلىّ وزبير بن دحمان وزلزل وبرصوما وآبن أبى مريم المدينىّ: إذا رأيتمونى قد طابت نفسى، فليسأل كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبى صدقة؛ فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد. ثم أذن الرشيد لأبى صدقة قبل إذنه لهم. فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، لقد أضجرتنى بكثرة مسألتك وأنا فى هذا اليوم ضجر وأحببت أن أتفرّج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علىّ مجلسى بمسألتك، فإما أن تعفينى أن تسألنى اليوم حاجة وإلّا فانصرف. فقال له: لست من يومى هذا الى شهر أسألك حاجة. فقال له الرشيد: أمّا إذ شَرَطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وهاهى ذه فخذها طيبة معجلة، فإن سألتنى شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم علىّ إن لم أصلك سنةً بشىء. فقال: نعم وسنتين. فقال له الرشيد: زدنى فى الوثيقة. فقال: قد جعلت أمر أمّ صــدقة فى يدك فطلِّقها متى شئتَ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتُك فى يومى هذا حاجة، وأشهدتُ الله ومَن حضر على ذلك. فدفع اليه المــال، ثم أذن للجلساء والمغنّين فدخلوا وشرب القوم. فلما طابت نفس الرشيد، قال له آبن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نِلت منك ما لم تبلغه أُمنيّتى،

وكثر إحسانك إلىّ حتى كَبَتَّ أعدائى وقتلتَهم، وليس لى بمكة دار تشبه حالى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبنى به دارا وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل . فقال له : وكم قدّرت لذلك؟ قال : أربعة آلاف دينار، فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلىّ فقال : يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى الكبار من ولدى، وفى أصاغرهم من أحتاج [إلى] ختانه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتى على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول فى الثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفرّق يمينا وشمالا، فوثب قائما ورمى بالدنانير من كمّه وقال للرشيد : أقلنى أقال الله عثرتك . فقال الرشيد : لا أفعل . فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ والرشيد يضحك ويقول : مالى إلى ذلك سبيل، الشرط أملك . فلمّا عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدتك أمّ صدقة فطلّقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا . وإن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد عمرو الغزّال — وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار — فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم .

وروى أبو الفرج عن أبى إسحاق قال : مُطِرنا ونحن مع الرشيد بالرَّقّة مع الفجر فاتّصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أمّ ولده المسماة سحر، فتشاغلنا عنه فى منازلنا . فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كلّ واحد منا عن يومه الماضى وما صنع فيه، فيخبره إلى أن انتهى

(١) زيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ١٥٨ طبع أوربا) . وقد جاء الكلام فيه هكذا : «وفى أصاغرهم من قد بلغ وأريد تزويجه، ومن أصاغرهم من أحتاج الى أن أطهره ... الخ» .

إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكّار كلّما غنّي صوتا، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة؛ فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكّار فيه وحركاته وشمائله، ويفطن أبو زكّار لذلك فيُجَنّ ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كلّ الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك، إلى أن توسّطنا الشرب وسئمنا من عبثه به؛ فقلت ٥ له : دع هذا عنك وغنّ غناءك . فغنّى رَمَلًا ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربتُ مثله منذ حين وهو : (١)

فتلتنى بفاحم اللونِ جَعْدٍ * وبثغرٍ كأنه نظـمُ دُرِّ

وبوجه كأنه طلعة البـدر * روعين فى طرفها نفثُ سِحرِ

فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال : ١٠ ياسيدى إنى قد بنيت دارًا أنفقتُ عليها جميع مالى وما أعددت لها فرشا فأفرشها لى . فتغافلت عنه . وعاود الغناء فتعمّدتُ أن قلتُ (٢) : أحسنتَ، فسألنى فتغافلت؛ فقال : يا سيدى، هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله وبحقّ أبيك عليك إلا أجبتنى عن كلامى ولو بشتم . فأقبلتُ عليـه وقلت له : أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، واْكفُفْ عن هـذه المسألة الملحّة . فوثب من بين يدىّ، فقلت : إنه ١٥ قد خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفا من أن تبتلّ ووقف تحت السماء لا يواريه شىء والمطر يأخذهُ ورفع رأسـه وقال : يا ربّ أنت تعلم أنى مُلْهٍ ولست نائحا، وعبدك الذى قد رفعته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنتَ لا يقول لى : أسأت، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت، فيحلف

(١) فى الأصول : « منذ حين وزمان » ولا معنى لذكر كلمة «زمان» وهى غير موجودة فى الأغانى . ٢٠
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « لأن قلت » .

بك جرأة عليك أنى بغيض، فاحكم بينى و بينه فأنت خير الحاكمين . فغلبنى الضحك وأمرت به فتنحّى، وجهدت به أن يغنّى فآمتنع، حتى حلَفتُ له بحياتك أنى أفرش له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسمّ له بما أفرشها . فقال له الرشيد : طيّبٌ والله ! الآن تمّ لنا به اللهو، أدعُه فإنه اذا رآك سوف يتنجّزك الفرش لأنك حلفتَ له بحياتى فهو يقتضيك ذاك بحضرتى ليكون أوفق له ؛ فقل له : أنا أفرشها لك بالبوارىّ[1] وحاكِمْه الىّ . ثم دعا به فحضر؛ فلما آستقرّ فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدّمْ به . فقال له جعفر : آختر، إن شئت فرشتُها لك بالبوارىّ وإن شئت فبالبَرْدِىّ من الحصر؛ فصاح وآضطرب . فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره، فقال له : أخطأتَ يا أبا صدقة إذ لم تسمِّ النوع ولا حدّدت القيمة[2] ؛ فاذا فرشها لك بالبردىّ أو بما دون ذلك فقد برّ فى يمينه، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثّقت وضيّعت حقّك . فسكت ثم قال : نوفّر أيضا البردىّ والبوارىّ عليه أعزّه الله . وغنّى المغنّون حتى آنتهى الدور اليه، فأخذ يغنّى غناء الملّاحين والبنّائين والسقّائين وما يجرى مجراه من الغناء . فقال له الرشيد : أىّ شىء هذا الغناء ؟ قال : مَن فُرش داره بالبوارىّ والبردىّ فهذا الغناء كثير منه، [وكثير][3] أيضا لمن هذه صلته . فضحك الرشيد وطرب وصفّق وأمر له بألف دينار من ماله، وقال له : آفرش دارك بهذه . فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى وإلا متُّ والله أسفا لفوات ما حصل فى طمعى ووُعِدتُ به ؛ فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار أخرى، فأمر له جعفر بها .

(١) البوارىّ جمع بارىّ وهو الحصير المنسوج .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « وتحدّ » .

(٣) زيادة عن الأغانى .

ذكر شيء من نوادر الأُقَيْشِر (١)

هو أبو مُعرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقيشر . قال أبو الفرج الأصفهانى : وعُمِّر الأقيشر عمرا طويلا ، ولعله ولد فى الجاهلية ونشأ فى الإسلام ، وكان أبعد بنى أسد نسبًا . قال : وكان كوفيًّا خليعا ماجنا مدمنا للخمر . وهو الذى يقول لنفسه :

فإنّ أبا معرضٍ إذ حسا * من الرّاح كأسا على المنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو معرضٍ * فإن لِيم فى الخمر لم يصبرِ
أحلّ الحرامَ أبو معرضٍ * فصار خليعا على المكبرِ
يحبّ اللئامَ ويَلْحى الكرام * وإن أقصروا عنه لم يُقصِرِ

قال : وكان الأقيشر عِنّينا لا يأتى النساء ، وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه . فجلس اليه يوما رجل من قيس ، فأنشده الأقيشر :

ولقد أروح بمشرفٍ ذى منعةٍ * عسر المكرّة ماؤه يتفصّدُ
مرِحٍ ، يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد إهابه يتقدّدُ (٢)

ثم قال الرجل : أتبصر الشعر؟ قال نعم . قال : فماذا وصفت . قال : فرسا . قال : أفكنت لو رأيته تركبه؟ قال : إى والله ، وثنى عِطْفَه فكشف عن أيره وقال : هذا وصفت ، فقم فاركبه . فوثب الرجل عن مجلسه وجعل يقول : قبحك الله من جليس سائرَ اليوم .

---

(١) الأقيشر هو تصغير أقشر وهو الشديد الحمرة .

(٢) رواية الأغانى : «وتكاد جلدته به تتقدّد» .

قال : وشرب الأقيشر فى بيت خمّار بالحيرة، فجاءه الشُّرَط ليأخذوه، فتحرّز منهم وأغلق الباب وقال : لست أشرب فما سبيلكم علىّ ؟ قالوا : قد رأينا العُسّ فى كفّك وأنت تشرب . فقال : إنما شربت من لبن لَقْحة لصاحب هذه الدار، فما برحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

٥ إنما لقحتنا باطيةٌ[1] * فاذا ما مُزِجتْ كانتْ عَجَبْ
لبنٌ أصفَرُ صافٍ لونُهُ * ينزع الباسور من عُجْبِ[2] الذَّنبْ
إنما نشرب من أموالنا * فسلوا الشرطىّ ماهذا الغضبْ؟

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ عن أبى عمرو الشيبانىّ وغيره قال : كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام
١٠ ودرهمين فى كِراء بغل الى الحيرة . وكان له جار يكنى أبا المضاء، له بغل يكريه ، فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه الى الحيرة حتى يأتى به بيت الخمّار فينزل عنه ويربطه، ثم يجلس للشرب حتى يمسى ثم يركبه . وله فى ذلك أشعار كثيرة .

قال : فأتى يوما من الأيام بيت الخمّار الذى كان يأتيه فلم يجده فجعل ينتظره . ودخلت الدار آمرأة عبادية، فقال لها : ما فعل فلان؟ قالت : مضى فى حاجته
١٥ وأنا آمرأته، فما تريد؟ وقيل بل قالت له : إنها أمّ حُنَين الخمّار الذى كان يعامله وقالت : ما تريد؟ قال : نبيذا . قالت : بكم؟ قال : بدرهمين . قالت : هلمّ درهميك وآنتظرنى . قال : لا بل أكون معك . قالت : أنت وذاك . فأخذت الدرهمين، وتبعها، فأدخلته دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وتركته . فلما طال جلوسه، خرج اليه بعض أهل الدار وقال : ما الذى يحبسك؟ فأخبرهم،

٢٠ (١) الباطية : إناء من الزجاج للخمر يوضع بين الشرب يغترفون منه .
(٢) العجب : أصل الذنب .

فقالوا له : تلك آمرأة محتالة ، فعلم أنه خدع وآنصرف الى خمّاره فأخبره بالقصّـة وقال : أنسِئْنِي اليوم وآسقنى ، ففعل . وأنشأ الأقيشر يقول :

لا تغـــرَّنْ ذوات خُفٍّ ســوانا * بعــد أخت العباد أمّ حنين[(١)]

وعدتنـا بدرهمين نبيـــذا * أو طـــلاءً معجّلا غـــير دين

ثم ألوت بالدرهمين جميعـا * يا لقـــومى لضـــيعة الدرهمين

عاهدت زوجها وقد قال : إنى * ســوف أغدو لحـاجتى ولدينى

فدعت كالحصان أبيضَ جَـلْدًا * وافرَ الأير مرسَـــلَ الخصيتين

قال : ما أجرُ ذا ؟ هُديتِ ، فقالت : * سوف أعطيـــك أجره مرتين

فابدأ الآن بالسـفاح فلمـا * سافحتـــه أرضـــته بالأجرتين

تلَّهـا[(٢)] للجبين ثم آمتطاهـا * عارِم[(٣)] الأير أفحج الحالبيـن

بينما ذاك منهـــما وهى تحـوى * ظهـــره بالبنان والمعصمين

جاءها زوجها ، وقد شام فيهـا * ذا آنتصاب موثّق الأخدعين

فتأسّى وقال : ويل طـــويل * لحنينٍ من عار أمّ حنيـن

قال : فجاءه حنين الخمّار، فقال : ما هـذا ؟ ما أردتَ إلا هجائى وهجاء أمّى . قال : أخذَتْ منى درهمين ولم تعطنى شرابا . قال : لا والله ، ما تعـرفك أمّى ، ولا أخذت منك شيئا قطّ ، فآنظر الى أمى ، فإن كانت هى صاحبتك غرمت لك الدرهمين . قال : لا والله ، ما أعرف غير أمّ حنين وآبنها ، فإن كانت أمّك فإياها

(١) وردت هذه الأبيات فى النسختين الأصليتين والأغانى وبها تحريف فى النسختين والأغانى وقد رجحنا ما هو أقرب الى الصواب من كلتا النسختين والأغانى .

(٢) تلها : ألقاها .

(٣) العارم : القوى الشديد .

أعنى، وإن كانت أمّ حنين أخرى فإياها أعنى . فقال : إذاً لا يفرق الناس بينهما؟ ! قال : ما علىّ إذًا، أترى درهمىّ يضيعان؟ فقال له : هلم إذًا أغرمهما لك وأقيم ما تحتاج اليه، لا بارك الله لك، وفعل .

قال وتزوّج الأقيشر آبنة عمّ له يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال: على[(1)] عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا ، فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان[(2)] الصين، وكان مجوسيّا ، فسأله فأعطاه الصّداق كاملا ، فقال :

كفانى المجوسىّ "مهرَ"[(3)] الرّباب * فدًى للمجوسىّ خالٌ وعمّْ
شهدت بأنك "رَطْبُ[(4)] اللسان" * "وأنك بحر" جوادٌ خِضمّْ
وأنك سيد أهلِ الجحيم * اذا ما تردّيت فيمن ظلَمْ
تجاور هامانَ[(5)] فى قعرها * وفرعونَ والمكتنى بالحكَمْ

فقال له المجوسىّ : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتنى فأعطيتك فجزيتنى هذا القول ولم أُفلت من شرِّك! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وقرين أبى جهل؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربعىّ التيمىّ، فسأله فلم يعطه شيئا ، فقال فيه :

سألت ربيعة مَنْ شرُّها * أبًا ثم أمًّا فقالوا لِمهْ
فقلت لأعلم مَنْ شرُّكم * وأجعلَ للسبّ فيه سِمَه

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٠ ص ٩٢ طبع بولاق) . وفى الأصول : « الى » وهو تحريف .
(٢) الدهقان (بالكسر والضم) : رئيس الإقليم .
(٣) فى الأغانى : « مهر » .
(٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «بظر اللسان» .
(٥) فى الأغانى: «قارون» .

فقــالوا لِعكرمةَ المخــزياتُ * وما ذا يرى الناس فى عِكرِمَهْ
فإن يك عبــدا زكا ماله * فمــا غير ذا فيــه من مكرمَهْ

قال آبن الكلبىّ : وشرب الأقيشر فسقط و بدت عورته ، وآمرأة تنظر إليه فضحكت منه وأقبلت عليه تلومه وتقول له : ألا تستحى يا شيخ أن تبلغ بنفسك هذه الحال ! فرفع رأسه اليها وأنشأ يقول :

تقول : يا شيخ أما تستحى * من شربك الخمر على المكبرِ
فقلت : لو باكرتِ مشمولة * صهباء مثل الفرسِ الأشقرِ
رحت وفى رجليك عقّالة * وقد بدا هَنْكِ(١) من المئزرِ

قال الأصمعى : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدنى أبياتك فى الخمر؛ فأنشده قوله :

تُريك القذى من دونها وهى دونه * لوجــه أخيها فى الإناء قطوبُ
كُمَيْتٌ اذا شُجّت(٢) وفى الكأس وَرْدةٌ * لهــا فى عظام الشــاربين دبيبُ

فقال له : أحسنت والله يا أبا مُعرض ! لقــد أجدت فى وصفها ، وأظنك قــد شربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين، إنه ليريبنى معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر يأتى إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهــم فأمر له بخمسمائة درهم فأخذها ومضى الى الحــانة فدفعها الى صاحبها، وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه، ففعل . فانضم اليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم؛ فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه يوما ويوما . فلمــا أتاهم فى اليوم الثالث نظروا اليــه من بعيد ، فقالوا لصاحب الحانة : آصــعد بنا الى الغرفة ، وأَعلِمْ الأقيشر أنا لم نأت اليوم، ففعل . فلما جاء

(١) الهن : الفرج .
(٢) فى الأغانى : "فضت" .

الأقيشر أعلمه بما قالوا، فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن، فطرح اليه بعض ثيابه وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه، ففعل . فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول :

يا خليلىَّ اسقيانِىَ كأسا * ثمّ كأسا حتى أخِرَّ نُعاسا

٥ إن فى الغرفة التى فوق رأسى * لأُناسا يُخادِعون أُناسا

يشربون المعتّق الراح صِرفا * ثم لا يرفعون للزُّور(1) راسا

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر، فدَّوْه بآبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له : إمّا أن تصعد الينا وإما أن ننزل اليك، فصعِد اليهم .

ومرّ الأقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها دومة ، فنزل عندها واشترى منها نبيذا،

١٠ ثم قال : جَوِّدى الشراب حتى أجوِّدَ لك المدح ففعلت؛ فأنشأ يقول :

ألا يا دوم دام لكِ النعيمُ * وأسمرُ مِلءُ(2) كفِّك مستقيمُ



شديدُ الأسرِ ينْبِض حالِباه * يُحَمّ كأنه رجلٌ سقيمُ

يروِّيه الشرابُ فيزدهيه * وينفخ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال : فسُرَّتْ به الخمّارة وقالت : ما قال فىَّ أحدٌ أحسن من هذا ولا أسرّ الىَّ منه .

١٥ قال : وكان يختلف الى رجل من بنى تميم وكان يجرى عليه فى كل شهر عشرة دراهم، فجاءه مرة فوجده قد أصيب بابنه ، فردّته امرأته عنه، ثم عاد بعد ذلك بيومين فردّته عنه أيضا ؛ فكتب اليه بيتى شعر ودفع الرقعة اليها وقال : أوصليها اليه؛ فقرأها ، فاذا فيها :

ألا أبلغْ لديك أبا هشامٍ * فإن الريح أبردُها الشَّمالُ

٢٠ (1) الزور : جمع زائر، كراكب وركب .

(2) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «مثل» وهو تحريف .

عِداتُك فى الهلال عِداتُ صدقٍ * فهــل سمنتْ كما سمن الهــلالُ

فلما قرأ الرقعة أمر بردّه وقال : لقد سمنت وما بقى إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له بها وزادها خمسة دراهم .

وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه اليسير ويسخطه . وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة ، وفيما أوردناه منهـا كفاية . ومات الأقيشر قتيلا . وقيــل : إنه مدح عبد الله بن إسحـاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فهجاه؛ فزعموا أنّ غلمانا لعبد الله بن إسحاق قتلوه؛ فاجتمع بنوأسد وادّعوا عليه قتل الأقيشر؛ فآفتدى منهم بديتــه . وقال آبن الكلبىّ : كان الأقيشر مولَعا بهجاء عبــد الله بن إسحاق ومدح أخيــه زكريا . فقال لغلمانه : ألا تريحوننى منــه ! فانطلقوا فجمعوا بعرا وقصبا بظهر الكوفة وجعلوه فى وسط إِرَةٍ[1] ، وأقبــل الأقيشر سكرانا من الحِيرة على بغــل أبى المضاء المكارى ، فأنزلوه عن البغل وشدّوه رباطا ثم وضعوه فى تلك الإِرَةِ وألهبوا النار فى القصب والبعر فمات ، ولم يُعلَم من قتله . والله أعلم .

ذكر شىء من نوادر آبن سَيَّابة

هو إبراهيم بن سَيَّابة مولى بنى هاشم . كان يقال : إن جدّه حجام أعتقه بعض الهاشميين . قدّمه إبراهيم الموصلىّ وآبنــه إسحاق لأنه مدحهما فرفعا من قدره وغنّيا بشعره ونوّها بذكره . وكان خليعا ماجنا حسن النادرة ، وكان يُرمى بالأبنــة . وله نوادر نذكر منها نُبَذًا فيما رواه أبوالفرج الأصفهانىّ . منها مارواه عن إسحاق الموصلىّ قال : أتى إبراهيم آبن سيابة وهو سكران آبنــا لسوّار بن عبد الله القاضى أمرد ، فعانقه وقبّله ، وكانت معــه داية يقال لها رَحاص ، فقيل لهـا : إنه لم يقبّله تقبيل

(١) الإرة : موضع النار .

التسليم، وإنما قبّله شهوةً؛ فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كلّ ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك؛ فقال :

لئن لثمتُـــك سرًّا * فأبصرتنى رَحاصُ
وقال فى ذاك قومٌ * علىٓ انتقاصى حِراصُ
هَجَـــرتَنى وأتتـــنى * شتيمة وآنتـــقاصُ
فهاك فاقتصّ منى * إنّ الجروحَ قصاصُ

وقد قيل : إنّ رَحاص هذه كانت مغنّية كان الغلام يهواها، وإنه سكر ونام، فقبّله آبن سيّابة . فلما آنتبه قال للغنّية : ليت شعرى ! ما كان خبرك مع ابن سَيّابة؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه، وحدّثته بالقصة؛ فهجره الغلام، فقال هذا الشـــعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان آبن سَيَّابة عندنا يومًا مع جماعة نتحدّث ونتناشد وهو يُنشد شيئا من شعره، فتحرّك فضرط فضرب بيده على آسته غير مكترث وقال : إما أن تسكتى حتى أتكلّم، وإما أن تتكلّمى حتى أسكت .

وقال أبو هفّان : غمز آبن سيَّابة يوما غلاما أمردَ، فأجابه ومضى به الى منزله فأكلا وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت آبن سيّابة الزنديق ؟ قال نعم . قال : أحبّ أن تعلّمنى الزندقة؛ قال : أفعل وكرامة؛ ثم بطحه على بطنه فلما تمكن منـــه أولج فيه بشدّة؛ فصاح الغلام : أوه ! أىّ شىء هذا ؟ ويحك ! قال : سألتنى أن أعلّمك الزندقة، وهذا أوّل باب من شرائعها .

وقال جعفر الكاتب : قال لى إبراهيم بن ســيّابة الشاعر : اذا كانـــ عند جيرانك جنـــازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معـــاذ :

(٣٦) قدِم علىّ إبراهيم بن سيّابة بنيسابور فأنزلته علىّ، فجاء ليلة من الليالى فجعل يصيح : يا أبا أيّوب، فخشيت أن يكون قد غشيه شيء، فقلت : ما تشاء ؟ فقال :

* أعيانىَ الشادنُ الربيبُ *

قلت بمــاذا ؟ فقال :

* أكتبُ أشــكو فلا يُجيبُ *

فقلت : دَارِه وداوِه، فقال :

من أين أبغى شفاء قلبى * وإنمــا دائىَ الطبيبُ

فقلت : لا دواء إذًا إلا أن يفرّج الله عزّ وجلّ عنك . فقال :

يا رب فرّج إذًا وعَجِّل * فإنك الســامعُ المجيبُ

ثم آنصرف . وقد تقدّمت هذه الحكاية . والسلام .

ذكر شىء من نوادر مطيع بن إياس الكنانىّ وأخباره

قال أبو الفــرج الأصفهانىّ : هو شاعر من مخضرمى الدولتين الأمويّة والعباسيّة . كان ظريفًا خليعًا ماجنا حلو العشرة مليح النــادرة قال : وكان متهما فى دينه بالزندقة . وكان مولده ومنشؤه بالكوفة، وكان منقطعا الى الوليــد بن عبد الملك، ثم آتصل بخدمة الوليد بن يزيد . وكان سبب ذلك ما حكى عن حكَم الوادىّ المغنّى، قال : غنّيت الوليد بن يزيد وهو غلام حديث السنّ بشعر مطيع بن أياس وهو :

إكليلُهــا ألوانُ * ووجهها فتّــانُ

وخالُهــا فــريدٌ * ليس له جيرانُ

اذا مشت تثنّتْ * كأنها ثعبانُ

قدجُدِلتْ فجاءتْ * كأنها عِنانُ

فطرب حتى زحف عن مجلسه الىّ ، واستعادنى الصوت حتى صَحِل[1] صوتى ؛ ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت : عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن إياس . قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ؛ فأمر أن يُحْمَلَ اليه مع البريد ، فحُمِلَ اليه ؛ فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أدن منى ، فدنا منه فضمّه الوليد اليه وقبّل فاه وبين عينيه ، وقبّل مطيعٌ رجليه والأرضَ بين يديه ؛ ثم أدناه حتى جلس فى أقرب المجالس اليه ، وآصطبح معه أسبوعا متوالىَ الأيام على هذا الصوت . وكان فى خلال الدولة الأمويّة ينقطع الى أوليائها وعلمائها ، ثم آنقطع فى الدولة العباسيّة الى جعفر آبن أبى جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر . ومات مطيع فى خلافة الهادى بعد ثلاثة أشهر مضت منها . وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها ، فلنقتصر هاهنا من أخباره عليها دون غيرها .

فمن ذلك ما حكاه النوفلىّ قال : كان مطيعٌ فيما بلغنى مأبونا ، فدخل عليه قومُه فلاموه على فعله وقالوا له : أنت فى أدبك وسؤددك وشعرك وشرفك وتُرمَى بهذه الفاحشة القذرة ! فلو أقصرت عنها ! فقال : جرّبوه أنتم ودعوه إن كنتم صادقين . فآنصرفوا عنه وقالوا : قبّح الله فعلك وعذرك ، وتركوه .

قال : ووقف مطيعٌ على أبى العُمَيْر وهو رجل من أصحاب المعلَّى الخادم ، فجعل يعبث به ويمازحه ، وكان كثير العبث الى أن قال :

أَلَا أبلغ لديك أبا العُمَيْرِ * أرانى الله فى آستك نصفَ أيرى

فقال له أبو العمير : يا أبا سلمى ، لو جُدْتَ بالأير كلّه لأحدٍ لجُدتَ به لى لما بيننا من الصداقة ، ولكنّك لحبّك له لا تريده كلّه إلا لك . فأفحمه ، ولم يعاود العبث به .

(١) صحل : ع .

قال : سقط لمطيع حائطٌ، فقال له بعض أصحابه : آحمد الله على السلامة .
قال : آحمد الله أنت إذ لم ترُعْك هدته، ولم يصبك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه .

ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهانىّ بإسناده الى عبد الملك المروانىّ عن مطيع بن إياس، قال: قال لى حماد عَجْرَد يوما: هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقتى وهى المعروفة بظبية الوادى ! قلت نعم. قال: إنك إن قعدت عندها وخبَّثت عينك[1] ٥
فى النظر أفسدتها علىّ. فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمة تسوءك ولأسرَّنك . فمضى بى وقال : والله لئن خالفت ما قلت لأخرجنّك . قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره فاصنع بى ما أحببتَ. قال: آمض بنا فمضينا، فأدخلنى على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجها. فلما رأيتها أخذنى الزَّمَع[2]، وفطن لى فقال : آسكت يابن الزانية،
فسكتُّ قليلا، فلحظتنى ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه، ١٠
وكانت صلعته حمراء كأنها آست قرد، فلما وضعها وجدت للكلام موضعا، فقلت :

وإن السوءة السوءا * ء يا حمّاد عن خُشَّهْ
عن الأُترجّة الغضّـ * ـة والتفّاحة الهشّهْ

فالتفتَ الىّ وقال : فعلتها يابن الزانية ! فقالت له : أحسن، فوالله ما بلغ
صفتك بعد، فما تريد منه ! فقال لها : يا زانية ! فسبّته وتثاورا، فشقّت قميصه ١٥
وبصقت فى وجهه وقالت له : ما يُصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية، وخرجنا وقد لقى كلّ بلاء، وقال لى : ألم أقل لك يابن الزانية : إنك ستفسد علىّ مجلسى ! فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجونى ويسبنى ويشكونى الى أصحابنا، فقالوا لى : آهجه ودعنا وإياه، فقلت :

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٢ ص ٨٢ طبع بولاق) . وفى الأصول : « إنك إن بعدت عنها ٢٠
وحققت عينيك فى النظر... الخ » . (٢) الزمع : الدهش .

ألا يا ظبيةَ الوادى * وذات الجسد الرادى
وزينَ المصر والدارِ * وزينَ الحيّ والنادى
وذات المبسم العذبِ * وذات المبسم البادى
أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّادِ
فحمّادٌ فتى ليس * بذى عزٍّ فتنقادى
ولا مالٍ ولا طِرْفٍ * ولا حظٍّ[1] لمرتادِ
فتوبى واتقى الله * وبُتِّى حبلَ مجّرادِ
فقد ميِّزتِ بالحسنِ * عن الخَلْق بإفراد
وهذا البينُ قد حُمَّ * فجودى لِىَ بالزادِ

قال : فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانيـة وساعدتموه ؟ قال : وأخذها حكم الوادىّ فغنّى بها، فلم يبق بالكوفة سَقّاء ولا طحّان ولا مكارٍ إلا غنّى فيها ثم غبتُ مدّة وقدمتُ فأتانى فما سلّم علىّ حتى قال لى :

أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّادِ

قتلتنى قتلك الله ! والله ما كلمتْنى حتى الساعةَ . قال : قلت : اللهم أَدِم هجرها له وسوء رأيها فيه وأسفِّه عليها وأغوه بها ؛ فشتمنى ساعة . قال مطيع : ثم قلت له : قم امض بنا حتى أريك أختى — وكانت لمطيع صديقةٌ يسمّيها أختى وتسمّيه أخى ، وكانت مغنّية — فلما خرجت الينا ، دعوتُ قيِّمةً لها فأسررت إليها فى أن تصلح لنا طعاما وشرابا ، وعرفتها أن الذى معى حمّاد فضحكت . ثم أخذت صاحبتى فى الغناء وقد علمت بموضعه وعرفت ، فكان أوّل ما غنّت :

أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّاد

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «خلط» وهو تحريف .

فقال لها : يازانية ! وأقبل عليّ وقال : وأنت يازانى يابن الزانية ! أسررتْ هذا الى قيّمتها ! فقلت : لا والله كذبت . وشاتمتْهُ صاحبتى ساعةً ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيّظ عليّ . فقلت : أنت ترى أنى أمرتها أن تغنّى بما غنّت ؟ فقال : أرى ذلك وأظنّه ظنّا لا والله ولكنى أتيقنه . فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنّه وآنصرفنا .

وحكى قال يحيى بن زياد الحارثيّ لمطيع وكان صديقا له : آنطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فإن بينى و بينها مغاضَبة لتُصلح بيننا و بئس المصلح والله أنتَ . قال : فدخلا[1] عليها ، فأقبلا يتعاتبان ومطيعٌ ساكتٌ ، حتى اذا أكثر قال يحيى : مايسكتك؟ أسكت الله نأمتك[2] ! قال مطيع :

أنت معتلّة عليـــه وما زا * ل مُهينًا لنفسه فى رضاكِ

فأعجب يحيى وهشّ له . فقال مطيع :

فدعيه وواصلى آبنَ إياس * جعلت نفسُه الغداة فداكِ

فقام يحيى اليــه بوسادة فى البيت فما زال يجلد بها رأسه و يقول : ألهذا جئتُ بك يابن الزانية ! ومطيع يغوّث[3] حتى ملّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه .

ورُوىَ عن محمد بن الفضل السكونيّ قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق وأنه يلازم آبنه جعفر و جماعة من أهل بيته ، و يوشك أن يفسد أديانهم أو يُنسَبوا الى مذهبه . فقال له المهدىّ : أنا به عارف ، أما الزندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلّ للمحارم ؛ قال : فأحضره وآنهه[4] عن صحبة جعفر وسائر أهله ؛ فأحضره المهدىّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقــد

(١) فى الأصول : « فدخلنا » ، والتصويب عن الأغانى .
(٢) النأمة : الصوت . وأسكت الله تعالى نأمته أى أماته .
(٣) غوّث الرجل : قال واغوثاه .
(٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « ونهاه » وهو لا يستقيم مع السياق .

أفسدت أخى ومن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهــم يتقارعون عليك ،
ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدت لك
عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت اليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك !
يا ربيع آضربه مائة سوط وآحبسه . قال : ولم يا سيدى ؟ قال : لانك سِكّير خِمّير (٢٨)
قد أفسدت أهلى كلّهــم بصحبتك . فقال له : إن أذنت لى وسمعت احتججت .
فقال له : قل ؛ فقال : أنا آمرؤ شاعر ، وسوقى إنمـا تنفُق مع[1] الملوك وقد كسدت
عندكم ، وأنا فى أيامكم مُطَّرَح[2] ، وقد رضيتُ منها مع سَعتها للناس جميعا بالأكل على
مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصــفيته على ذلك شكرى وشــعرى ؛ فإن كان
ذلك غاليا عنــدك تبتُ منــه . فأطرق المهدىّ ثم رفع رأسه فقال : قد رفع إلىّ
صاحب الخبر أنك تماجن على السؤّال ، وتضحك منهم . قال : لا والله ما ذاك من
فعــلى ولا شأنى ولا جرى منّى قط إلا مرة واحدة ؛ فإن سائلا أعمى آعترضنى وقد
عبرت الجسر على بغلتى ، فظنّنى من الجند فرفع عصاه فى وجهى ، ثم صاح : اللهم
سخّر الخليفة لأن يعطى للجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم
فتدرّ أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدّقوا علىّ منها . فنفرتْ بغلتى من صياحِهِ
ورفعِهِ عصاه فى وجهى حتى كدتُ أسقط فى المــاء . فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر
فضولا منك ، سَلِ الله أن يرزقك ولا تجعل بينك و بينه هذه الحوالات والوسائط
التى لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول . فضحك الناس منه ورفع علىّ فى الخبر
[قولى له هذا][3] . فضحك المهدىّ وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبَس . فقال له :
أدخل عليــك لمَوْجدة وأخرج عن رضا وتبرأ ساحتى وأنصرف بلا جائزة ! قال :

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « على » .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « مطوح » بالواو وهو تصحيف .
(٣) زيادة عن الأغانى (ج ١٢ ص ١ ١ طبع بولاق) .

لا يجوز هذا، اعطوه مائتى دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتُجدَّد عنده ذنوبُه؛ وقال له : آخرج عن بغـداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين، ثم عد إلىّ .
فقال له : فأين أقصـد ؟ قال : أكتبُ الى سليمان بن علىّ فيولّيك عملا ويُحسِن اليك . قال : قد رضِيت . فوفد الى سليمان بكتاب المهدىّ فولّاه الصدقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبى هند فعزلَه به . ٥

وقال السكونىّ عفا الله عنه : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الإصبع، له قيان، وكان له آبن وضىء الوجه حسن الصورة يقال له إصـبع ، لم يكن بالكوفة أحسن منـه وجها . وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباؤهم يألفونه ويعشـقونه ويستظرفونه، وكلّهم كان يعشق آبنـه إصبع . حتى كان يوم نيروز، وعزم أبو الإصبع على أن يصطبح مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من ١٠ الليل جداء ودجاجا وفاكهة وشرابا؛ فقال أبو الإصبع لجواريه : إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم فأعددن له مايصلح لمثله . ووجّه بغلمانٍ له ثلاثة فى حوائجه، وبعث آبنه إصبع الى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل . فلما جاءه آستأذن له الغلام فقال له يحيى: قل له يدخل، فإذا دخل تنحّ أنت وأغلق الباب، ولا تدعه يخرج إلا بإذنى، ففعل الغلام ودخل إصـبع فأدّى رسالة أبيه . فلمـا فرغ راوده يحيى عن نفسه فآمتنع، ١٥ فبادره يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رام حلّ تِكّته فلم يقدر عليها فقطعها ثم فعل به . فلما فرغ أخرج من تحت مُصَلّاه أربعين دينارا فأعطاه إياها فأخذها؛ وقال له يحيى: آمض فإنى بالأثر، فخرج إصبع . ووافى مطيع يحيى فرآه يتبخّر ويتطيّب ويتزيّن . فقال له مطيع : كيف أصبحت؟ فشمخ بأنفـه ولم يجبه وقطب حاجبيه وتفخّم . فقال له : ويحك مالك ! أأُنزل عليـك الوحى ، أم كلّمتك الملائكة، أم بويع لك ٢٠ بالخلافة؟ وهو يومئُ برأسـه : لا لا ! فى كلّ كلامه . فقال له : كأنك والله فعلت

بإصبع! فقال : إى والله، الساعة فعلت به وأنا اليوم فى دعوة أبيه . فقال مطيع : آمرأته طالق إن فارقتك حتى أقبّل متاعك، فأبداه له يحيى فقبّله . ثم قال له : كيف قدرت عليه ؟ فحدّثه يحيى بما جرى وقصّ عليه القصّة . وقام يمضى الى منزل أبى الإصبع، فتبعه مطيع، فقال : ما تصنع معى والرجل لم يدعك، وإنما يريد الخلوة ٥ معى؟ فقال : أشيّعك الى بابه ونتحدث . فمضى معه حتى دخل يحيى وأغلق الباب فى وجه مطيع، فصبر ساعة ثم دقّ البابَ وآستأذن، فخرج اليه رسولٌ قال له : يقول لك : أنا اليوم على شغلٍ ولم أتفرّغ معه لك فآعذرنى . قال : فآبعث إلىّ بدواة وقرطاس ففعل؛ فكتب مطيع الى أبى إصبع :

(٣٩)

يا أبا الإصبع لا زلت على * كلّ حال ناعما متّبعا
١٠ لا تصيّرنِّىَ فى الودّ كمن * قطع التّكة قطعًا شَنعا
وأتى ما يشتهى لم يثنه * خيفةٌ أو حفظُ حقٍّ ضُيّعا
لو ترى الإصبع مُلقًى تحته * مستكينا خجِلًا قد خَضَعا
وله دفعٌ عليه عَجِلٌ * شبِقٌ، ساءك ما قد صَنَعا
فادع بالإصبع وآعلم حاله * سترى أمرا قبيحا شَنَعا

١٥ فلما قرأها أبو الإصبع قال ليحيى : فعلتها يابن الزانية ! قال : لا والله ! فضرب بيده الى تِكة آبنه فرآها مقطوعة وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلكأ الغلام. فقال يحيى : قد كان الذى كان ، وسعى اليك مطيع آبن الزانية! وهذا والله آبنى وهو أفره من آبنك، وأنا عربىّ آبن عربية وأنت نبطىّ آبن نبطية، فافعل بابنى عشر مرات مكان المرة الواحدة التى فعلت بابنك، فتكون قد ربحت الدنانير وللواحدة عشرَ ٢٠ مراتٍ. فضحك وضحكت الجوارى وسكن غضبُ أبى الإصبع، وقال لآبنه : هات الدنانير يابن الفاعلة، فرمى بها اليه وقام . وقال يحيى : والله لا يدخل بمطيع

الساعى ٱبن الزانية . فقال أبو الإصبع وجواريه : والله ليدخلنّ فقد نصحنا وغششتنا ، فادخل فدخل وجلس يشرب معهم ويحيي يشتمه بكل لسان وهو يضحك .

وأخباره فى هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

ذكر شيء من نوادر أبى الشِّبل

هو عاصم بن وهب بن البَرَاجِم . مولده الكوفة . نشأ وتأدّب بالبصرة . وفد الى سامرّاء[1] أيام المتوكل ومدحه . وكان طيّبا كثير الغزل والنوادر والمجون . فنفق عند المتوكل وخدمه وٱختصّ به وٱمتدحه بقوله :

أقبلى فالخير مُقبِــلْ * وٱتركى قول المَعَلِّلْ

وثقى بالنُّجح إنْ * أبصرتِ وجهَ المتوكِّلْ

ملِكٌ يُنصف يا ظا * لمتى فينا ويعــدِلْ

فهو الغـاية والمـأ * مول يرجوه المؤمِّلْ

فأمر له بثلاثين ألف درهم . وله أخبار مستظرفة تتضمن شـعرا ونوادر تدلّ على ظرفه سنذكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق ، وقدّر أن يعطيه ألف درهم . فبعث اليه بصرة مختومة فيها مائة دينار ، فظن أنهـا دراهم فردها اليه وكتب معها :

فليت الذى جادت به كفُّ مالكٍ * ومالك مدسوسان فى ٱستِ أمّ مالكِ

وكانـ الى يوم القيامة فى ٱستها * فأيسرُ مفقــودٍ وأيســر هالكِ

وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز . فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر وقال : ما هــذا ؟ ظلمتنا وٱعتديت علينا . فقال : قدّرت عندك ألف درهم فوصلتنى بمائة

(١) سامرّاء : لغة فى سر من رأى ، وهى مدينة كانت بين بغداد وتكريت .

درهم . فقال : آفتحها ؛ ففتحها فإذا فيها مائة دينار؛ فقال : أقِلْنى أيها الأمير . فقال: قد أقلتك ولك كل ماتحب أبدا ما بقيت وقصدتنى .

قال : وكان له جار طبيب أحمق، فمات فرثاه فقال :

قــد بكاه بولُ المريض بدمع * واكفٍ فوق مقلتيــه ذروفِ
ثم شـــقّت جيوبَهن القواريـ * ـرُ عليه ونُحْنَ نَوْحَ اللهيف
ياكساد الخيــار شــنبَر والأقـ * ـراص طرًّا وياكساد السفوفِ
كنت تمشى مع القوىّ فان جا * ء ضعيفٌ لم تكترث بالضعيف
لهف نفسى على صنوف رقاعا * تٍ تولّت منــه وعقل سخيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هُبَيرة يشرب النبيذ، وكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لَهَب، كانت تغشانا معه، وكنت أعبث بها كثيرا ؛ فقام مولاها يوما الى الخابية (١) يستق نبيذا، فاذا قميصه قد آنشق؛ فقلت فيه :

قالت له لَهَبٌ يوما وجاد لهـا * بالشِّعر فى باب فعلانٍ ومفعولِ
أمّا القميصُ فقد أزرى (٢) الزمانُ به * فليت شعرِىَ ما حالُ السراويلِ

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة تضرط على صوت العيدان وغيرها فى الإيقاع . فقلت فيه :

فى الحىّ من لاعدمت خلّته * فتى إذا ماقطعتُــه وصــــلا
له عجوزٌ بالحَبْق (٣) أبصر من * أبصرتُه ضـاربا ومرتجلا
نادمتُه مرّة وكنت فتى * مازلت أهوى وأشتهى الغزلا
حتى إذا ما أمالها سَكَرٌ * يبعث (٤) فى قلبها لهـا مثـــلا

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٢٣ طبع بولاق) . وفى الأصول : « الجابية » وهو تحريف .
(٢) فى الأغانى : « أودى » .
(٣) الحبق : الضراط . (٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « شعث » .

اتّكأتْ يَسرة وقد خرفت (١) * أشراجها كى تقـــوم الرَّملا

فلم تزل إســتها تطارحنى * اِسمعْ إلى من يسومنى العِللا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى ، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره . فقال له أبى يوما : حدّثنا ببعض نوادرك وطرائفك . قال نعم . من طرائف أمورى أن آبنى زنى بجارية سِنديّة لبعض جيرانى ، فحبلت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا . فقال : يا أبت ، الصبىُّ والله آبنى ، فساومتُ فيه فقيل لى : خمسون دينارا . فقلت له : ويلك ! كنت تخبرنى وهى حبلى فأشتريها بعشرين دينارا ونربح الفضل بين الثمنين ! وأمسكت عن المساومة بالصبى حتى آشتريته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيـا فولدت آبنا آخر ، فجاء يسألنى أن أبتاعه ، فقلت : عليك لعنة الله ، أى شىء حملك على أن تُحبِل هـذه ، هلا عزلت عنها ! فقال : إنى لا أستحلّ العزلَ . ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول : شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستحلّه . فقلت له : يابن الزانية ! تستحلّ الزنا وتتحرّج من العزل ! فضحكنا منه . وقلنا له : وأىّ شىء أيضا ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى جارله يهودىّ خمّار ، فقلت : أريد خمرا بنت عشر قد أنضجها الهجير . فأخرج لنا شيئا عجيبا ، فآبتعناه منه وشربنا . فقلت آشرب معنا ، فقال : لا أستحلّ شرب الخمر . فقال لى محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هـذا ! يهودىّ يتحرّج من شرب الخمر ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل ! والله لا نُفلح أبدا ولا يعبأ الله بنا . ثم شربنا حتى سكرنا وقمنا بالليل ففعلنا بآبنتـه وآمرأته وأخته ، وسرقنا ثيابه ، وخرئنا فى تِيغارات (٢) النبيذ وآنصرفنا .

قال : وكان أبو الشـبل يعبث بقينة كانت لهشام النحوىّ الضرير يقال لهـا

(١) خرفت : أمالت وصرفت . (٢) التيغارات : جمع تيغار وهو الحوض .

خنساء ، وكانت تقول الشعر . فعبث بها يوما فأفرط حتى أغضبها فقالت له : ليت شعرى ! بأى شيء تدلّ ؟ أنا والله أشعر منك ، ولئن شئت لأهجونك حتى أفضحك، فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفرطت علينا * وليس منها لنا مجير

٥ تاهت بأشعارها علينا * كأنما ناكها جرير

قال : فخجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه .

ذكر شيء من نوادر حمزة بن بِيض الحنفىّ

كان شاعرا من شعراء الدولة الأمويّة، وهو كوفىّ خليع ماجن. وكان منقطعاً إلى المهلّب بن أبى صُفْرةَ وولَدِه، ثم إلى أبانَ بن الوليد وبِلال بن أبى بُرْدة ، ١٠ واكتسب بالشعر من هؤلاء مالًا عظيما . يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق وحُمْلان وغير ذلك ألفَ ألفِ درهم . وله نوادر ، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهانىّ عنه :

أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبَث به عبثا شديدا . فوجّه اليه ليلةً برسول وقال : خذه على أىّ حالة وجدته ، وأحلَفه وغلّظ عليه ١٥ الأيمان على ذلك . فمضى الرسول فهجَم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال له : أجِب الأمير . فقال : ويحك ! إنى أكلت طعاماً كثيرا وشربت نبيذاً حُلْوًا وأخذنى بطنى . فقال : والله ما تفارقنى أوْ أمضىَ بك اليه ولو سلحتَ فى ثيابك . فجهد فى الخلاص فلم يَقْدِر عليه . ومضى به ، فوجده قاعدًا فى طارمة[1] له وجاريةٌ جميلةٌ

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

جالسة بين يديه، وكان يتحظّاها، تسجُر[1] النَّدَّ . فجلس حمزة يحادثه وهو يعالج ماهو فيه . قال حمزة : فعَرَضتْ لى ريح فقلت : أُسَرِّحها وأستريح لعل ريحها لا يظهر مع هذا النَّدّ، فأطلقتها، فغلبت والله ريحَ البخور وغَمَرته . فقال: ما هذا يا حمزة؟ فقلت: علىّ عهد الله وميثاقه وعلىّ المشىُ والهَدْىُ إن كنتُ فعلتُها! وماهذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة . فغضِب، وخَجِلت الجارية فما قَدَرتْ على الكلام . ثم جاءتنى أُخرى فسرّحتها، فسَطَع والله ريحُها . فقال : ما هذا؟ ويلك! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتى طالق ثلاثًا إن كنتُ فعلتها . فقال : وهــذه اليمين لازمةٌ إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية؛ وقال لها : ماقصّتك ؟ ويلك ! قُومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شــيئا . فزاد تَخجّلها، وطمِعتُ فيهــا فسرّحت الثالثة فسطَع من ريحها مالم يكن فى الحساب . فغضِب عبد الملك حتى كاد يخرج من جِلْدِه؛ ثم قال : ياحمزة، خذ بيد الزانيــة فقد وهبتُها لك وآمضِ، فقد نغّصت علىّ ليلتى . فأخذتُ بيدها وخرجتُ . فلقِينى خادم له فقال: ما تريد أن تصنع؟ فقلت له: أمضى بهذه الجارية . فقال : لاتفعل، فوالله لئن فعلت ليُبْغِضنّك بغضًا لاتنتفع به بعده أبدا، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يتحظّاها، وسيندَم على هبتــه إيّاها لك . فأبيتُ إلا بخمسمائة دينار . فقال: ليس غير ماذكرت لك . فأخذتها وتركت الجارية . فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك . فلمــا قرُبت من داره لقينى الخادم وقال لى : هل لك فى مائة أخرى وتقول مالا يضرّك ولعله ينفعك؟[2] قلت : وما ذاك؟ قال : إذا دخلت فادّعِ القَسَوات الثلاث وآنسبُها إلى نفسك وآنضح[3] عن الجارية ماقرَفتَها به . فأخذتُها ودخلتُ على عبد الملك . فلما وقفتُ بين يديه قلت له : الأمانَ حتىَّ

(١) تسجر : تحرق . (٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «وماذا» .

(٣) انضح، أى آدفع عنها .

أخبرك بخبر يسرّك ويُضحكك . قال : لك الأمان . فقلت : أرأيتَ ليلة كذا وكذا وما جرى؟ قال نعم . قلت : فعلىّ وعلىّ إن كان فسا تلك الفَسوات غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال فقلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أنى قمتُ فقضيت حاجتى وقد كان رسولك منعنى من ذلك . ومنها أنى أخذتُ جاريتك . ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما بَرِحَتْ من دارك ولا خرجَتْ حتى سلّمتها الى فلان الخادم وأخذتُ مائتى دينار . فسُرَّ بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك فىَّ وتركِكَ أخذَ الجارية . قال حمزة : ودخلتُ اليه يوماً وكان له غلام لم ير الناس أنتنَ إبطًا منه . فقال لى : يا حمزة، سابِقْ غلامى هذا حتى يفوح صُنَانكما، فأيّكما كان صُنانه أنتن فله مائة دينار . فطمِعتُ فى المائة ويئستُ منها لما أعلمه من نَتْن إبط الغلام ؛ فقلت : أفعل . وتعادينا ساعة فسبقنى ، فسلَحتُ فى يدى ثم طليت إبطى بالسُّلاح ؛ وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما ؛ فلمّا دنا الغلام منه وشمّه وثب وقال : هذا والله لا يُشاكله شىء . فصحت به : لا تعجَل علىّ بالحكم ، مكانك! ثم دنوت منه فألقمت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دماغَه وأنا ممسك رأسه تحت يدى ؛ فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أشبه منه بالإبط . فضحك عبد الملك ثم قال: أفحكمت له؟ قال نعم ؛ فأخذت الدنانير . قال : ودخلت يومًا على سليمان بن عبد الملك . فلما مَثَلت بين يديه قلت :

رأيتُك فى المنام شنَنتَ خزًّا[1] * علىّ بنفسجًا وقضيتَ دَينى

فصدِّقْ يافدتك النفسُ رؤيا * رأتها فى المنام لديك عينى

---

(١) شننت : نسجت وحكت .

قال سليمان : يا غلام، أدخِلْه خزانةَ الكُسْوة وآشْتُن عليه كلَّ ثوب خزّ بنفسجيّ، فخرجتُ كأنى مِشْجَبٌ[(١)] . ثم قال : كم دَينك؟ قلت : عشرة آلاف ؛ فأمر لى بها وما أعلم والله أنّى رأيت من ذلك شيئا .

ذكر شىء من نوادر أبى العيناء عفا الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، من بنى حنيفة أهل اليمامة . ٥ وأُسِر ياسر فى سِباء فى خلافة المنصور. فلما صار فى يد المنصور أعتقه؛ فهم موالى بنى هاشم . وكان أبو العينـاء ضرير البصر، يقال : إنّ جدّه الأكبر لقى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى؛ فكلّ من عَمِى منهم فهو صحيح النسب . وهو ممن آشتهر بالمجون، وله نوادر وحكايات مستظرفة، ومراسلات عجيبة، سأورد منها طَرَفا، وأَسَطّر طُرَفا . فمن ذلك : أنّ بعض الرؤساء ١٠ قال له : يا أبا العيناء، لو مُتَّ لرقص الناس طَرَباً وسرورا . فقال بديهةً :

أردتَ مَذَمّتى فأجدتَ مَدْحِى * بحمـد الله ذلك لا بحمْـدِكْ
فلا تك واثقـا أبدًا بعَمْـدٍ * فقد يأتى القضاءُ بغير عَمْدِكْ

ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا، فلو رآنى الموتى لطربوا لدخول مثـلى عليهم، وحلول عقلى لديهم، ووصول فضلى اليهم؛ فما زال الموتى يغبِطونكم ويرحموننى بكم . ١٥

وقال : وآتّصلت أشغال أبى الصَّقْر الوزير، فتأخّر توقيعه عن أبى العيناء برسومه . فكتب اليـه : رقعتى، أطال الله بقاء الوزير، رقعـة مَنْ عَلِم شُغْلَك فآطَّرح عَذْلَك ؛ وحقّق أمرك فبسَط عُذْرَك . أمّا والليـلِ اذا عسعس، فالبنان لبنات الدّنان، ومُلامسات الحِسان ؛ وأمّا والصبـح اذا تنفّس، فالبنـان للعِنان،

(١) المشجب : خشبات تنصب لتوضع عليها الثياب . ٢٠

ومؤامرات السلطان؛ فمَنْ أبو العيناء القرنان[(١)] ! . فوقّع أبو الصَّـقْر تحت سطوره : لكل طعام مكان، ولكل مُعْوِز إمكان؛ وقد وقّعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظًّا من المقسوم؛ وكَفَينا أنفسَنا عُذْرَك الذى هو تعزير، ولسانك الذى هو تحـذير . والســلام .

ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبه فقال : طاعةُ شِيَمِك لسلطان كَرَمك، ألزمتك الصـبر على ذنوبى إليك، وتَجَنِّى خُلُقِى عليـك . فقال أبو الصقر : كبير حَسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وآنصرف شاكرا . قال : وبسط أبو العيناء لسانه على أهله فى بعض الدواوين . فقال له فتى من أبناء الكُتّاب كانت فيه جرأة : كلّ الناس لك يا أبا العيناء زوجة، وأنت زوجة أبى علىّ البصير . فقال له أبو العيناء: قد ملكنا عِصْمتك بيقين فَحْواك، ثم ننظر فى شكوك دعواك، وقد طلّقت الناس كلهم سواك؛ ذلك أدنى ألّا نعول، وفيـك ما يروى الفحول، ويتجاوز السول . قال : ففضحه بهذا الكلام، فلم يُجبه . قال : وكان فى بنى الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبى العيناء؛ فنهاه نصحاؤه فأبى؛ فقـالوا : شأنك . فقال له : يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلُك وأبوك الذين لم يؤدّبوك . فقال له الفتى : إذًا قـد علمتُ أنك ما أسلمت . فقـال أبو العيناء : شهادتُك لأهلك دعوى، وشهادتى عليهم بلوى، وسترى أىّ السلطانين أقوى، وأىّ الشيطانين أغوى؛ وسيعلم أهلُك، ما جنى عليهم جهلُك . قال : فأتاه أبوه فتبرّأ من ذِمّتـه، ودفعه اليه برُمّته . فقال له أبو العيناء : قد وهبتُ جورَه لعَذْلك ، وتصدّقتُ بحُمقه على عقلك .

ومن أخبار أبى العيناء أيضا : أنّ محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون

(١) القرنان : من لاغيرة له .

زعم أنه غير فاره، فكتب الى أبيه : أَعَلِم الوزير أعزّه الله تعالى أنّ أبا علىّ محمدا أراد أن يبرّنى فعقّنى، وأن يُرْكبنى فأرجلنى ! أمر لى بدابّة تقف للنبرة، وتعثُر بالبعرة، كالقضيب اليابس عَجَفا، وكالعاشق المجهود دَنَفا[(١)]؛ يساعد أعلاه لأسفله، حُباقه[(٢)] مقرون بسُعَاله؛ فلو أمسك لترجّيت، أو أفرَد لتعزّيت، ولكنه يجمعهما فى الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مُرْشِد، أو شاعر مُنْشِد؛ تضحك من فعله النسوان، ويتناغى من فعله الصبيان؛ فمن صائح يصيح : داوِه بالطباشير، ومن قائل يقول : نقِّ له من الشعير. قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء فى الأمصار؛ فلو أُعِين بنطق، لروى بحقٍّ وصدق، عن جابر الجُعْفىّ، وعامر الشَّعْبىّ . وإنما أُتِيتُ من كاتبه الأعور، الذى اذا آختار لنفسه أطاب وأكثر، وإذا آختار لغيره أخبث وأنزر . فإن رأى الوزير أن يُبدلنى ويريحنى بمركوب يضحكنى كما يُضحِك منى، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطّره العيب بقُبحه ودَمامته . ولست أردّ كرامَهْ، سرجَه و لجامَهْ؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يُهديه، أو ينقض ما يمضيه . فوجّه اليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسَرْجه ولجامه. ثم آجتمع محمد ابن عبيد الله عند أبيه . فقال عبيد الله لأبى العيناء : شكوتَ دابّة محمد، وقد أخبرنى إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار، وما هذا ثمنه فلا يُشتَكَى . فقال : أعزّ الله الوزير لو لم أكذب مستزيدا، لم أنصرف مستفيدا . وإنى وإياه لكما قالت آمرأة العزيز: (ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) . فضحك عبيد الله وقال : حجّتك الداحضة، بملاحتك وظَرْفك أبلغ من حجة غيرك البالغة . ودخل أبو العيناء على أبى الصَّقْر وكان قد تأخّر عنه، فقال : ما أخّرك عنا؟ قال : سُرِق حمارى . قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فلم لم تأتِ على غيره؟

(١) كذا بالأصل . (٢) الحباق : الضراط .

قال : أبعدنى عن الشراء قلّة يسارى ، وكرِهت ذِلّة المُكارى ، ومنّة العوارى . قال: وصار يوما الى باب صاعد بن مَخْلَد ، فقيل له : هو مشغول يصلّى ؛ فقال : لكلّ جديد لذّة . وكان صاعد نَصْرانيّا قبل الوزارة . وقال له صاعد يوما : ما الذى أخّرك عنّا ؟ قال : بنتى . قال : وكيف؟ قال : قالت لى : يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا فتأتى بالخِلْعة السَّرِيّة ، والجائزة السنيّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً ، وترجع مُعْتِما ، فإلى من؟ قلت : إلى أبى العلاء ذى الدرايتين . قالت : أيُعطيك؟ قلت : لا . قالت : أفيشفّعك؟ قلت : لا . قالت : أيرفع مجلسك؟ قلت : لا . قالت : يا أبت لِمَ تَعبُـدُ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغنى عنك شيئا ! .

ولأبى العيناء مع المتوكّل أخبـار وحكايات ؛ فمنها أن المتوكل على الله قال له يوماً : يا أبا العيناء ، هل رأيت طالبيّاً حسن الوجه قطّ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أرأيتَ أحداً يسأل ضريرا عن هـذا؟ قال : لم تكن ضريرا فيما تقدّم ، وإنما سألتك عما سلَف . قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى مارأيت أجمل منه ! قال المتوكل : تجده كان مؤاجرا ويجدك قوّادا عليه . فقال أبو العيناء : أوَ فرغتُ لهـذا يا أمير المؤمنين ! أتُرانى أدع مواليّ على كثرتهم وأقود على الغـرباء ! قال : اسكت يا مأبون . قال : مولى القوم منهم . فقال المتوكّل : أردت أن أشتفى به منهم فاشتفى لهم منى . وقال له رجل من بنى هاشم : بلغنى أنك بغّاء . قال : ولم أنكرت ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مولى القوم منهم"؟ قال : إنك دعىّ فينا . قال : بِغائى صحّح نسبى فيكم . وسأل أبو العيناء الجاحظَ كتابا الى محمد بن عبد الملك فى شفاعة لصاحبٍ له ؛ فكتب الكتاب وناوله الرجل ؛ فعاد به الى أبى العيناء وقال : قد أُسعف . قال : فهل قرأته؟ قال : لا ، لأنه مختوم . قال : ويحك ! فُضّه لا يكون صحيفةَ المتلمّس . ففضّه فاذا فيه : مُوَصِّل كتابى سألنى فيه أبو العيناء ، وقد عرفتَ

سفهه وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلا . فإن أحسنت اليه فلا تحسبه علىّ يدا، وإن لم تحسن اليه لم أعُدّه عليك ذنبا، والسـلام . فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له: قد قرأتُ الكتاب يا أبا عثمان . فخجل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء، هذه علامتى فيمن أعتنى به . قال : فإذا بلغك أنّ صاحبى قد شتمك فاعلم أنهـا علامته فيمن شكر معروفه. وقال أبو العيناء: مررت يوماً بدرب بسامَرّاء؛ فقال لى غلامى: ٥ يا مولاى،فى الدرب حَمَل سمين والدرب خال. فأمرته أن يأخذه وغطّيته بطيلسانى وصرتُ به الى منزلى. فلما كان من الغد جاءتنى رُقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جُعلت فداك، ضاع لنا بالأمس حَمَل، فأخبرنى صبيان دَرْبنا أنك أنت سَرقته، فأْمُرْ بردّه متفضّلا . قال أبو العيناء : فكتبت اليه : أى سبحان الله! ما أعجبَ هـذا الأمر! مشايخ دَرْبنـا يزعمون أنك بَغّاء وأُكذّبهم ولا أُصـدّقهم، ١٠ وتصدّق أنت صبيانـ دربكم أنى سرقت الحمـل! . قال فسكت وما عاودنى . ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب وتركنا ما سواه .

ذكر ما ورد فى كراهة المزح

رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَنْ مَزَح اَستُخِفّ به" . ١٥ وقال حكيم : خير المزاح لا يُنـال ، وشرّه لا يُقـال؛ سكرات الموت به مُحدِقة ، وعيون الآجال اليـه محدِّقة . وقال آخر : تجنّب شؤم الهزل ونكد المزاح؛ فإنهـما بابان إذا فُتحا لم يُغْلَقا إلا بعـد عسر ، وفحلان إذا لَقَحا لم ينتجا غيرَ ضُرّ . وقالوا : المُزاح يضع قدر الشريف، ويُذهب هيبـة الجليل . وقالوا : لا تقـل ما يسوءك عاجله، ويضرّك آجله . وقالوا : إيّاك وما يُستقبَح من الكلام ، فإنه يُنَفّر عنـك ٢٠ الكرام، ويُجَسّر عليك اللئام . وقال عمر بن عبد العزيز : اِتّقوا المزاح ، فإنها حَمْقة

تورث ضغينة . وقال حكيم لابنه : يا بنيّ، إياك والمزاح؛ فإنه يذهب ببهاء الوجه ويحطّ من المروءة . قال شاعر :

اكْرَهْ لنفسك ما لغيرك تكرَهُ * وافعل لنفسك فعلَ من يتنزّهُ
وارفَع بصمتك عنك سُبّاتِ الورى * خوفَ الجواب فإنه بك أشبَهُ
ودع الفكاهةَ بالمزاح فإنها * تُودى وتُسقط مَنْ بها يتفكّهُ

وقيل :

ألَا ربَّ قولٍ قد جرى من ممازحٍ * فساق اليه الموتَ في طَرَف الحبل
فإنّ مزاحَ المرء في غير حينه * دليلٌ على فرط الحماقة والجهل

وقيل :

فإياك إيّاك المزاحَ فإنه * يُجَرِّى عليك الطفلَ والرجلَ النَّذْلا
ويُذهِبُ ماءَ الوجه بعد بهائه * ويورثُ بعد العزّ صاحبَه ذُلّا

وقال بعض البلغاء : المزاح خَرَف، والاقتصاد فيه ظَرْف، والإفراط فيه ندامة . وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر أسباب القطيعة المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه للجَمام (١) ، فليكن بمقدار الملح في الطعام . قال أبو الفتح البستيّ رحمه الله :

أفِدْ طبعَك المكدودَ بالهمّ راحةً * تراحُ وعلّله بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته المزحَ فليكن * بمقدار ما يُعطَى الطعامُ من الملح

وقيل :

امزَحْ بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحًا تضاف به الى سوء الأدَبْ
لا تُغضبنّ أخًا إذا مازحتَه * إن المزاح على مقدّمة الغضَبْ

وقيل :

مازح صديقك ما أحبَّ مزاحا * وتوقَّ منه في المزاح جِماحا

(١) الجمام (بالفتح) : الراحة .

فلربمـا مَزَح الصـــديقُ بمزحةٍ * كـانت لبـدء عداوةٍ مفتـاحا

وقال سعيد بن العاص لولده : يابنىّ ، اقتصد فى مزحك ؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ، ويُجَرّئ السفهاء . ويقال : المزاح أوّله فَرَح ، وآخره تَرَح . قال أبو العتاهية :

وترى الفتى يَلْقَى أخاه وخِدْنَهُ * فى بعض مَنطِقه بمـا لا يُغفَـرُ

ويقــول كنتُ ملاعباً وممازحاً * هيهات ! نارُك فى الحشا تتسعّرُ

ألقيتها وطَفِقتَ تضحك لاهياً * وفــؤادُه ممـا به يتفطّـــرُ

أوماعلمتَ ومثلُ جهلك غالبٌ * أنّ المزاح هو السِّبابُ الأكبرُ

فهذه نبذة مما قيل فى الفكاهات والمجون ، يفرح لها قلب المحزون ، وتزول عنه الشجون . فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزّاحين .

ذكر شىء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد فى هذا الفصل من أشعار هذا الفن ، ما رَفَلت معانيه فى حُلَل أنفاسها على صفحات أطـراسها ، وأهلت مغانيــه بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها من بديع إيناسها . يُضحك سامعَه وإن كان ثَكِلا . ويستوفيه وإن كان عَجِلا . هذا مع ما فيه من فُحْش القول الذى إذا تأمّلتــه فى موضـعه كان أزين من عقود اللآلى ، وإن لمحتــه فى غيره كان أقفر من ظُلَم الليالى . نسأل الله المسامحة لكاتبــه وقائله ، ومستمعه وناقله . فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء :

يا أبا أحمــد بنفسىَ أفـــديـــــك وأهـــلى من سائر الأسواءِ

كيف كان انحطاطُ جَعْسك(1) فى طا * عةِ شـــرب الدواء يوم الدواءِ

كيف أمسى سِبالُ مَبْعَرك النَّدْ(2) * ل غريقًا فى المرّة الصـــفراء

(١) الجعس : الرجيع . (٢) الندل : الوسخ .

وقال الحسن بن هانىء يصف نفسه بمعرفة صناعة الدّبّ :

إذا هجع النيامُ نخلّ عنى * وعمّن كان يصلح للدّبيب
فإنى عالمٌ فَطِنٌ أريبٌ * ولم يُخبرك مثلُ فتًى أريب
ألذّ النّيك تأخذه سِرارًا * بمنع الحِبّ أو منع الرقيب
بُليتُ بشادنٍ أحوى ربيبٍ * بعيدٍ فى مودّته قريب
كأنّ تعطّفَ الأعطاف منه * قضيبٌ مالَ فى أعلى كثيب
ظَفِرتُ بعقد الزُّنّار منه * وما آرتابت ظنونُ المستريب
فُلْتُ بخفّةٍ فى الرّدف أجرى * على ما شئتُ من لِينٍ وطيب
فلما آشتدّ للشّبَق آضطرابى * ودفّع من دلادله قضيبى
تنبّه حين أمطره سَحابى * وأنكر حالتى ورأى وثوبى
وقام يسبّنى ويحطّ قدرى * فقلت له ترفّق يا حبيبى

وقال :

يا حبّذا ليلةٌ نَعِمتُ بها * أشرَبُ فضلَ الحبيبِ فى القَدَح
سألتُه قُبلةً فجاد بها * فلم أُصدّقْ بها من الفَرَح
ثم تَرَقّيتُ فوق منبَرِه * بأحرَم الأنف بيّن الجَلَح[1]

وقال :

ومُنتبِهٍ من نومه بعد هَجْعةٍ * وقد دَبّ ربُّ البيت شوقًا إلى الساقِ
فأدلج فيه مثلَ أسودَ سالخٍ * أصمَّ من الحيّات ليس له راقى
أشقّ لرتق الإست من حَدّ شفرةٍ * وأنفذ فى الحُصيَيْن من زُجِّ[2] مِزراقِ

(١) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس .
(٢) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح .

فقلت له لمّا تورّك فـــوقه * وأطرق عنـــد الرّهز أيّةَ إطراق
نشـــدتُك ألّا تُلفِيَنّ مُقصّرًا * ولا مشفقًا لى غير موضـع إشفاق

وقال :

لَلَطمـــةٌ يلطمـــنى أمرَدٌ * تأخذ منّى العين والفكّا
أطيبُ من تُفّاحةٍ من يَدَىْ * ذى لِحيـــةٍ مُحْشوّةٍ مسكا ٥

وقال أيضا :

أُرفُضْ أخوّة من نَسَكْ * وآلزم سجيّةَ من فَتَكْ
وآضرب بأيرك خصمَه * وبه فحكّمْ فى السكَكْ
وإذا لقيت مُهفْهَفًا * فآسلُك به أنّى سلَكْ
وآهبُب عليـــه منعظًا * وآبرُك عليـــه إن بَرَكْ ١٠
وآصهل عليـــه مُحَمْحِمًا * فعلَ العِتاق على الرَّمَكْ(١)
وآسق الملاحَ بكأسه * وآنصِب لشاردهم شَرَكْ
واشقق سراويلاتِهم * لا تنتظر حلَّ التِّكك

وقال أيضا :

ومُشتَرِكٍ فيه إذا الوهمُ ناله * تخنُّثُ أُنثى وآعتدالُ غُلَامِ ١٥
تمطّيتُه والليلُ مُرخٍ سُدولَهُ * وأكتافُهُ محفوفةٌ بظلامِ
وخالسته كأسين رِيقًاوقهوةً * معتّقـــةً شُجّت(٢) بمـاء غمامِ

وقال أيضا :

يا أبا القاسم قلبى * بك صَبٌّ مستهام
بأبى مَرْكبك الصَّعْبُ الذى ليس يرام ٢٠

---

(١) الرمك : جمع رمكة وهى الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل . (٢) شجت : مزجت .

سَرْجُــه كالدُّرّ لوناً * ناعــمُ اللّس رُكام
وبدادانٍ[(١)] يميــلا * ن إذا آشــتدّ الحزام
طبتَ، والعِفَّةُ عن تقـ[(٢)] * بيل خــدّيك حرام
أبدا تُمْشَــق فى ها * ئك من جسمِىَ لام

٥ وقال أيضا :

يا فتنةً سيقت الى قَيْنةٍ * لقتلِ عُزّاب مسا كينِ
إذا رأوه صهلوا نحــوه * يحكون أصوات البراذينِ
كأنّ فخذيه اذا آضطَمّتا * والأيرُ فيها عقدُ عشرين

وقال أيضا :

١٠ وغزالٍ عاطيتُــه الراحَ حتى * فتّرتْ منــه مُقْــلةً ولسانا
قال لا تُسكِرنّى بحيــاتى * قلتُ لا بدَّ أن تُرَى سكرانا
إنّ لى حاجةً إليــك اذا نمـ * ـتَ وإن شئتَ فاْقضِها يقظانا
فتلكّا تلكُّؤا فى آنخناثٍ * ثم أصغى لمــا أردتُ فكانا

وقال أيضا :

١٥ قالوا آغتسِلْ وَجَبَ الطُّهرُ* والكئوس تدورُ
فقلت سوف فقالوا * تركُ الصــلاة كبيرُ
فقلت أكبر منه * ظبيٌ ينــاك غريرُ
إن قمتُ لم ينتظرنى * وغاب عنى السرورُ
وما لمثــلى صــلاةٌ * لأنّ فِسْقى شهيرُ

٢٠ (١) البدادان : مثنى بداد، وهو ذلك المحشو تحت السرج والقتب؛ أو هما الخرجان .
(٢) كذا فى مجون أبى نواس (طبع مصر سنة ١٣١٦) وفى الأصول :
طبت بالعفــة عن تقبيــل* خديك لزام
وقد وردت هذه الأبيات فى مجونه بزيادات واختلاف كثير عما هنا .

فأقصروا عن ملامى * فإنــنى معــذورُ
إنّ الجنابة ممّن * جَنُبْتُ منه طَهورُ

قال ابن سُكَّرة الهاشمىّ شاعر اليتيمة :

قد قلتُ لمّا مرّ بى مُعرضًا * كالبدر تحت الغسَق الداجى
يهتزّ فى مِشــيته مُتعبًّــا * من كَفَلٍ كالموج رجراجِ
ويــلى على حلّ سراويله * فإنه شُــدّ عــلى عاجِ

وقال ابن الرومىّ :

ياطيّبَ الثغـر والمجاجهْ * اِقْضِ لنا حاجةً بحاجهْ
خذ من دنانيرنا وبعنا * نيكًا ودَعْنا من اللّجاجَهْ
عَرِّجْ علينا تُصِبْ غداءً * ونعمل العـود والزجاجَهْ
ياحَسَنَ الوجه لاتسمَّج * فيفسد الحسنُ بالسماجَهْ

وقال ابن سُكَّرة :

أيا مَنْ كلّه قمرُ * وكلّ لحَاظِــه حَــوَرُ
لقد طالت عِدَاتُك لى * وأيامى بهـا قِصَرُ
متى فى البرج تحصل كى * تَزِيفَ ويهدر الذكَرُ
وتنشأ بيننـا قُبَــلٌ * يطــير لنارها شَرَرُ

وقال أيضا :

أحببتُ بدراً ماله مُشْبِهٌ * فى الحسن إلا أنه جافِ
أحورُ فى مقلتـه حجّــةٌ * للعين والشـين مع القافِ
وفى ارتجاج الرِّدف داعٍ إلى * نُونٍ وياء قبلَ(١) ما كافِ
سألته الوصـل فلم يحتشم * وقال قدِّم نقدكَ الوافى

(١) كذا فى اليتيمة وفى الأصل «بعدها كاف» وهو تحريف .

وقال أيضا :

أيها التركىّ ماعنـ * ـدك للصبّ النحيل
هل الى مايستر القُرْ * طَقُ[1] عنى من سبيل
أشتهى ذاك وأخشى * صولةَ الليث الثقيل

وقال أيضا :

إنى بُليتُ بشادنٍ غَنِجٍ * حَسَنِ الشمائل وافرِ الكفَلِ
يبغى الدراهمَ وهى مُعْوِزَةٌ * عندى لخبلى غيرُ متّصلِ
مُسْتَعْجَمِ الألفاظ أجهل ما * يُبدى ويجهل فهمُه غزَلى

وقال أيضا :

ياليلة ليس فيها * الى الفقاح[2] سبيلُ
طالت على ذى آهتياج * له قُمُدٌّ[3] طويلُ
مسكرجٌ تتوالى * دموعُه وتسيلُ
رُقاده فى الدّياجى * حتى ينيك قليلُ
مُوَتَّرٌ مستقيمٌ * عليه رأسٌ ثقيلُ
أنزلتُه خانَ سوء * يطيب عنه الرحيلُ

وقال آبن سكّرة أيضا فى أعرج :

قالوا بُليتَ بأعرج فأجبتهم * العيبُ يحدُث فى غصون البانِ
ماذا علىّ اذا آتخذتُ شمائلاً * وروادفًا تُغنى عن الكُثبانِ
إنى أُحبّ جلوسَه وأُريده * للنيك لا للجرى فى المَيْدانِ

(١) القرطق : قباء ذو طاق واحد . (٢) الفقاح : جمع فقحة وهى حلقة الدبر .
(٣) القمدّ : الذكر الشديد الإنعاظ .

فى كلّ عضوٍ منه حُسنٌ كاملٌ * ما ضرّنى إن زلّتِ القَـدَمانِ

وقال أيضا :

سألتــه فى صحوةٍ قُبـلةً * فردّنى والمـوتُ فى ردّهِ
حتى اذا السُّكرلوَى جيدَه * قبّلتــه ألفا بلا حمــدهِ

٥ وقال :

إذا لم يكن للأيْر بختٌ تعذّرتْ * عليه جهاتُ النيك من كلّ ناحيَهْ
حُرِمتُ الغزالَ الواسطىَّ بحِرفتى * فدمعةُ أيرى فوق خُصْيَيْه جاريَهْ

وقال أيضا :

عَشِقتُ للحَيْنِ قَينةً عَطَفتْ * قلبىَ بالحســن كلَّ مُنْعَطَفِ
١٠ ورُمتُ نيكاً لهـا وكيف به * لولا سَفاهِى والبِذْع من حِرَفِى
قلت ٱرفُقى بالشريف فٱبتسمتْ * عن لؤلؤ ما ٱعتزى إلى صَدَفِ
عُجْبًا وأبدتْ كالقَعْب عضَّ له * أيرى على بَيْضِـه من الأسَفِ
وصفَّقتْ حـوله تحسّرنى * وهو كثيف المَجسّ كالهـدَفِ
حتى إذا ما رَبا له ذَكَرى * وطال حتى علا على كتفى
١٥ قالت بحقِّ عليــك تطمع أن * تُولِج فى ذا بالشِّعرِ والشّرَفِ
تَالله لا نِكتَنى بقـافيـةٍ * ولا بشِــعْرٍ فٱنسـلّ أو فقِفِ
وأسبلتْ ثوبهـا عليــه فـلم * أملِكْ سلوًّا ولجَّ بى كَلَفى
فعُجْتُ عنهـا والأيرُ يُنشِدنى * بيتـا ويبكى بأدمعٍ ذُرُفِ
"قال لى الشــوق قِف لتَلثِمه * فمِن حِذارِ الرقيبِ لم أقِفِ"

٢٠ وقال أيضا :

لنجمةَ عنـدى حديثٌ يطولُ * رأتنى أبــول فكادت تبـولُ

فلما نهضتُ أتانى الكتابُ * وجاء الهدايا وجاء الرسولُ
وقالت تقول بنا يافتى * فقلت وأنعظتُ لِمْ لا أقولْ

وقال أحمد بن محمد الأنطاكىّ :

كلَّ يوم أنا من أيـ * ـرِىَ فى أمرٍ عُجابِ
ليس يُخْليـنِىَ من همٍّ وحزنٍ وٱكتئاب
لم يدع لى ذهبا إلّا رماه بالذهابِ
وٱبتداء الشؤم أن يعـ * ـمل فى أمر الشبابِ
هل مجيرٌ لِىَ منـه * أهلَ ودّى وصحابى

وقال أبو عبد الله[1] محمد بن الحسن الحجاج :

صَمَدتُ لهـا وجنحُ الليل داجٍ * بأخطفَ للطـريدةِ من عُقابِ
وألصـقَ فى المباعرِ من قُرادٍ * وأوقعَ فى المقَـاذر من ذُبابِ

[وقال أيضا[2] :

ضرطتُ ونحن بعُكْبَرا * ءَ فشمّرت سفنُ الغروبِ
وفست على ريح الشّما * ل فألحقتها بالجنوبِ
ومسحتُ مَبقَلة ٱستها * فوجدتُها ألفى جَريبِ
جاءت إلىّ وجوفُها * يَغْـلى ولا قِدْرِ الزبيبِ
فسلقتُ بيضى فى ٱستها * وشَويتُ فى حِرِها قضيبى

وقال :

ذاتُ رَحْمٍ يُسقَى الفراغاتِ صِرفا * من عصيرِ الخُصَى بغير مزاجِ

(١) فى بعض الأصول : «أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجاج» . وفى اليتيمة : «أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حجاج» . وفى ترجمته بتاريخ أبى هلال الصابى الملحق بتاريخه الوزراء ص ٤٣٠ : «أبو عبد الله الحسين بن أحمد» .
(٢) الزيادة التى بين هاتين العلامتين [ ] ناقصة من الأصل وموجودة بإحدى النسخ .

بات دكشــاب فَيشْتَى فى خراها * يخلِـــط الدوغبــاج بالزيرباجِ

وقال أيضا :

لمـا أتتنى بالليـــل مقبلةً * وثوبهـا بالخـرا قد ٱئتزرا

تركض مثلَ الحِصان نافرةً * ومن يردّ الحصانَ إن نفرا

مدّ ذراعى فى صدرها لَبَباً * وشدّ أيْرى فى سُرْمها ثَفَرا] ٥

وقال أيضا :

وافــرة الرِّدف فهـو يُثقِلها * لطيفةُ الكَشْحِ نِضْوة(١) الخصْرِ

طعمُ خراها وطعم فَيشْــلتى * يُشـــبه طعمَ اللِّبـا(٢) مع التمرِ

لو لم أُشَبِّب بشَــعْرِ عانتها * ما طاب للناس كلّهم شِعْرِى

قيل لايرى وقد رأَوه ولا الـ * ـهارب بعد الحصول فى الأسْرِ ١٠

يشتدّ بعـــد العشا الى حِرِها * عَدْوًا بلا حِشـمةٍ ولا فكرِ

مالك هــوذا يطـيرقلت لهم * أطـير مسـتعجلا الى وكرى

وقال وكتب بهـا عن بعض الرؤساء وقد عرضت عليه جارية وصف حسنها ليقلّبها فامره بالجواب، فكتب:

ياذا الذى جاء بحِـيرِله * فى السرّ يهديه الى أيرى ١٥

علىّ شـغلٌ بالمهمّ الذى * تراه فاطلُب نائكا غيرى

وقال :

لَخَمِيَّــةُ السُّـــرْمِ ولكنها الـ * ـبظراء شِـــيرازيّة المفـــرِقِ

قالتِ لأيْرى بعد ما صبَّ فى * نواتهـا أكـثرَ من دورقِ

(١) النضوة : المهزولة . ٢٠

(٢) اللبأ (وسهلت همزته هاهنا للشعر) : أول اللبن .

أوحشتَ مِنَ آستى فقل لى متى * تؤنسه ياعُنُقَ اللّقلَق (١)
فقال هيهات وهل يرجع اللصّ إذا فرّ من المُطبِق (٢)

وقال أيضا :

قُومِى تنحّىْ فلستِ من شانى * قُومِى آذهبى لا يراكِ شيطانى
لا كان دهرٌ عليك حصّلنى * ولا زمانٌ اليك ألجانى
قعدتِ تفسين فوق طِنْفستى * مابين راحى وبين ريحانى
فما عَدِمنا من الكنيف وقد * حَضَرتِ إلا بناتِ وَرْدَانِ (٣)

وقال :

ياسادتى ما آسترقّ دينى * شىءٌ كمثل الخِرِ السمين
كما أراه يزول عقلى * عنّى ويعتادنى جنونى
وأشتهى أن أغوص فيه * من مَشطِ رجلى إلى جبينى
وكلما شِلت منه رأسى * رُزِقتُ قوماً يغوّصونى

وقال آبن سكّرة الهاشمىّ :

ربّ عجوزٍ مُسْتعينيّة * سَلِقيّة اللون سَلوقيّة
عاجيّة، إذا آستضحكت * أبدت ثنايا أبنُوسيّة
ذات حِرٍ عُنبُلُهُ (٤) بارزٌ * كمرقَبٍ فى وَسْطِ بريّة
وشِعْرةٍ بالقمل منظومةٍ * كالودع فى عَقْصة كُرْدية
يفترّ ذاك الصّدغ عن بظرها * كقنفذٍ عضّ على رِيّة
مُسِنّة تصبو الى أمردٍ * فهى على العاهة لُوطيّة

(١) اللقلق : طائر طويل العنق . (٢) المطبق : السجن تحت الأرض .
(٣) بنات وردان : دواب حمراء اللون وأكثر ماتكون فى الحمامات وفى الكنف .
(٤) العنبل : البظر .

وقال ابن حجاج :

فلم أزل وهى إلى جانبى * كظَبْيةٍ عفراءَ وحشــيّةْ
أثبُّ مثلَ التيس فوق آستها * وفىَّ عنـــد النيك تيْسـيّةْ

وقال أيضا :

فتاةٌ كالمَهاةِ تروق عينى * مَشاهدُها وتفتِن من رآها
تكاد تردّ للمَجْبـوب(١) أيرًا * وتُحْدِثُ للفتى العِنّينِ باها

وقال :

ياعينىَ السـفلى لِحَى سـادتى * قد شَهِدتْ بالزور فاستعبِرى
وآبكى عليهـا كلما سُرِّحتْ * فى آستى بدمع سَليِس أصفرِ

وقال أيضا :

إيّاك والعِفّـــةَ إياكـا * إيّاك أن تُفْســـد مَغْناكا
أنت بخيرٍ يا أبا جعفـــرٍ * مادمتَ صُلبَ الأيْر نيّاكا
فَنِكْ ولو أمّك وآصفَعْ ولو * أباك إن لامك فى ذاكا

وقال أبو بكر محمد الخوارزمىّ :

فسـا الشيخ سهوًا وفى كفّهِ * شرابٌ فلُمْنـاه لومًا قبيحا
فقـال لِىَ الدخلُ والخرجُ لِى * فأدخلتُ راحا وأخرجتُ ريحا

وقال أبو القاسم التّنّيسىّ :

لنـا شيخٌ بفقْحَته مُواسِى(٢) * ويَحْلِق شاربيـه بالمَواسى
اذا بايتّــه فى جنح ليلٍ * فسايفسو فُسـاء فهو فاسى

(١) المجبوب : الذى آستؤصل ذكره وخصيتاه .
(٢) المواسى : جمع موسى وهى الآلة يحلق بها .

وقال ابن سكّرة :

وبات فى السطح معى صاحبٌ * من أكرم الناس ذوى الفضل
أفسو فيفسو فهو لى مُسعِدٌ * وإنما أُملِى ويَستملى

وقال أبو نُوَاس :

٥ نِكْنا رسولَ عِنَانٍ * والرأىُ فيما فعلنا
فكان خبزًا بمِلح * قبل الطعام أكلنا

وقال علىّ بن حصين الإشبيلىّ :

قمتُ نشوانًا وقامت * فى تَهادٍ وتَثَنٍّ
ونضَتْ عنها قميصًا * ثمّ لما ضاجعتنى
١٠ قلَبتْ بطنًا لبطنٍ * قلت لا ظهرا لبطنٍ
فانثنت فى خجلٍ قا * ئلةً عند التثنّى
أنا حانوتٌ بوجهيـ * ـن فَلُط إن شئت وازْنِ

وقال أبو العلاء بديع الزمان عفا الله عنه :

لا زلتُ أجلد أو أنيك مُشَوَّهًا * ووجوهُ وِلدان الجنان تُجاهى
١٥ لا أستطيع إذا ترجرج رِدفُهُم * إلا الأسى وتَنَفُّسَ الأوّاهِ
إنى رأيتُ التُّرك يومًا كلّهم * خُصّوا بطيب مثاغرٍ وشفاهِ
لم أدر أىّ خصالهم أحلى هوًى * وبأيّهم يلهو فؤادُ اللاهى
بفخامة الأرداف أم برشاقة الأعطاف أم بحلاوة الأفواه
تاهوا على من ناكهم وتعزّزوا * ويَعِزّ نيك الأمرد التيّاهِ

البـاب الرابع
من القسم الثـالث من الفنّ الثـانى

فى الخمر وتحريمها وآفاتها وجناياتها وأسمائها ، وأخبار من تنزّه عنها فى الجاهليّة ، ومن حُدّ فيها من الأشراف ، ومن آشتهر بها ، ولبس ثوب الخلاعة بسببها ، وما قيل فيها من جيّد الشعر ، وما قيـل فى وصف آلاتها وآنيتها ، وما قيل فى مبادرة اللذّات ، وما وُصفتْ به المجالس وما يجرى هذا المجرى

ذكر ما قيل فى الخمر وتحريمها

أجمع الناس على أنّ الخمر المحرّمة فى كتاب الله عزّ وجلّ هى المتّخَذة من عصير العنب بعد أن يَغلِي ويقذف بالزَّبَد من غير أن يمسّها نارٌ . وإذا آنقلبت بنفسها وتخلّلت طهُرت من غير أن يُتسبّب فى ذلك بشىء يُلقَى فيها . وطهارتها إذا غلبت عليها الحموضةُ وفارقتها النشوة . والخمر المتّخَذة أيضا من التمر، لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه : «الخمر من هاتين الشجرتين النخلةِ والعنبةِ» . وفى حديثٍ آخَر: «من هاتين الشجرتين الكَرْمةِ والنخلةِ» . وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : «أمّا بعد، أيها الناس، إنه نزل تحريمُ الخمـر وهى من خمسـةٍ ، من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير» . والخمر ما خامر العقـلَ . ولا خلاف بين أحدٍ من الأئمة فى أن الخمـر حرام ، لمـا ورد فى ذلك من الكتاب والسنة . أما ماورد فى كتاب الله عزّ وجلّ فأربع آيات ، منها مايقتضى الإباحة ، ومنها مايقتضى الكراهة والتحريم . فأوّل مانزل فيها بمكة قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ

(٣٨) ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾. فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهى حلالٌ لهم . ثم أنزل الله عزّ وجلّ بالمدينة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطّاب ومعاذ بن جبل ونفرٍ من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه ٥ وسلم فقالوا : يارسول الله، أفتِنا فى الخمر والميسر فإنهما مَذْهَبَةٌ للعقل مَسْلبةٌ للمال ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن ربكم تقدّم فى تحريم الخمر» . فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا: لاحاجة لنا فى شربها ولا فى شىء فيه إثم كبير، وشربَها قومٌ لقوله تعالى : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ . وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنّبون مآثمها ؛ الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا ١٠ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب، فقدّموا بعضهم ليصلّى بهم؛ فقرأ قل يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون الى آخر السورة بحذف "لا" فأنزل الله عزّ وجلّ. ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ فحرّم السكر فى أوقات الصلاة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عزّ وجلّ تقارب فى النهى عن شرب ١٥ الخمر وما أراه إلا سيحرّمها . فلما نزلت هذه الآية تركها قومٌ، وقالوا : لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم : نشربها ونجلس فى بيوتنا؛ فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها فى غير حين الصلاة ؛ الى أن شربها رجلٌ من المسلمين، فجعل ينوح على قتلَى بدرٍ ويقول :

تُحيّا بالسلامة أمُّ بكرٍ * وهل لى بعد رهطك من سلامِ
٢٠ ذَرِينى أصطبحْ بِكرًا فإنى * رأيت الموت كَفّتَ عن هِشامِ
ووَدّ بنو المُغيرة لو فَدَوْهُ * بألفٍ من رجالٍ أو سَوَامِ

فى أبيات أخر . فبلغ ذلك رســول الله صلّى الله عليه وســلّم ، فجاء فزعا يجرّ رداءه حتى انتهى اليه ، ورفع شيئًا كان فى يده ليضربه ؛ فلما عاينه الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبدا ؛ ثم نزلت آية التحريم وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ . ورُوى أن هذه الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطّلب ، وكان نزولها وتحريم الخمر فى شهر ربيع الأوّل ســنة اربع من الهجرة .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطّلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم فى صحيحه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أصبتُ شارفًا [1] مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى مَغْنَم يوم بدر ، وأعطانى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شارفًا أخرى من الخُمُس . قال علىّ : فلما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واعدتُ رجلا صَوّاغا من بنى قَيْنُقَاع [2] يرتحل معى فنأتى بإذْخِر [3] أردت أن أبيعه من الصوّاغين فأستعين به على وليمة عُرْسى . فبينا أنا أجمع لشارفىّ متاعًا من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاى مُناختان الى جنب حُجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعتُ ما جمعتُ ، فاذا شارفاى قد اجتُبَّتْ أسنمتهما وبُقِرت خواصرهما وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك نفسى حين رأيت ذلك المنظر منهما [أن] [4] قلت : مَنْ فعل هذا؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هــذا البيت فى شَرْب من الأنصار ، غنّته قَيْنة وأصحابَه ، فقالت فى غنائها :

* ألَا يا حمزَ للشُّرُف النِّواءِ *

(١) الشارف : المسنة الهرمة من النوق .

(٢) بنو قينقاع (بفتح القاف وتثليث النون) : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .

(٣) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب . (٤) زيادة يقتضيها السياق .

لم يذكر مسلم فى صحيحه من الشعر غير ماذكرناه . والأبيات التى غنّت بها :

ألا يا حمز للشُّرُف[1] النِّواءِ * وهنّ معقّلاتٌ بالفناءِ
ضع السكّين فى اللّبّات منها * فضرِّجهنّ حمزةُ بالدماءِ
وعجِّل من شرائحها كبابًا * ملهوجةً[2] على وهج الصِّلاءِ
وأصلِحْ من أطايبها طبيخًا * لشَرْبِك من قديدٍ أو شواءِ ٥
فأنت أبا عمارة المُرَجَّى * لكشف الضرّ عنها والبلاءِ

فقام حمزةُ بالسيف فاجتبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . (٣٩)
فقال علىّ : فانطلقت حتى أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعنده زيد بن حارثة . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى الذى لقيت ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "مالك"؟ قلت : يارسول الله ، ما رأيت كاليوم ١٠ قط ، عدا حمزةُ على ناقتىّ فاجتبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شَرْبٌ . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتّبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذى فيه حمزةُ ، فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شَرْبٌ ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزةَ فيما فعل وإذا حمزةُ محمّرةٌ عيناه ، فنظر حمزةُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعّد النظر الى ركبتيه ثم صعّد النظر الى ١٥ سرّته ثم صعّد النظر فنظر الى وجهه ، فقال حمزة : وهل أنتم إلا عبيدٌ لأبى ! فعرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه ثَمِلٌ ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلّم على عقبيه القَهْقَرى وخرج وخرجنا معه . وفى حديث آخر : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعلىّ : "إنّ عمّك قد ثَمِلَ وهما لك علىّ" فغرمهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) الشرف : جمع شارف وهى الناقة المسنة كما تقدّم قريبا . ٢٠
(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

لعلىّ . فلما أصبح حمزة غدا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعتذر . فقال : "مَهْ ياعمّ فقد سألتُ الله فعفا عنك" . قالوا : وآتخذ عتبان بن مالك صنيعًا ودعا رجالًا من المسلمين ، منهم[(١)] سعد بن أبى وقّاص ، وكان قد شوَى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم آفتخروا عند ذلك وآنتسبوا وتناشدوا الأشعار ، وأنشد سعد قصيدةً فيها هجاء الأنصار وفخرٌ لقومه ؛ فقام رجلٌ من الأنصار فأخذ لَحْيَ البعير فضرب به رأس سعد فشجّه شجّةً مُوضِحةً . فانطلق سعدٌ الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشكا اليه الأنصار . فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بيِّنْ لنا رأيك فى الخمر بيانا شافيًا ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ تحريم الخمر فى سورة المائدة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ الآية الى ﴿ مُنْتَهُونَ ﴾ . فقال عمر : انتهينا ياربِّ . وقيل : إنها حُرِّمت بعد غزوة الأحزاب بأيام فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة . والله أعلم .

قال أنس رضى الله عنه : حُرِّمتْ ولم يكن للعرب يومئذ عيشٌ أعجبُ منها ، وما حُرِّم عليهم شيء أشدُّ من الخمر . قال : فأخرجنا الحِبابَ الى الطريق فصببنا ما فيها ، فمنّا من كسر حُبَّه ، ومنّا من غسله بالماء والطين ، ولقد غودرت أزقّة المدينة بعد ذلك حِينًا ، كلّما مُطِرت آستبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنتُ ساقى القوم يوم حُرِّمت الخمر فى بيت أبى طلحة ، وماشرابهم إلا فَضِيخ[(٢)] البسر والتمر ، فاذا منادٍ ينادى ، فقال القوم : أُخرج فآنظر ، فاذا منادٍ ينادى : ألا إنّ الخمر قد حُرِّمتْ ، قال : فجَرَت فى سكك المدينة . فقال لى أبو طلحة : أُخرجْ فأهرِقها فهرقتُها . فقالوا أو قال بعضهم : قُتِل فلان ! قُتِل فلان ! وهى فى بطونهم ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

(١) فى الأصل : «فنهم» . (٢) الفضيخ : نبيذ يعمل من البسر والتمر .

*
* *

وأما ماورد فى تحريمها فى كتاب الله وبيّنته السُّنّة، فالأحاديث متضافرة فى تحريمها . فمن ذلك ما رُوى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « من مات وهو مدمنُ خمرٍ لقى الله وهو كعابدِ وثن » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة مدمنُ خمرٍ » . وأمّا من زعم أنها تباح للتّداوى بها فيردّ عليه ذلك ما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجُعْفىّ سأل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن الخمر فنهاه أو كرِه أن يصنعها، وقال: إنما أصنعها للدواء؛ فقال : «إنها ليست بدواء ولكنه داء» . وعنه صلّى الله عليه وسلّم وقد سأله رجل قدِم من جَيشان (وجَيشان من اليمن) فسأل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذّرة يقال له المِزْر؛ فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « أَوَمُسْكِر هو» قال نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكر حرام إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » . فقالوا : يا رسول الله، وما طينة الخبال ؟ قال : « عَرَقُ أهل النار » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكرٍ خمرٌ وكلّ مسكرٍ حرامٌ ومَنْ شربَ الخمرَ فى الدنيا فمات وهو يُدمنها لم يتب لم يشربها فى الآخرة » وفى لفظ : « حُرِمَها فى الآخرة فلم يُسقَها» وفى لفظ : «إلا أن يتوب» . وعن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما قال : حُرِّمتِ الخمر قليلها وكثيرها وما أسكر من كلّ شراب . وعنه رضى الله عنه : من سرّه أن يُحرِّم ماحرّم اللهُ ورسولُهُ فليحرّم النبيذ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « لا يزنى الزّانى حين يَزْنى وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» أخرجه البخارىّ فى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر ما قيل فى إباحة المطبوخ

والمطبوخ يسمّى الطّلاء وهو الذى طُبِخَ حتى ذهب ثُلُثـاه وبقى ثلثه . سُمِّىَ بذلك لأنه شبيه بِطلاءِ الإبل فى ثِخَنِه(١) وسواده . وقد آختلف العلماء فى المطبوخ ، فقال بعضهم : كلّ عصيرٍ طُبِخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يُكْرَه ، وإن طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربُهُ وبيعُـهُ إلا أن السكر منه حرام . وحجتهم فى ذلك ماروى : أن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن آرزق المسلمين من الطلاء ماذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعن عبد الله بن يزيد الخطمىّ قال : كتب الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أمّا بعد ، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فى عود الكَرْم ، فإن له اثنين ولكم واحد . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أنّ نوحا عليـه السلام لمـّا نازعه الشيطان فى عود الكرم فقال هذا : لى ، وقال هذا : لى ، فاصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثيها . وسئل سـعيد بن المسيّب : ما الشراب الذى أحلّه عمر رضى الله عنـه ؟ فقال : الذى يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وحكى أن أبا موسى الأشعرىّ وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ماذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار فى مُثَلَّث(٢) لم يسكر البتة . ودليل ذلك ماحُكِى عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجىّ قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز : ألّا تشربوا من الطّلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، وكلّ مسـكرٍ حرامٌ . هذا الذى عليه أكثر العلماء . وقال قوم : اذا طُبِخَ العصيرُ أدنَى الطبخ صـار حلالا ، وهو قول إسماعيل بن عُلَيّة

(١) الثخن : الغلظ .

(٢) المثلث من الشراب : الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه .

وبشر المرّيسىّ وجماعة من أهل العراق . وذهب بعضهم الى أن الطّلاء الذى رُخِّص فيه إنما هو الرُّبُّ[1] والدِّبْسُ . والله عزّ وجلّ أعلم .

ذكر آفات الخمر وجناياتها

وآفات الخمر وجناياتها كثيرة، لأنها أمّ الكبائر . وأوّل آفاتها أنها تُذهب العقلَ، وأفضل ما فى الإنسان عقلُه ، وتحسّن القبيحَ وتقبّح الحسَنَ . قال أبو نُوَاس الحسن ابن هانئ عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف :

اِسقنى حتى ترانى * حَسَنًا عندى القبيحُ

وقال أيضا :

اِسقنى صِرْفًا حُمَيّا * تترك الشيخَ صبيّا
وتريه الغىّ رُشْدًا * وتُريه الرُّشد غيّا

وقال أبو الطيّب :

رأيتُ المُدامةَ غلّابةً * تُهيِّج للمرء أشواقَهُ
تسىء من المرء تأديبَه * ولكن تُحَسِّن أخلاقَهُ
وأنفَسُ ما للفتى لبُّهُ * وذو اللبِّ يكره إنفاقَهُ
وقد مُتُّ أمسِ بها مِيتةً * وما يشتهى الموتَ مَنْ ذاقَهُ

قالوا : وإنما قيل لمُشارب الرجل نديمٌ، من الندامة ؛ لأن الرجل معاقر الكأس اذا سكر تكلّم بما ينَدم عليه وفعل ما يندم عليه، فقيل لمن شاربه «نادَمه» لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له، كما يقال : جالسه فهو جليس له . والمعاقر : المدمِن، كأنه لزِم عُقْرَ الشىء أى بناءه . وقد شُهِر أصحابُ الشراب بسوء العهد وقلّة الحفاظ،

(١) الرب : ما يطبخ من التمر، أو سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها . والدبس : عسل التمر .

وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما آستغنيتَ عنه حتى تفتقر، وما عُوفيت حتى تُنْكَب، وما غَلَت دِنانُك حتى تُنْزَف، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك. قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه :

أرى كلّ قومٍ يحفَظون حريمهم * وليس لأصحابِ النبيذ حريمُ
اذا جئتَهم حيَّوْك ألفًا ورحّبوا * وإن غبتَ عنهم ساعةً فذميمُ
إخاؤهُمُ مادارت الكأسُ بينهم * وكلّهُمُ رَثُّ الوصال سئومُ
فهذا بيانى لم أقل بجهالةٍ * ولكننى بالفاسقين عليمُ

قيل : سقى قومٌ أعرابيّةً مسكرا، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا نعم . قالت : فما يدرى أحدُكم مَنْ أبوه . وقال قُصَىّ بن كلاب لبَنِيه : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدىّ بن حاتم : مالك لاتشرب النبيذ؟ قال: معاذ الله! أُصبحُ حليمَ قوم وأُمسى سفيههم . وقيل لأعرابىّ : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلى . وقيل لعثمان بن عفّان : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهليّة ولا حرج عليك؟ قال: إنى رأيتها تُذهب العقل جملةً وما رأيت شيئا يَذهَب جملةً ويعود جملة . وقال عبد العزيز بن مروان لنُصَيب آبن رَباح : هل لك فيما يُثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة، فقال : أصلح الله الأمير! الشَّعْرُ مفلفلٌ واللون مُرْمَدٌّ ، ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظَر ، وإنما هو عقلى ولسانى؛ فإن رأيت ألّا تفرق بينهما فافعل . ودخل نُصَيبٌ هذا على عبد الملك آبن مروان فأنشده فآستحسن عبدُ الملك شعْرَه فوصله؛ ثم دعا بالطعام فطَعِم معه . فقال له عبد الملك: هل لك [أن][1] تُنادِم عليه؟قال: يا أمير المؤمنين، تأمّلنى . قال: قد أراك . قال : يا أمير المؤمنين، جلدى أسود وخَلْق مشوّه ووجهى قبيح ولست

(١) زيادة يقتضيها السياق .

فى منصب ، وإنمـا بلغ بى مجالستَك ومؤاكلتَك عقلى، وأنا أكره أن أُدخِل عليـه ماينقُصُه . فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضـا لتغالى الناسُ فى ثمنـه ؛ فالعجب لمن يشترى بماله شيئا ليشربه فيُذهب عقله ! .

٥ وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف فى وَفْدة وفدها عليه وقد أكلا: هل لك فى الشراب؟ قال: ياأمير المؤمنين، ليس بحرام ماأحللتَ، ولكن أمنع أهل عملى،وأكره أن أخالف قول العبد الصالح(١) وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ .

وقالوا : للنبيذ حدّان ، حدّ لا همٌّ معـه ، وحدّ لا عقلَ معه ؛ فعليـك بالأوّل ١٠ وٱتقّ الثـانى .

ومن آفات الخمر ٱفتضاح شاربهـا بريحها عند من يَحْتشم منـه ويتّقيه ويخافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكارَ شربها . والوُلاة تَحُدّ بالاستِنْكاه؛ لأن خُمَارها يثبت فى الفم اليوم واليومين بعد تركها . فمن شربها ساعةً وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليـه ٱحتاج الى الانقطاع فى بيته بعـد زوال السكر وأَوْبة العقل حتى ١٥ تزول الرائحة . وقد تحايل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها . فأجود ماصنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المرّ والبَسْبَاسة(٢) والسُّعْد(٣) والجَنَاح(٤) والقَرَنْفُل أجزاءً متساوية وجزءان من الصمغ، ويُدَقّ

(١) هو شعيب عليه السلام . (٢) البسباسة : قشر جوزة الهند .
(٣) السعد : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .
٢٠ (٤) الجناح : نبات طيب الرائحة ، و يقال له : "الراسن" .

ذلك ويُحبل[1] بماء الورد ويستعمل منــه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم ، كما زعموا .

وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات فى أربعة أبياتٍ فقال :

مُرٌّ وبسباسةٌ وسُــعدٌ * الى جَنَــاحٍ وماءِ وَردِ
ينظمها الصمغُ إن تلاه * قَرنفُل الهند نظم عِقــدِ
أجزاؤها كلّها ســواءٌ * والصمغ جزآن ، لاتعدّى ٥
فيـــه لذى مِرّةٍ شفاءٌ * وصَونُ عِرْضٍ وحفظُ وُدِّ

ذكر أسماء الخمر من حين تُعصَر الى أن تُشربَ

الخمر اذا عُصِرَ فآسم مايسيل منه قبــل أن تطأه الرجل : السُّلاف ؛ وأصله من السَّلَف وهو المتقدّم من كلّ شىء ، وهو فى مثل ذلك الخُرطوم أيضا . ويقال للذى يعصر بالأقدام : العصير ، والموضع الذى يُعصَر فيه : المَعصرة . والنَّطْل : ما عُصِرَ ١٠ فيه السلافُ ؛ ويقال للعاصر : الناطِل ، ثم يُترَكُ العصيرُ حتى يغلى فاذا غلا فهو خمر ، وقيل : سمّيت خمرا لأنها تخامر العقول فتخالطها . وقالوا : لأنها تُخَمَّرُ فى الإناء ، أى تُغطّى وهى مؤنثة . ويقال لها : القهوة ، لأنها تُقْهِى عن الطعام والشراب ، يقال : أقهى عن الطعام وأقهم عنه اذا لم يشتهه . ومن أسمائها : الشَّــمول ، سمّيت بذلك لأن لها عَصْفة كعصفة الشَّمال ، وقيل : لأنها تشمَل القومَ بريحها . ومنها : السُّلاف ١٥ والسُّلافة والخرطوم وقد تقدّم معناها . ومنهــا : القَرْقَف لأن شاربها يُقرقِف اذا شربها ، أى يَرْعد ، يقال : قَرْقَف وقَفْقَف . وقال أبو عمرو : القرقف آسم للخمر غير صفة وأنكر قولهم سمّيت بها لأنها تُرْعِد . ومنها : الراح لأنها تكسب صاحبها الأريحيّة أى خفة العطاء . ومنها : العُقَار لأنها عاقرت الدّنّ ، وقيل : لأنها تعقِر شاربها

(١) يحبل : يرش .

من قول العرب : "كلأ بنى فلان عقّار، أى يعقر الماشية . ومن أسمائها : المُدامةُ والمدام لأنها داومت الظَّرف الذى آنتُبذت فيه . والرحيق ومعناه الخالص من الغش . وقيل : الصافى . وقيل : العتيق . والكميت سمّيت بذلك للونها اذ كانت تضرب الى السواد . والجِرْيال وهو صِبغٌ أحمرُ سمّيت بذلك للونها أيضا . والسبيئةُ والسِّباء وهى المشتراة وأصلها مَسْبوءة، يقال : سبأتُ الخمر اذا آشتريتها . والمشعشعة وهى الممزوجة . والصهباء وهى التى عُصِرَتْ من العنب الأبيض . والشَّموسُ شبّهت بالدابّة التى تجمح براكبها . والخَنْدريس وهى القديمة . والحانيّة : منسوبة الى الحانة . والماذيّة : اللّينة يقال : عسل ماذىّ اذا كان ليّنا . والعانيّة : منسوبة الى عانة . والسُّخامية : اللّيّنة من قولهم : قطن سُخَامٌ أى ليّن وثوبٌ سُخَامٌ . قال الراجز :

كأنه بالصَّحْصَحان(١) الأنجلِ * قطنٌ سُخامىٌ بأيْدِى غُزَّلِ

والمَزّةُ والمُزّاءُ لطعمها . والإسفَنْط، قال الأصمعىّ : هو بالرومية . والغرب ومعناه الحدّ، وغَرْبُ كلّ شىء حدّه . ولعلها سمّيت بذلك لحدّتها . والحُمَيَّا، وحُمَيّا كلّ شىء سَوْرته وحدّته . والمُصْطَارُ : الخلّة ويقال : المُضْطار بالضاد أيضا . والخَمْطَةُ : المتغيّرة الطعم . والمعتّقة : التى قد طال مكثها . والإثم : اسم لها لعله وقع عليها لما فى شربها من الإثم . والحمق كذلك . قال الشاعر :

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلى * كذاك الإثم يفعل بالعقولِ

والمُعْرَق : الممزوج قليلا، يقال : عَرَقٌ من ماء أى ليس بكثير . ومن أسمائها : القِنْدِيدُ والفَيْهَجُ وأمّ زَنْبق والمقطّب والطّوس والسَّلسَال والسَّلسَل والزَّرْجُون والكَلْفاء والجَرْباء والعانسة والطّابَةُ والنّاجُود والكأس والطِّلاء، قال عَبِيدُ بن الأبرص :

(١) الصحصحان : ماآستوى من الأرض . والأنجل : الواسع .

هى الخمر صرفا تكنّى الطلا (١) * كالذئب يُسمَى أباجعدةِ

والباذَق والبُخْتُجُ : فارسيّان . والجَهْوَرِىّ . والمَقَدِىّ منسوبة الى قرية من قُرَى الشام . والمزاء من قولك : هذا أَمْزَى من هذا أى أفضل . والنبيذ . والبِتْعُ : نبيذ العسل والسُّكُرْكَةُ من الذرة . والجِعَة من الشعير . والفَضِيخ من البسر . والمِزْر من الحبوب

ذكر أخبار من تنزّه عنها فى الجاهليّة وتركها ترفّعا عنها

كان ممن تركها فى الجاهلّية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم وعبدالله بن جُدعان التيمىّ و كان سيّدا جوادا من سادات قريش، وسبب تركه لها أنه شرب مع أميّة بن أبى الصلت الثقفىّ فأصبحت عين أميّة مخضرّة فخاف عليها الذهاب، فسأله عبد الله : مابال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة، قال : وبلغ منّى الشراب ما أبلغ معه من جليسى هذا المبلغ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال : الخمر علىّ حرام، لاأذوقها أبدا، وقال فيها :

شربت الخمر حتى قال صحبى * ألستَ عن السُّقاة بمستفيقِ ؟

وحتى ما أُوسَّد فى مبيتٍ * أنام به سوى التُّرب السحيقِ

وممّن حرّمها فى الجاهليّة : قيس بن عاصم المنقرىّ، والسبب فى ذلك أنه سكر فغمَز عُكنة ابنته أو أخته فهربت منه ، فلما صحا أخبروه فحرّم الخمر على نفسه، وقال فى ذلك :

وجدتُ الخمرَ جامحةً وفيها * خصالٌ تفضح الرجلَ الكريما

فلا واللهِ أشربُها حياتى * ولا أدعو لها أبدا نديما

(١) فى اللسان : وقالوا هى الخمر تكنى الطلا * كما الذئب ... الخ .

ولا أعطى لهـا ثمنا حيـاتى * ولا أشـفى بهـا أبدا سقيما

فإنّ الخمرَ تفضح شاربيها * وتجشمهم بهـا أمرا عظيما

اذا دارت حميّاها تعلّت * طوالع تَسْـفَه الرجلَ الحليما

ومنهم : عامر بن الظَّرِب العَدْوانى، قال :

سآلةٌ للفتى ماليس فى يده * ذَهَّابةٌ بعقول القـوم والمـالِ

أقسمتُ بالله أسقيها وأشربها * حتى يفرِّق تربُ القبرِ أوصالى

ومنهم : صفوان بن أميّة بن مُحرِّث الكنّانى وعُفَيف بن معديكرب الكندى والأسلوم بن نامى من همدان ومِقْيَس بن عدى السهمى وكان سكر فجعل يخط ببوله : أنَعَامةً أو بعيرًا، فلما أفاق وأخبر بذلك حرّمها .

ومنهم : العبّاس بن مرداس السلَمى قيل له : لم تركتَ الشراب وهو يزيد فى جرأتك وسماحتك؟ فقال : أكره أن أصبح سيّد قومى وأمسى سفيهم .

ومنهم : سعيد بن ربيعة بن عبـد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة . وقال زيد بن ظبيان :

بئس الشراب شراب حين تشربه * يوهى العظام وطورا يوهى العصبِ (١)

إنى أخاف مليكى أن يعذّبنى * وفى العشيرة أن يُزرى على حسبى

وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى وقليله للناس .

---

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابه "وطورا موهن العصب" .

ذكر من حُدَّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن آشتهر بها ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن آفتخر بشربها

فأما من حُدَّ فيها من الأشراف فالوليدُ بن عُقبة بن أبى مُعَيط وهو أخو عثمان بن عفّان لأمه، شهد عليه أهل الكوفة أنه صلّى بهم الصبح ثلاثَ ركعاتٍ وهو سكران ثم آلتفت اليهم فقال : وإن شئتم زدتكم، فجلده عبد الله بن جعفر بين يدى عثمان رضى الله عنه، وسنذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجملتها فى الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الخامس فى التاريخ فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

ومنهم : عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحدّه بها عمرو بن العاص سرًّا، فلما قدم على أبيه جلده حدًّا آخر علانية .

ومنهم : عبد الرحمن بن عمر بن الخطّاب المعروف بأبى شَحْمة(1)، حدّه أبوه فى الشراب فمات تحت حدّه .

ومنهم : عاصم بن عمر بن الخطّاب، حدّه بعض ولاة المدينة .

ومنهم : قُدامة بن مظعون، حدّه عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بشهادة عَلْقمة الخصىّ وغيره .

ومنهم : عبد الله بن عروة بن الزبير، حدّه هشام بن إسماعيل المخزومىّ .

ومنهم : عبد العزيز بن مروان، حدّه عمرو بن سعيد الأشدق .

ومنهم : أبو مِحْجَن الثقفىّ وآسمه عمرو بن حبيب، وكان مغرما بالشراب، حدّه عمر مرارا فى الخمر، وحدّه سعيد بن أبى وقّاص مرارا وشهد القادسيّة وأبلى

(1) كذا فى كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس . وفى الأصول : « سحمة » بالسين المهملة وهو تحريف .

بلاء حسنا، ثم حلَف بعد القادسيّة ألا يذوق الخمر أبدا ومات تائبا عنها، وأنشد رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله :

اذا مِتُّ فادفنّى الى جنب كَرْمةٍ * تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفننّى فى الفلاة فإننى * أخاف اذا مامتّ أن لّا أذوقها

٥ فقال عبد الله : حدّثنى من رأى قبره بأرمينيَة بين شجرات كرم يخرج اليه الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فاذا جاءت كأسه صبّوها على قبره .

ومنهم : إبراهيم بن هَرْمة وكان مغرما بالشراب، حدّه جماعة من عمال المدينة فلما طال ذلك عليه رحل الى أبى جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل الى المهدىّ وآمتدحه بقصيدته التى يقول فيها :

١٠ له لحظاتٌ فى حِفافَىْ سريره * اذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
له تربةٌ بيضاءُ من آل هاشم * اذا آسودّ من لؤم التراب القبائلُ

فآستحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لى بكتاب الى عامل المدينة ألّا يحدّنى على شراب، فقال له : ويلك ! لو سألتنى عزلَ عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلتُ، قال : يا أمير المؤمنين، ولو عزلته وولّيتنى مكانه أما كنت

١٥ تعزلنى أيضا وتولّى غيرى ! قال : بلى، قال : فكنت أرجع الى سيرتى الأولى فأُحَدّ، فقال المهدىّ لوزرائه : ماتقولون فى حاجة آبن هرمة وما عندكم فيها من التلطّف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين، إنه سأل مالا سبيل اليه، إسقاطُ حدّ من حدود الله عزّ وجلّ، فقال المهدى : له حيلة اذا أعيتكم الحيل فيه، اكتبوا الى عامل المدينة : مَنْ أتاك بآبن هرمة سكرانا فآضربه مائة سوط وآجلد آبن هرمة ثمانين، فكان إذا

٢٠ شرب ومشى فى أزقة المدينة يقول : مَنْ يشترى مائةً بثمانين ؟

*
* *

وأما من شربها منهم وآشتهر بها، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

منهم : يزيد بن معاوية شُهر بشربها، وكان يقال له : يزيد الخمور، روى هشام ابن الكلبيّ عن أبيه قال : وجّه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدَرِيّ ، وعند يزيد آمرأته أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسكر وأنشأ يقول :

إذا آرتَفَقتُ على الأنماطِ فى غُرفٍ * بدَيْرِمُرّانَ عنـدى أمُّ كلثوم
فمـا أبالى الذى لاقت جيوشُهـم * بالغَـذْقَذُونَةِ[1] من حُمّى ومن مُوم[2]

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت هاهنا ! إلحق بهم ، وسيّره الى قتال الروم .

ومنهم : عبد الملك بن مروان، وكان يسمّى : حمامة المسجد ، لآجتهاده فى العبادة، هـذا قبل أن يلى الخلافة، فلمـا أفضت الخلافةُ اليه شرب، فقال له سـعيد بن المسيّب : بلغنى يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء، قال : إى والله والدماء .

ومنهم : يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حَبابة[3] وسَلّامة، وأخباره مشهورة .

ومنهم : آبنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خُلع وقُتل ؛ وله فى ذلك حكايات وأشعـار . منها : أنه سمع بشُرّاعة بن الزِّنْدَبوذ الكوفىّ ، وكان من أهل البَطالة المشهورين باللعب واللهو و إدمان الشراب ؛ فاستدعاه

(١) الغذقذونة : آسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما .
(٢) الموم : البرسام وأشد الجدرىّ .
(٣) حبابة وسلامة : قينتان مشهورتان كانتا له .

بالكوفة الى دمشق لحمل اليه فلمـا دخل عليه قال له : ياشرّاعة، ما أرسلت اليك
لأسألك عن كتاب الله ولا سنّة نبيّه، قال : لو سألتنى عنهما لوجدتنى فيهما حمارا،
قال : وإنمـا أرسلت اليك لأسألك عن القهوة، قال : أنا دهقانها الخبير، ولقمانها
الحكيم ، وطبيبها المـاهر ، قال : فأخبرنى عن الشراب قال : سـل عمّا بدالك
٥ قال : ما تقول فى المـاء قال : لا بدّ منه ، والحمار شريكى فيـه . قال : فاللبن ؟
قال : مارأيتـه إلا آستحييت من طول ما أرضعتنى أمّى به ، قال : فالسّويق ؟
قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع
الآمتلاء، سريع الآنفشاش . قال : فنبيذ الزبيب؟ قال : حاموا به على الشراب،
قال : فالخمر ؟ قال : تلك والله صديقة روحى ، قال : وأنت والله صديق روحى،
١٠ قال: فأى المجالس أحسن ؟ قال : ماشرب فيه على وجه السماء، ومن شعر الوليد:

خذوا ملككم لاثبّت الله ملككم * ثبـاتا يسـاوى ماحييت عقالا
دعوا لِىَ سـلمَى والنبيذَ وقينةً * وكأسـا ، ألا حسبى بذلك مالا
أبالملك أرجو أن أخلّد فيكمُ * ألا ربَّ مُلك قـد أزيل فزالا

ومنهم : المأمون بن الرشيد وشُهِر بالشراب وله فيه أخبار، منها : أنه شرب هو
١٥ ويحيى بن أكثم القاضى وعبد الله بن طاهر ، فتعامل(١) المأمون وآبن طاهر على سكر
يحيى، فأشار الى الساقى فأسكره، وكان بين أيديهم رِزَم من الورد والرياحين ، فأمر
المأمونُ فشُقّ ليحيى لحدٌ من الورد والرياحين وصيّروه فيه ، وعمل بيتى شـعر ودعا
قينة فجلست عند رأس يحيى وغنّت بالشعر :

دعوته وهـو حىٌّ لاحيـاةَ به * مكفّنا فى ثياب من رياحينِ
٢٠ فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى * فقلت خذ قال كفّى لا تواتينى

(١) كذا بالأصول، ولعلها « فتحامل » .

فانتبه يحيى لرنّة العود وصوت الجارية فقال :

ياسـيّدى وأميرَ النـاس كلّهـم * قد جار فى حكمه من كان يسقينى
إنى غفلتُ عن الساقى فصـيّرنى * كما ترانى سـليبَ العقلِ والدِّينِ
فانظر لنفسـك قاضٍ إننى رجل * ألراحُ يقتـلنى والرَّوح يُحيينى

ومنهم : العباس بن علىّ بن عبدالله بن العباس وهو عمّ المنصور، كان يأخذ الكأس بيـده ويقول : أما العقل فتُتلفين، وأما المروءة فتَمحقين، وأما الدِّين فتُفسدين، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النّفْس فتُسَخِّين ، وأما القلب فتُشَجِّعين، وأما الهمّ فتطردين، أفتراك منّى تُفلتين ! ثم يشربها .

ومنهم : بلال بن أبى بُردة فُضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرىّ :

وأما بلالٌ فـذاك الذى * يميـل الشرابُ به حيثُ مالا
يبيت يمصُّ عتيـقَ الشراب * كمصِّ الوليـد يخاف الفِصالا
ويصـبح مضـطربا ناعسا * تخال من السُّكْر فيـه احولالا
ويمشى ضعيفا كمشى النزيف(١) * تخالُ به حين يمشى شِكالا

ومنهم : عبد الرحمن بن عبد الله الثقفىّ قاضى الكوفة وفُضح بمنادمة سعد بن هَبّار وفيه يقول حارثة بن بدر :

نهـارُه فى قضـايا غيرِ عادلةٍ * وليلُهُ فى هَوَى سـعد بن هَبّارِ

ومنهم : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول :

هاك فاشرب يا خليـلى * فى مَدَى الليل الطويلِ
قهوةً فى ظـلّ كرمٍ * سُبيتْ من نهر نيـلِ

(١) النزيف : الذى سال دمه بافراط حتى ضعف .

في لسانِ المرءِ منها * مثــلُ لَذْعِ الزنجبيلِ
إنمــا أَذْهبَ مالى * طولُ إدمانِ الشَّمولِ (١)
وحنينُ العُــودِ تثنيـ * ـه يدا ظبيٍ كحيــلِ
فالطويلُ العنُقِ الأ * هـيفُ كالسيفِ الصقيلِ
يا خليـــلىَّ اسقيــانى * واهتفا بالشمس زُولى
قل لمن لامك فيهــا * من نصيح أو عذول
يَتَّقى بين البــاب والدا * ر على تَعْب الطلولِ

وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بنيك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لى، فقالوا : أما فلان إذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه ، فقال : سوف يدَع هذا شربها، قالوا : وأما فلان فاذا شربها تقيّأ فى ثيابه، قال : وهذا سوف يدعها، قالوا : وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون لاينال أحدًا بسوء، قال : هذا لا يدعها أبدا .

ومنهم : حارثة بن زيد العَدْوانىّ — رجل من تميم — دخل يوما على زياد بن أبيه و بوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ركبت فرسى الأشقر (٢) فجمح بى حتى صــدمنى الحائط ، فقال : أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب (٢) لم يصبك مكروه . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف ابن قيس، وكان الأحنف ينهاه عنها وهو لا ينتهى ويجيبه بشعر فى مدحها. وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلّم بالسنّ فى حال صباه وحداثته .

ومنهم : والبة بن الحُبَاب الأسدىّ وهو الذى ربّى أبا نُوَاس وأدّبه وعلّمه الفتوّة وقول الشعر . حكى أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد — يعنى المهدىّ — وحدِّثه، فدخل عليه ، فأوّل ما أنشده قوله :

(١) الشمول : من أسماء الخمر. (٢) يريد الأوّل بالأشقر : الخمر، ويريد الثانى بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو لا تكن ناسـيا * وسقّنى لا تحبسن كاسـيا
وأردد على الهيثم مثل الذى * هجتَ به ويحك وَسْواسـيا
وقل لساقينـا عـلى خلوة * أَدنِ كذا رأسَك من راسـيا
ونم على وجهــك لى ساعة * إنى آمرؤ أنكح جُلّاسـيا

فبلغ ذلك المنصور، فقال: لاتعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده. ٥

ومنهم : أبو الهندىّ وهو عبد المؤمن بن عبد القدّوس بن شبث بن رِبعىّ اليربوعىّ، حجّ به نصر بن سيّار فلما ورد الحرم قال له نصر : إنك بفناء بيت الله الحرام ومحل حرمه فدع الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويبكى ويقول :

رضيعُ مدامٍ فارق الراحُ رُوحَه * فظلّ عليها مستهلّ المدامـع ١٠
أديرا علىّ الكأسَ إنى فقدتها * كما فَقَد المفطومُ دَرَّ المراضع

ومرّ به نصر بن سيّار وهو يميل سكرا ، فقال له : أفسدت شرفك ، فقال : لو لم أُفسد شرفى لم تكن أنت اليوم والى خراسان .

ومنهم : سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريّا .

ومنهم : الحسين بن الضحّاك النديم صاحب الحسن بن هانئ وكان خليعا ماجنا مليح الشعر وهو الذى يقول : ١٥

ألا إنمـا الدّنيا وصالُ حبيبٍ * وأخذُك من مشمولةٍ بنصيب
وعيشُك بين المُسمعاتِ ممتّعـا * بفنّين من عزف وشدوٍ مصيب
وأنسٌ وإنسان تلذّ بقـربه * وبذلةُ معشـوقٍ ونومُ رقيب
وعدّى ساعاتِ النهـارِ ورِقْبتى * إلى الشمس لمـا آذنت بمغيب ٢٠

ومنهم : يحيى بن زياد وهو الذى يقول :

أعاذل ليت البحرَ خمرٌ وليتنى * مدى الدهر حوتٌ ساكن لُجّةَ البحرِ

فأضحى وأمسى لا أفارق لجّة * أروّى بها عظمى وأشفى بها صدرى

طوال الليالى، ليس عنّى بناضبٍ * ولا ناقصٍ حتى أصيرَ الى الحشرِ

ومنهم : أبو نُوَاس الحسن بن هانئ ممن اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة القيان، وله فى الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة ، نذكر هاهنا من أخباره طرفا :

حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نواس، قد خلعت عذارك وأطلت الإكباب على المجون حتى غَلب على لبّك وما كذلك يفعل الأدباء ! فأطرق ثم قال :

فأوّلُ شربك طرحُ الرداء * وآخِرُ شربك طرحُ الإزارِ

وما هنّأتك الملاهى بمثل * إماتةِ مجدٍ وإحياءِ عارِ

وما جاد دهرٌ بلذّاته * على من يَضَنُّ بخلع العذارِ

فآنصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهلٍ فاجر. ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره فى ذلك : أنه بلغ إخوانه عنه أنه ترك الشراب واللذّات وأخذ فى الزهد والصلاة فى أوقاتها فآجتمعوا إليه وأقبلوا يهنّئونه، فوضع بين يديه باطِيَةً وجعل لا يدخل اليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلا وأنشد :

قالوا نزعتَ ولمّا يعلموا وطرى * فى كلّ أغيدَ ساجى الطرف ميّاسِ

كيف النزوع وقلبى قد تقسّمه * لحظُ العيون وقرع السنّ بالكاسِ

لاخير فى العيش إلا فى المجون مع الـ * أكفاء والراح والريحان والآسِ

ومسمع يتغنّى والكئوس لنا * حَثٌّ علينا بأخماسٍ وأســداسِ
يا مُورِيَ الزند قد أكبت قوادحُه * اقبِس اذا شئت من قلبي بمقباسِ
ما أقبح الناسَ في عيني وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أُبصِرْك في النـاسِ

ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحوًا من سنةٍ حتى ظُنّ أنه قُتل ؛ فقال الرشيد : لئن صحّ عندي أنه قُتل لأقتلنّ قاتله ولو كان المأمون ، انظروا مَنْ كان هجا من الناس ٥ فاكتبوا آسمه وآرفعوه إلىّ ، فآرتجت لذلك بغداد . فلما كان على رأس الحَوْل اذا نحن به قد وافى ؛ فقلنا له : يا أبا علىّ غبت عنّا هذه الغيبة فغممتنا . قال : كنت في موضع أرتضيه وأشتهيه . فقلنا : ألم تسمع بافتقادنا لك وقول الرشيد فيك ؟ ولم يبق أحد من إخوانه إلا عذّله ولامه . فقال :

١٠ إنى لفي شغل عن العاذلينْ * بالراح والريحـان والياسمينْ
عنـد غلامٍ حَسَنٍ وجهُهُ * قلبي حبيس بهواه رهيـن
قَوْلى إذا صرتُ على ظهره * كقول قومٍ رحلوا ظاعنين
سبحان من سخّر هـذا لنـا * يوما وما كنّا له مُقْرِنين

فلمـا أنشـدها قال : بحياتى ! مَن يساعدنى منكم ، حتى أريه إياه فتعـذرونى ١٥ أو تحسـدونى ! فمضى بنا إلى الموضع ، فإذا بغلام من أحسن الناس وجها . فقال له : بحياتك غَنِّ ، فغنّى ، فإذا هو من أحسن الناس غِناءً . فقال : من يلومنى أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جُمِعَ لى فيه كلُّ معنًى أشتهيه وأرتضيه ! اِنتهى .

(٤٦) وحدّث الفضـل بن سلمة عن الثورىّ ، قال : خرج الحسن بن هانئ ومعه ٢٠ مُطَيط صاحبـه ، حتى أتيا دار خمّار . فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نمزح بهذا

الخمّار . فدخلا فسلّما فردّ عليهما . فقال له الحسن : أعندك خمرٌ عتيقةٌ يا خمّار ؟ فقال : عندى منها أجناس ، فأيها تريد؟ قال : التى يقول فيها الشاعر :

حُجِبَتْ خيفةً وصِينتْ بخافت * بخلاءِ العروس بعـــد الصِّيانِ
وكأنّ الأكفَّ تُصْبَغُ من ضو * ء سناها بالوَرْسِ والزعفـــرانِ

٥ فملأ له الخمّـار قَدَحا من خمر صفراء ، كأنها ذهبٌ محلولٌ ؛ فشربه الحسن وقال : أحسن من هذا أريد . فقال له الخمـار : أىّ جنسٍ تريد؟ قال : التى يقول فيها الشـاعر :

دفعتْها أيدى الهواجر حتّى * صَيَّرتْ جسمَها بجسم الهواءِ
فهى كالنُّور فى الإناء وكالنّا * ر إذا ما تَصيرُ فى الأحشاءِ

١٠ فملا له الخمار قدحا من خمر كأنها العقيق . فشربه وقال : أرفع من هذا أريد . فقال : أىّ جنس؟ قال : التى يقول فيها الشاعر :

وإذا حَسَا منها الوضيعُ ثلاثةً * سَمُحَ الوضيعُ كفعلِ ذى القَدْرِ
فى لونِ ماء الغيث إلا أنها * بين الضلوع كواقد الجمــر

فملأ له قَدَحًا من خمر بيضاء ، كأنها ماء المزن . فشرب الحسن وقال للخمار :

١٥ أتعرفنى؟ قال : إى والله يا سيدى ، أنا أعرَف الناس بك . قال : من أنا؟ قال : أنت الذى يسكر من غير وزن . فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليـه ما بقى عندك من النفقة ، فأعطاه مائة درهم وآنصرف .

وقال الحسين بن الضحّاك : كنت مع أبى نُوَاس بمكة عامَ حَجٍّ ، فسمع صبياً يقرأ (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) .

٢٠ فقال أبو نُوَاس : فى مثل هذا يجىء للخمر صفة حسنة ؛ ففكّر ساعةً ثم أنشدنى :

وسيّارةٍ ضلّت عن القصد بعد ما * تزادفهم أفقٌ من الليـل مظلمُ
فأصغوا الى صوتٍ ونحن عصابةٌ * وفينـا فتًى من سـكره يترنّمُ
فلاحت لهم منّا على النأى قهـوة * كأن سـناها ضوءُ نارٍ تضرّمُ
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهــم * وإن مُزجتْ حثّوا الركاب ويمّموا

قال : فحُدّث بهذا الحديث محمدُ بن الحسين فقال : لا ولا كرامة ، ما سرقه ٥
من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليـــلٍ بهيمٍ كلّمـا قلت غوّرتْ * كواكبُهُ عادت لنـا تتـذيَّلُ
به الركبُ إمّا أومضَ البرقُ يمّموا * وإن لم يَلُحْ فالقوم بالسـير جُهَّلُ

وقال أبو نُوَاس فيها :

ألّا دارِها بالمـاء حتى تُلينَها * فمـا تُكرَمُ الصهباءُ حتى تُهينَها ١٠
أُغالِى بهـا حتى اذا ما مَلِلْتُها * أهنتُ لإكرام النديم مصونَها

وقال أيضا :

نبّهتُــهُ والليــلُ ملتبسٌ بــه * وأزحتُ عنــه خُشَاتَهُ[1] فانزاحا
قال آبغِنى المصباحَ، قلتُ له آتَّئدْ * حسبي وحسـبك ضوءُها مِصباحا
فسكبت منهـا فى الزجاجة شَربةً * كانت له حتى الصباحِ صباحا ١٥
من قهوةٍ جاءتك قبــل مِزاجها * عطـــلا فألبسها المِـــزاجُ وشاحا
شـكَّ البِزالُ[2] فـؤادَها فكأنهـا * أبدت اليـــك بريحهـا تُفـاحا

وقال أيضا :

رُدّا عَلىّ الكأسَ ، إنكما * لا تدريان الكأسَ ما تُجدى

(١) الخشاث : النوم . (٢) البزال : الحديدة يفتح بها مبزل الدن . ٢٠

خوّفتمانى اللهَ جَهــدَكما * وكخيفتيه رجاؤه عنــدى

لا تعــذُلَا فى الراح إنكما * فى غفلةٍ عن كنه ما تُسدى

لو نلتما ما نلتُ ما مُزِجتْ * إلا بدمعكما مِن الوجدِ

ما مثــل نُعْماها اذا ٱشتملت * إلا ٱشتمالُ فـمٍ على خــدِّ

٥ إن كنتما لا تشربان معى * خوف الإله شربتُها وحدى

وأخبار الحسن بن هانئ فيها كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية .

ومنهم : الثّرْوانىّ ، كان شاعرا مطبوعا بليغا ، من أهل الخلاعة المشهورين .
وكان آخر أمره أن أصيب فى حانة خمّار بين زِقّىْ خمرٍ وهو ميْتٌ . وهو القائل
فيهـا :

١٠ كَرَّ الشرابُ على نشوانَ مضطجع * قد هبَّ يشربها والدِّيكُ لم يَصِحِ

والليـلُ فى عسكرٍ حُمــرٍ بوارقُهُ * من النجوم، وضوء الصبح لم يضحِ

والعيش لا عيشَ إلا أن تُباكرها * نشوانَ تقتُـلُ همَّ النفسِ بالفرحِ

حتى يظَلَّ الذى قد بات يشربُها * ولا مراحَ به يختـال كالمَــرِحِ

ومنهـم : مُطيع بن إياس . وكان شاعرا أديبـا ظريفا مشتهرا بالخلاعة
١٥ واللعب . وكان أصحابه على ذلك، وهم يحيى بن زياد، ووالبة بن الحُباب ، وحمّاد
عجرد، اجتمعوا يوما يشربون وأقاموا على ذلك أياما، فقـال لهم يحيى بن زياد :
ويحكم ! ما صلّينا منــذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصـلى ، فقالوا : نعم ، وقام مطيع
فأذّن وقال للمغنّية : تقدّمى فصلّى بنـا ، فتقدّمت وكانت بغيرسراويل وعليها غلالة
رقيقة، فلما سجدت انكشف فرجها فوثب اليه مطيع وقبّله وقال :

ولمّـا بدا هَنُها جاثمـا * كرأسٍ حليقٍ ولم يعتمد
سجدتُ عليـــه فقبّلتـــه * كما يفعـل العابدُ المجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا الى ما كانوا عليه .

ومنهم : أبو عبد الرحمن العطَوِىّ . كان شاعرا فصيحا ، لا يكاد يتقدّمه أحد بجزالة ألفاظه وحلاوة معانيه . وكان مولعا بالخمر مشتهَرًا بهـا مُدمنًا عليها ، أكثرُ أشعاره فيها . فمن شعره :

أَخطبْ لكأسك نَدْمانا تُسَرُّ به * أولا فنادِمْ عليها حِكمةَ الكتبِ
أُخطبهُ حرًّا كريمـا ذا مُحافظةٍ * ترى مودّتَهُ من أقربِ النسبِ

وقال أيضـا :

وكم قالوا تمَنَّ ، فقلتُ كأسًا * يطوف بهـا قضيبٌ فى كثيبِ
ونَدْماناً يُساقطـــنى حديثًـا * كصدقِ الوعد أو غضِّ الرقيبِ

ومنهم : أبو هفّان . وكان شاعرا محسنا ، وخليعا ماجنا . حكى أنه شرب مع أحمد بن أبى طاهر حتى فنى ما عندهما ، وكانا بجوار العلاء بن أيّوب . فقال ٱبن أبى طاهر لأبى هفّان : تمـاوتْ حتى نحتال على أبى العـلاء فى أن ينيلنا شـيئا . فمضى اليه ٱبن أبى طاهر فقال : أصلحك الله ! نزلنا جوارك فوجب حقّنا عليك، وقد مات أبو هفّـان وليس له كَفَن . فقال لوكيله : ٱمض معـه وشاهد أمره وٱدفع اليه كَفَناً . فأتاه فوجده مُلقًى عليه ثوبٌ فنقر أنفه فضرط . فقال : ما هذا؟ فقال : أصلحك الله عَجّلَتْ له صعقةَ القبر فإنه مات وعليـه دين ؛ فضحك وأمر له بدنانير .

ومنهم : الأقيشر . وكان مغرما بالشراب مُدمنا عليه . وهو القائل :

ومُقْعَـدِ قومٍ قد مشى من شرابنا * وأعمى سـقيناه ثلاثا فأبصرا

كميتٌ كأن العنـبر الورد ريحُـه * ومسحوق هندىّ من المسك أذفرا

ومنهم : النعمان بن علىّ بن نَضْلة . وكان عاملا لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه على مَيْسان، وكان مدمنَ الشراب . وهو القائل :

ألا أبلغ الحسـناء أنّ خليلها * بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنـتَمِ[1]

فإن كنتَ ندمانى فبالأكبرِ اسقِنى * ولا تسـقِنى بالأصـغر المتثـلِّمِ

لعـلّ أميرَ المؤمنين يسـوءه * تنادُمُنا بالجَوْسَـقِ[2] المتهـدِّمِ

فبلغ الشعر عمر رضى الله عنه .

فكتب اليه : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ) أما بعد، فقد بلغنى قولك :

لعلّ أميرَ المؤمنين يسـوءه * تنادُمُنـا بالجَوْسَـقِ المتهدِّمِ

وآيم الله لقد ساءنى ! وعزله . فلمّـا قدِم عليه سأله ، فقال : والله ما كان من هذا شىء ، وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط . فقال عمر : أظنّ ذلك، ولكن لا تعمل لى عملا أبدا . فنزل البصرة، ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله .

ومنهم : عمـارة بن الوليـد بن المغيرة . خطب آمرأة من قومه ، فقالت : لا أتزوّجك حتى تدع الخمر والزنا . فقال : أمّا الزنا فإنى أدعه ، وأما الخمر فوجدى بها شديد . ثم آشتدّ وجده بالمرأة فعـاود طلبها ؛ فقالت : حتى يحلف بطلاق يوم

(١) الحنتم : الجرّة الخضراء .
(٢) الجوسق : القصر .

يزنى أو يشرب خمرا؛ فحلف لهـا وتزوجها . ومكث حينا لايشرب، الى أن مرّ بخمّار وعنـده قوم يشربون وقَيْنة تغنّيهم وهو على ناقة؛ فطرب اليهم وآرتاح ورمى بثيابه الى الخمّار، وقال : أسقهم بها؛ ونحر لهم ناقته، ومكث أياما يطعمهم ويسقيهم حتى أنفد ما معه . ثم رجع الى آمرأته، فلامته، فأنشأ يقول :

أقلّى علىّ اللـــومَ يا أمّ سـالم * وكُفّى فإنّ العيش ليس بدائم ٥

أسرّك لمّـا صرّع القومَ نشوةٌ * خروجى منهم سالمـًا غير غارِم

سليما كأنى لم أكن كنتُ منهمُ * وليس الخداعُ من تصافى التنادُم

ثم قال لها : الحقى بأهلك، وعاد الى ما كان عليه .

* * *

وأما من آفتخر بشربها وسِبائها[(١)]، فقد كانت العـرب تفتخر بسبـائها، ١٠ وتضيفه إلى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها. وشاهد ذلك قول آمرئ القيس :

كأنّىَ لم أركبْ جوادًا للـــذّةٍ * ولم أتبطّن كاعبـا ذاتَ خلخالِ

ولم أسبأ الزِّقَّ الروِىَّ ولم أقل * لخيلِىَ كُرِّى كَرّةً بعـــدَ إجفالِ

فقرن جودَه فى سِباء الزق ببسالتـه فى كرّ الخيل . ولمّـا أنشـد أبو الطيب المتنبى سيف الدولة بن حمدان قصيدته التى يقول فيها : ١٥

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ * كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ

تمـرّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمـــةً * ووجهُـك وضّاحٌ وثغـــرُك باسمُ

فقال له سيف الدولة : انتقدنا عليك يا أبا الطيّب هذين البيتين كما آنتُقد على آمرئ القيس بيتاه، وذكرهما، قال : و بيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شـطرا هذين البيتين : كان ينبغى لآمرئ القيس أن يقول : ٢٠

(١) السباء : شراء الخمر .

كأنىَ لم أركب جوادا ولم أقل * لخيـــلِىَ كُرّى كَرّة بعد إجفالِ
ولم أســبأ الزقّ الروىّ للذّةٍ * ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال

وأن تقول أنت :

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ * ووجهــك وضّاحٌ وثغــرك باسمُ
٥ تمــرّ بك الأبطال كَلْمَى هزيمــةً * كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ

فقال : أيّد الله مولانا ! إن كان صحّ أنّ الذى آستدرك على آمرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ آمرؤ القيس وأخطأتُ أنا ، والثوبُ لا يعرفه البزّاز معرفة الحائك لأن البزّاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقَه ، لأنه هو الذى أخرجه من الغزليّة الى الثوبيّة . وإنما قرن آمرؤ القيس لذّة النساء بلذّة الركوب للصيد، وقرن ١٠ السماحة فى سباء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت الموت فى أوّل البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه . ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت :

* ووجهك وضّاح وثغرك باسم *

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأُعجبَ سيفُ الدولة ١٥ بقوله ووصله .

وقال لَقيط بن زُرارة :

شربتُ الخمر حتى خلتُ أنى * أبو قابوسَ أو عبدُ المَدَان

وقال حسّان بن ثابت الأنصارىّ عفا الله عنه ورحمه :

إذا ما الأشرِباتُ ذُكرنَ يوما * فهنّ لطيِّبِ الراح الفِداءُ
٢٠ ونشربها فتتركنا ملوكا * وأُسْدًا ما ينهنهها اللّقاءُ

حكى أنّ حسّان بن ثابت عنّف جماعةً من الفتيان على شرب الخمـر وسوء تنادمهم عليها وأنهم يُضرَبُون عليها ضربَ الإبل ولا يرجعون عنها ؛ فقالوا : إنا اذا هممنا بالإقلاع عنها ذكرنا قولك :

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأُسْدًا ما ينهنهها اللقاءُ

فعاودناها . ٥

وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان :

اذا ما نديمى علّنى ثم علّنى * ثلاثَ زجاجا ت لهنّ هــديرُ

خرجتُ أجرُّ الذيلَ حتى كأننى * عليـك أمير المؤمنين أميرُ

وقال آخر :

إذا صدَمتنى الكأسُ أبدت محاسنى * ولم يخش تَدْمانى أذاىَ ولا بخـلى ١٠

ولست بفحّاش عليــه وإن أسَا * وما شكل من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر :

شربنا من الدّاذِىّ[(١)] حتى كأننا * ملوكٌ لهم بَرُّ العِراقَيْن والبحـرُ

فلما انجلت شمسُ النهار رأيتنا * تَوَلّى الغنى عنّا وعاودنا الفقرُ

ومثله للمُنَخَّل اليَشْكُرِىّ : ١٥

فإذا سكـرتُ فإننى * ربُّ الخورنقِ والسديرِ

وإذا صحـوتُ فإننى * ربُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ

وقال عنترةُ :

وإذا سكرتُ فإننى مستهلك * مالى، وعِرضى وافـرٌ لم يُكلَم

وإذا صحوتُ فما أُقَصّرعن نَدًى * وكما علمت شمائلى وتكرُّمى ٢٠

---

(١) الداذىّ : شراب معروف بجودة إسكاره .

أخذه البحترىّ وزاد عليه فى قوله :

وما زلتَ خِلًّا للندامَى إذا آنتشوا * وراحوا بدورا يستحثُّون أنجما

تكرّمت من قبل الكئوس عليهمُ * فما آسطعن أن يُحدثن فيك تكرُّما

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله اذا سكر، والبحترى ذكر أن ممدوحه

٥ يتكرم قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيده تكرُّما .

وكان الأعشى ميمون بن قيس مشهورا بتعاطى الخمر مشغوفًا بها كثير الذكر لها

فى شعره . ومن آشتهاره بها قال المفضَّل بين قدماء الشعراء : أشعرهم آمرؤ القيس

اذا ركب، والنابغة اذا رهب، وزُهَير اذا رغِب، والأعشى اذا طَرِب . وقصد

الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم وآمتدحه بقصيدته التى أوّلها :

١٠ ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمَدَا * وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهَّدَا

فاعترضه فى طريقه من أراد منعه ، فقالوا له : إنه يحرّم عليك الزنا والخمر .

فقال : أمّا الزنا فقد كَبِرت فلا حاجة لى فيه ، وأمّا الخمر فلا أستطيع تركها . وعاد

لينظر فى أمره، وقيل : إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع ، فمات قبل الحول .

قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يَعبِس فى كأسه، فقال : ما أنصفتَها ،

١٥ تضحك فى وجهك وتعبِس فى وجهها . ومن ذلك قول الشريف الرضىّ :

كالخمر يعبِس حاسيها على مِقَةٍ * والكأسُ تجلو عليه ثغرَ مبتسم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتزّ حيث يقول :

ما أنصف النَّدمانُ كأسَ مُدَامةٍ * ضَحِكتْ اليه فشمّها بتعبُّس

ذكر شيء ممـا قيل فيها من جيّد الشعر

قد أوسع الشعراء فى هـذا المعنى وأطنبوا فيـه وتنوّعوا . فمنهم من مدحها ومنهم من وصفها وشبّهها، ومنهم من ذكر أفعالهـا وتغزّل فيها . وسنورد فى هـذا الموضع نبذة مما طالعناه فى ذلك؛ إذ لو أوردنا مجموع ماوقفنا عليه لطال، ولاّتسعت فيه دائرة المقال . ٥

* * *

فأمّا ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فمن ذلك قول ٱبن الرومى حيث يقول :

تاّلله ما أدرى بأيّة عـــلّةٍ * يدعون هذا الراحَ بٱسم الراحِ؟

ألريحها ولرَوْحها تحت الحشا * أم لاّرتيــاح نديمها المرتاحِ؟ ١٠

إن حُرِّمت فبحقِّها من خمرةٍ * ما كان مثـلُ حريمها بمباحِ

أو حُلِّلتْ فبحقِّها من نَشْوةٍ * تشفى سقامَ قلوبنا بصِحاحِ

وقال أيضا :

خمـــرٌ اذا ما نديمى ظلّ يَكْرَعها * أخشى عليــه من اللألاء يحـترقُ

لو رام يحلف أن الشمس ماغَرَبت * فى فيه كذّبه فى وجهه الشفَقُ ١٥

ومثله قول الطليق المروانىّ :

فإذا ما غَرَبتْ فى فمـــه * أطلعتْ فى الخدّ منه شفقا

وقال الناجم :

وقهوةٍ كشعاع الشمس صافيــةٍ * مثل السراب تُرَى من رقّةٍ شبحا

اذا تعاطيتَها لم تدرِ من فرحٍ * راحًا بلا قدَحٍ أُعطيتَ أم قدَحا؟ ٢٠

وقال الناشى :

يا ربّما كأس تناولتها * تسحب ذيلا من تلاليها
كأنها النار ولكنها * منعّمٌ واللهِ صاليها

ومما قيل فى وصفها وتشبيهها، فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية :

٥ ومُدَامةٍ حمراءَ فى قارورةٍ * زرقاءَ تحملها يدٌ بيضاءُ
فالخمر شمسٌ والحَبابُ كواكبٌ * والكفُّ قُطْبٌ والإناءُ سماءُ

وقال السروىّ :

عُنيتْ بالمدامةِ الشعراءُ * وصفوها وذاك عندى عناءُ
كيف تحصيل علمها وهى موتٌ * وحياةٌ وعلّةٌ وشفاءُ
١٠ فهى فى باطن الجوانح نارٌ * وهى فى ظاهر المحاجر ماءُ
حلوةٌ مرّةٌ فما أحدٌ يد * رى أداءٌ خُصُوصُها أم دواءُ

وقال البحترىّ :

اِشرب على زَهْر الرياض يشوبُه * زهرُ الخدود وزهرةُ الصهباءِ
من قهوةٍ تُنسى الهمومَ وتبعث الـ * ـشوقَ الذى قد ضلّ فى الأحشاءِ
١٥ يُخفى الزجاجةَ لونُها فكأنها * فى الكفّ قائمةٌ بغير إناءِ
ولها نسيمٌ كالرياض تنفّستْ * فى أوجه الأرواح والأنداءِ
وفواقعٌ مثل الدموع تردّدت * فى صحن خدّ الكاعبِ الحسناءِ
يسقيكها رشأٌ يكاد يردّها * سكرى بفترةِ مقلةٍ حوراءِ
يسعى بها وبمثلها من طَرْفهِ * عَوْدًا وإبداءً على الندماءِ

٢٠ وقال الوأواء الدمشقىّ :

فآمزُج بمائك نار كأسك وآسقنى * فلقد مزجتُ مدامعى بدماءِ

وآشرب على زهرِ الرياض مُدامةً * تنـــفِى الهمـــومَ بعاجل السّراءِ
لَطُفتْ فصارتْ من لطيف محلّها * تجرى بَجرى الروحِ فى الأعضـاءِ
وكأنّ مُخْتَقَــةً عليهـا جوهرٌ * ما بين نارٍ أُذكِيَتْ وهواءِ
وكأنها وكأنّ حاملَ كأسهـا * إذ قام يجـــلوها على النـــدماءِ
شمسُ الضحى رَقَصتْ فنقّط وجهَها * بدرُ الدجى بكواكب الجوزاءِ ٥

وقال أبو نُوَاس :

أقول لمـا تحـاكيا شبها * أيّهـما للتشابه الذهبُ
همـا سواءٌ وفرقُ بينِهما * أنهـما جامدٌ ومُنسكِبُ

وله أيضا :

إذا عَبّ[1] فيها شاربُ القوم خلتَه * يقبّــل فى داجٍ من الليل كوكبا ١٠
ترى حيثما كانت من البيت مَشرِقًا * وما لم تكن فيـه من البيت مَغرِبا
يدور بها ساقٍ أغنّ ترى له * على مستدار الأذن صُـدْغًا مُعَقْرَبا
ســقاهم ومنّانى بعينيه مُنيــةً * فكانت الى نفسى ألذّ وأطيبا

ومثل البيت الأوّل قول آبن المعتزّ :

كأنه قائم والكأس فى يــده * هلالُ أوّلِ شهرٍ غابَ فى شفق ١٥

وقال آبن الروميّ :

ومهفهفٍ تمّت محاســنُه * حتى تجاوز منتهى النفسِ
أبصرتُه والكأسُ بين فم * منه وبين أناملٍ خمسِ
فكأنه والكأس فى فمــه * قمرٌ يقبّــل عارضَ الشمسِ

(١) العب : الشرب من غير مص . ٢٠

وقال الحسين بن الضحّاك :

كأنما نُصْبَ كأسِه قمرٌ * يكرَع فى بعض أنجم الفلكِ

وقال آخر :

وآكتست من فضّةٍ دُرَرًا * خلتُها من تحتها ذهبا

ككميت اللون قلّدها * فارسٌ من لؤلؤ حَبَبا

وقال آخر :

تغشى [(١)] بياض شاربها * فتخالها بيمين مختضبِ

دارت وعين الشمس غائبة * فحسبتُ عينَ الشمس لم تغب

وقال آخر :

حمراء ورديّة مشعشعة * كأنها فى إنائها لهبُ

صهباء صِرْفا لو مسّها حجرٌ * من جامد الصخر مسّه طربُ

وقال آخر :

قلت والراح فى أكفّ النّدامَى * كنجومٍ تلوحُ فى أبراجِ

أمُداما خرطتُمُ لمُدامٍ * أم زجاجا سبكتُمُ لزجاجِ

وقال الحسن بن وهب :

وقهوةٍ صافيةٍ * كالمسك لمّا نفحا

شربتُ من دِنانها * من كلّ دنٍّ قدَحا

فعدتُ لا تحملنى * أعوادُ سرجى مرَحا

من شدة السكر الذى * على فؤادى طفحا

(١) هذا الشطر مختل الوزن وورد هكذا بكل الأصول . ولعله : « تغشى الكؤوس » أو تغشى المدام » مما يستقيم به المعنى والوزن .

وقال آبن المعتز :

خليلىّ قد طاب الشرابُ المبرَّدُ * وقد عدتُ بعد النسك والعَوْدُ أحمدُ

فهاتِ عُقارا من قميص زجاجةٍ * كياقوتةٍ فى دُرَّةٍ تتوقَّــدُ

يصوغ عليها المـاءُ شُبّاكَ فضةٍ * له حَلَقٌ بيضٌ تُحَـــلّ وتُعقَدُ

وقال التنوخىّ :

وراح من الشمس مخلوقةٍ * بدت لك فى قَدَحٍ من نهارِ

هواءٌ ولكنه ساكنٌ * وماءٌ ولكنه غير جارى

اذا ما تأملتــه وهى فيــه * تأمّلتَ ماءً محيــطا بنـارِ

فهذا النهاية فى آلإبيضاضِ * وهذا النهـاية فى الإحمــرارِ

وما كان فى الحكم أن يُوجَدَا * لفــرطِ تنافيهــما والنِّفارِ

ولكن تجاوَرَ سطحاهما الـ * ـبسيطان فأتلفـا بالجــوارِ

كأنّ المـــديرَ لهـا باليمين * إذا مال بالسَّقْى أو باليسارِ

تدرَّعَ ثوبا من اليـاسمين * له فــردُ كُمٍّ من الجُلَّنارِ

وقال آبن وكيع التِّنِّيسىّ :

حَمَلتْ كفُّه الى شــفتيه * كأسَه والظلامُ مُرخى الإزارِ

فألتــقَى لؤلؤا حَبابٍ وثغرٍ * وعقيقانِ من فم وعُقارِ

وقال آخر :

قم فآسقنى قد تبلّج الغَسَقُ * من قهوةٍ فى الزجاج تأتلِقُ

كأننا والكئوس نأخذها * نشرب نارًا وليس نحترق

وقال أبو نواس :

غنّنا بالطلول كيف بَلينا * وٱسقنا نُعْطِكَ[1] الجزاء الثمينا
من سلاف كأنها كلّ شىء * يتمنى مخيّر ان يكونا
أكل الدهرُ ماتجسّم منها * وتبقّى لنا[2] بها المكنونا
فإذا ما ٱجتليتَها فهباءٌ * تمنع الكفَّ ماتُبيح العيونا
ثم شُجّتْ فاستضحكت عن لآلٍ * لو تجمّعن فى يدٍ لٱقتُنينا
فى كئوس كأنهن نجوم * جاريات ، بُروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا * فاذا ما غَرَبنَ يغرُبن فينا
لو ترى الشَّرْبَ حولها من بعيدٍ * قلتَ قومٌ من قِرّةٍ يصطلونا

وقال ٱبن المعتزّ :

وخمّارةٍ من بناتِ المجوسِ * ترى الدَّنَّ فى بيتها شائلا
وزنّا لها ذَهَبًا جامدًا * فكالت لنا ذَهَبًا سائلا

* * *

وأما ماقيل فى أفعالها، فمن ذلك قول أبى تمّام الطائىّ :

وكأسٍ كمعسول الأمانى شربتُها * ولكنها أجلَتْ وقد شَرِبتْ عقلى
اذا عُوتبت بالماء كان ٱعتذارُها * لهيبا كوقع النار فى الحطَب الجَزْلِ
اذا اليدُ نالتها بوَتْرٍ توفَّرت * على ضِغْنها[3] ثم ٱستقادت من الرِّجل

(١) فى الأصل : « نقطة الجزاء ... » وهو تحريف . وفى ديوان أبى نواس
* وٱسقنا نعطك الثناء الثمينا *
(٢) كذا بالأصل ، وفى الديوان : * وتبقى لبابها المكنونا *
(٣) كذا فى الديوان . وفى الأصل : «صنعها» وهو تحريف .

ومثله قول ديك الجنّ وآسمه عبد السلام :

فقام تكاد الكأس تخضب كفّه * وتحسَبه من وجنتيه آستعارَها

مشعشعة من كفّ ظبي كأنما * تناولها من خدّه فأدارَها

فظلنا بأيدينا نُتعتِعُ رُوحها * وتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها

وقريب من المعنى الأوّل قول أبي بكر الخالديّ :

كانت لها أرجُل الأعلاج[1] واترةً * بالدوس فآنتصفَت من أرؤس العربِ

[أخذ[2] هذا المعنى أبو غالب الإصباعيّ الكاتب فقال :

عَقَرتْهمُ معقورةٌ لو سالمت * شُرّابها ما سُمّيتْ بعُقارِ

لانَتْ لهم حتى آنتشَوْا وتمكّنتْ * منهم فصاحت فيهمُ بالثارِ

ذكرت حقائدَها القديمةَ إذ غدت * صَرْعَى تُداسُ بأرجل العُصّارِ]

وقال آخر :

أسروها وجهَ النهار من الدّنّ * فأمسَوْا وهم لها أُسَراءُ

وقال عبد الصمد بن بابك عفا الله عنه :

عُقارٌ عليها من دم الصّبّ نفضةٌ * ومن عَبَرات المستهام فواقعُ

معوّدةٌ غصبَ العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائعُ

* * *

وأما ماوُصفت به غير ماقدّمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفيّ [والحصكفي نسبة الى حصن كيفا] :

وخليع بتّ أعتبه * ويرى عتبي من العبثِ

(١) الأعلاج : جمع علج وهو الرجل من كفار العجم .

(٢) الزيادة التي بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عن إحدى النسخ .

قلتُ إن الخمر مَخْبَثةٌ * قال حاشاها من الخَبث
قلتُ منها القىء، قال أَجَلْ * طَهُرت عن مخرج الحَدَثِ
قلتُ فالأرفاث نتبعها * قال طِيبُ العيش فى الرفثِ
وسألوها فقلت متى * قال عند الكونِ فى الجدثِ

٥ وقال آخر :

ثقُلت زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغا * حتى اذا مُلِئت بصِرفِ الراحِ
خفَّتْ فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تَخِفُّ بالأرواحِ

[وقريب من المعنى قول الآخر :

وزنّا الكأس فارغةً وملأى * فكان الوزنُ بينهما سواء[1]]

١٠ وقال أبو نواس :

قهوةٌ أُعْمِيَ عنها * ناظرا ريْبِ المنونِ
عُتِّقتْ فى الدنّ حتى * هى فى رقّة دينى
ثم شُجَّت فأدارت * فوقها مثلَ العيونِ
حَدَقًا ترنو الينا * لم تُحَجَّرْ بجفونِ
١٥ ذهبا يُثمر دُرًّا * كلَّ إبَّانٍ وحينِ
من يَدَىْ ساقٍ عليه * حلّةٌ من ياسمينِ
غايةٍ فى الظَّرف والشكل وفردٍ فى المجونِ

وقال :

ذُدْ بماء الكَرْمِ والعنبِ * خطراتِ الهمِّ والنُّوَبِ
٢٠ قهوة لو أنها نطقَتْ * ذكَرتْ ساماً أبا العربِ

---

(١) الزيادة التى بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عن بعض النسخ .

وهى تكسو كفَّ شاربها * دستبانات[1] من الذهبِ

وقال تاج الملوك بن أيّوب :

وكم ليـلةٍ فيها وصـلنا غَبوقَنا * وكم من صباحٍ كان فيه صَبوحُ
تُدار علينا من أكفِّ سُـقاتنا * عُقارٌ من الهمِّ الطويلِ تُريحُ
تلوحُ لنا كالشمسِ فى كفِّ أغيدٍ * يلوح لعينى البـدرُ حين يلوحُ
مدامٌ تُحاكى خـدّه ورُضابَه * ونكهتَه فى الطِّيبِ حين تفوحُ
ولكن لها أفعالُ عينيه فى الحشا * فكلُّ حشًا فيها عليـه جَريحُ

وقال أيضا :

والكأس أُعطاها عقيقا أحمرا * قانٍ ، فأُعطيها لُجَينًا يَقَقَا[2]
من قهوةٍ ما العيش إلا أن أرى * مصـطبحا فى شربها مغتبـقا
أشربها تُبرًا هنيئا من يدَىْ * غصنٍ رشـيقٍ وغزالٍ أرشقَا

ومما قيل فيها اذا مُزجت بالمـاء ، فمن ذلك قول أبى نواس :

وصفراءُ قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلقاك دونَها
ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسُر حتى ما تُقِـلّ جفونَها

ومنه أخذ دِيك الجنّ فقال :

وحمـراء قبل المزج صفراء بعـده * بدت بين ثوبَىْ نرجس وشـقائقِ
حكت وجنةَ المعشوقِ صِرْفًا فسلّطوا * عليها مزاجا فاكتستْ لونَ عاشقِ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

راحٌ اذا ما الليل مدَّ رواقه * لاحت تُطرِّز حُلّةَ الظلماءِ

(١) الدستبانات : كلمة فارسية ومعناها الأساور . (٢) اليقق : الأبيض .

حتى اذا مُزِجتْ أراكَ حَبابُها * زهراتِ أرضٍ أو نجومَ سماءِ

وقال أيضا :

وكأس تمتطى أطرافَ كفٍّ * كأنَّ بنانها من أرجوانِ
أنازعها على العلّات شَرْبًا * لهنَّ مضاحكٌ من أُقحوانِ
يلوح على مفارقها حَبابٌ * كأنصافِ الفرائد والجُمانِ
وطالعنى الغلامُ بها مُحَيِّراً * فزاد على الكواكب كوكبانِ
ووافقها بخدٍّ أرجُوانٍ * وخالفها بفرعٍ أدجوانِ

قوله :

* كأنصافِ الفرائد والجمان

مأخوذ من قول ابن الرومىّ :

لها صَريحٌ كأنه ذهبٌ * ورغوةٌ كاللآلئ الفُلُق

وقال أبو نواس :

فإذا علاها الماءُ ألبسها * حببًا(١) شبيهَ جَلاجِلِ الحَجْلِ
حتى اذا سكنتْ جوانحُها(٢) * كتبتْ بمثلِ أكارع النملِ

١٥ وهو مأخوذ من قول الأوّل، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية :

وكأسٍ سباها التَّجْرمن أرض بابلٍ * كرقّة ماء الحُزْنِ فى الأعينِ النُّجلِ
اذا شجّها الساقى حسبت حَبابَها * عيونَ الدَّبا(٣) من تحت أجنحةِ النملِ

وقال أبو نواس أيضا :

قامت تُريني وأمرُ الليلِ مجتمعٌ * صبحا تولّد بين الماء واللّهبِ

٢٠ (١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « نمشا » . (٢) كذا بالأصل . وفى الديوان : «جوامحها» . (٣) الدبا : الجراد .

كأنّ صُغْرَى وكُبْرَى من فقاقعها * حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

وقال آبن المعتز :

للماء فيها كتابةٌ عجبٌ * كمثل نقشٍ فى فَصِّ ياقوتِ

وقال العسكرىّ :

ذاب فى الكأس عقيقٌ يجرى * وطفا الدُّرُّ عليه فسبَحْ

نصب الساقى على أقداحها * شَبَكَ الفِضّةِ تصطادُ الفرحْ

وقال آبن الساعاتىّ :

وليلةٍ بات بدرُ التمّ ساقِيَنَا * يُديرُ فى فَلَكٍ من شربها شُهُبا

بكر اذا قُرعتْ بالماء كان بنا * جِدًّا وإن كان فى كاساتها لَعِبا

حمراء من خجلٍ حتى اذا مُزجت * لم تدر ما خجلا تحمرُّ أم غضبا

تزيد بالبارد السلسال جذوتُها * وما سمعت بماء محدِثٍ لهبا

تكسو النديمَ إذا ما ذاقها وَضَحًا * حتى كأنّ شعاعَ الشمس قد شَرِبا

وقال آخر :

فَنَبَّهتْنِى وساقِى القوم يمزُجها * فصار فى البيت للصباح مصباحُ

قلنا على علمنا والشكُّ يغلبنا * أراحُنا نارُنا أم نارُنا الراحُ

وقال آبن وكيع التِّنّيسىّ :

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراقُ عدوٍّ أو لقاءُ صديقِ

كأنّ الحبابَ المستديرَ بطوقها * كواكبُ دُرٍّ فى سماءِ عقيقِ

صببت عليها الماءَ حتى تعوّضت * قميصَ بَهارٍ من قميص شقيقِ

وقال آخر :

حمراء ما آعتصموا بالماء حين طفت * إلا وقد حسبوها أنها لهبُ

وقال الخالديّان :

فهاتها كالعروس محمـــرة الـ * ـخدّين فى مِعجرٍ[1] من الحَبَبِ
كادت تكون الهواءَ فى أرج الـ * ـعنبر لو لم تكن من العنبِ
من كفِّ راضٍ عن الصدود وقد * غضِبتُ فى حبِّـه على الغضبِ
فلو ترى الكأسَ حين يمزُجها * رأيت شيئا من أعجب العجبِ
نار حواهـا المِـــزاج يُلْهِبها المـــاءُ ودُرٌّ يـــدور فى لهبِ

ذكر ما قيل فى مبادرة اللّذات ومجالس الشراب وطيّها

قال أحمد بن أبى فَنَن :

جدِّد اللّـــذّاتِ فاليومُ جديدُ * وٱمض فيما تشتهى كيف تريدُ
وٱلهُ ما أمكنَ يومٌ صالحٌ * إن يومَ الشرِّ ـ لا كان ـ عتيدُ

وقال ديك الجنّ :

تمتّـع من الدنيـا فإنك فانى * وإنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا تُنْظِرنّ اليومَ لهواً إلى غدٍ * ومَنْ لغــدٍ من حادثٍ بأمانِ
فإنى رأيتُ الدهرَ يُسرع بالفتى * وينقــله حالين مختلفان[2]
فأمّا الذى يمضى فأحلامُ نائمٍ * وأمّا الذى يبـــقى له فأمانى

وقال ٱبن المعتزّ من أبيات :

وبادِرْ بأيام السرور فإنهـا * سِراعٌ وأيامُ الهمـــوم بِطـاءُ
وخلِّ عتاب الحادثاتِ لوجهها * فإن عتـابَ الحادثاتِ عناءُ
تعالَوْا فسقُّوا أنفسا قبل موتها * ليأتىَ ما يأتى وهنّ رِواءُ

(١) المعجر : ثوب تلفه المرأة على ٱستدارة رأسها . (٢) كذا بالأصل . ولعلها «مختلفان» .

وقال أحمد المـاردانيّ :

عاقرِ الراحَ ودَعْ نعتَ الطلَلْ * وٱعْصِ من لامك فيها وعذَلْ
غادِها وٱسعَ لهـا وٱغْرَ بهـا * وإذا قيل: تصابَى، قل أجَلْ
إنمـا دنياك ــ فٱعلم ــ ساعةٌ * أنت فيهـا وسوى ذاك أملْ

وقال ٱبن بسّام :

واصــلْ خليلك إنما الـ * ـدنيا مواصلةُ الخليــلِ
وٱنعَـمْ ولا تتعجّل الـ * ـمكروهَ من قبل النزول
بادِرْ بمـا تهـــوى فمـا * تدرى متى وقت الرحيل
وٱرفُضْ مقـالةَ لائم * إن الملامَ من الفُضــولِ

وممـا وُصفتْ به مجالس الشرب، فمن ذلك قول أبى نواس :

فى مجلِس ضحك السرورُ به * عن ناجذيه وحُلّت الحُمُرُ

وقال ديك الجنّ :

كأنمـا البيتُ بريحانة * ثوبٌ من السندس مشقوقُ

وقال السريّ :

ألستَ ترى ركبَ الغمامِ يُساقُ * وأدمعهُ بين الرياض تُراقُ
وقد رقَّ جِلبابُ النسيم على الثرى * ولكن جلابيبُ الغيوم صفـاقُ
وعندى من الرَّيحانِ نوعٌ تحسّه * وكأسٌ كَرَقراق الخَـلُوق(١) دِهاقُ
وذو أدبٍ جلّتْ صنائعُ كفِّـه * ولكن معانى الشعر منه دِقاقُ
له أبدًا من نثره ونظـامه * بدائعُ حَلْيٍ ما لهنَّ حِقـاقُ

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن غالب أجزائه من الزعفران .

وأغيدُ مهتزٌّ، على صحن خدّه * غلائلُ من صِبغ الحياءِ رِقاقُ
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره * فهنّ له دون النِّطاق نطاقُ
وقد نظم المنثور فهو قلائد * علينا، وعقدٌ مُذْهَبٌ وخناقُ
وغرفتنا بين السحائب تلتقِي * لهنّ علينا كِلّةٌ ورِواقُ
٥ تقسّم زُوّارٌ من الهند سَقفَها * خِفافٌ على قلب الكريم رِشاقُ
أعاجمُ تلتذُّ الخصامَ كأنها * كواعبُ زَنْجٍ راعهنّ طَلاقُ
أنِسنَ بنا أُنسَ الإماءِ تحبّبتْ * وشيمتها غَدْرٌ بنا وإباقُ
مُواصِلةٌ والورد فى شجراته * مفارقةٌ إن حان منه فراقُ
فزُرْ فتيةً، بَرْدُ الشرابِ لديهمُ * حميمٌ اذا فارقتهم وغسَاقُ(١)
١٠ قوله :
أحاطت عيون العاشقين بخصره * فهن له دون النطاق نطاقُ
مأخوذ من قول المتنبّى :
وخصرٍ تثبُت الأحداق فيه * كأنّ عليه من حَدَقٍ نطاقا
وقال أبو هلال العسكرىّ :
١٥ وليلٍ ٱبتعتُ به لذّةً * وبعتُ فيه العقلَ والدّينا
أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى * وبات فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصَّبا * نسيم راحٍ ورياحينا
وأكؤس الراح نجومٌ اذا * لاحت بأيدينا هوتْ فينا
تضحك فى الكأس أباريقُنا * وحسبها تضحك تبكينا

---

٢٠ (١) الغساق : المنتن الشديد البرد الذى يحرق من برده كإحراق الحميم .

ومما قيل فى طىّ مجالس الشراب، فمن ذلك قول بعض الشعراء :

حُكم العُقارِ اذا قصدتَ لشربها * فى لذّةٍ من مُسْمِع(١) وقيانِ

ألّا تعود لذكر ما أبصرتَ من * أُحدوثةٍ من شاربٍ سكرانِ

وقال آخر :

إذا ذُكر النبيذُ فليس حقًّا * إعادة مايكونُ على النبيذِ

إعادة مايكون من السّكارى * يكدّر صفوةَ العيش اللذيذِ

وقال آخر :

تنازعوا لذّة الصهباء بينهمُ * وأوجبوا لرضيع الكأس مايجب

لايحفظون على السكران زَلّتَهُ * ولا يُريبك من أخلاقهم رِيَبُ

ذكر ماقيل فى وصف آلات الشراب وأوانيها

من ذلك ماقيل فى وصف مَعصرة الخمر :

قال أبو الفرج الببّغاء :

ومَعصرة أنختُ بها * وقرنُ الشمس لم يَغِبِ

خِلْتُ قرارها بالرا * ح بعضَ معادنِ الذهبِ

وقد ذَرَفت لفقد الكَرْ * م فيها أعينُ العنبِ

وجاش عُبابُ واديها * بمنهلٍّ ومُنْسَكِبِ

وياقوت العصير بها * يلاعبُ لؤلؤ الحببِ

فياعجبا لعاصرها * وما يفنَى به عجبى

وكيف يعيش وهو يخو * ض فى بحرٍ من اللّهب

(١) المسمع : المغنى .

وقال ابن المعتز يصف الدنان :

ودنان كمثل صف رجال * قد أقيموا ليرقصوا دستبندا[1]

وقال القطامى يصف جرار الخمر :

واستودعتها رواقيد[2] مقيرة[3] * دكن الظواهر قد برنسن بالطين

مكافحات لحر الشمس قائمة * كأنهن نبيط فى تبابين[4]

وقال العلوى الأصفهانى :

مخدرة مكنونة قد تقشفت * كراهبة بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسن بيض غلائل * هى العرى مغرور بها كل لابس

مشعثة مرهاء[5] ماخلت أننى * أرى مثلها عذراء فى زى عانس

ومما قيل فى الراووق، قال بعض الشعراء :

كأنما الراووق وانتصابه * خرطوم فيل سقطت أنيابه

والبيت منه عطر ترابه * كأن مسكا فتقت عيابه

وقال آخر :

سماء لاذ[6]، قطرها رحيق * رحب الذرى ينحط فيه الضيق

ماء عقيق لو جرى العقيق * حتى اذا ألهبها التصفيق

* صحنا الى جيراننا : الحريق *

(١) الدستبند : نوع من أنواع رقص المجوس : يأخذ بعضهم بيد بعض و يدورون و يرقصون .

(٢) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٣) مقيرة : أى مسيعة بالقار وهو "الزفت" .

(٤) التبابين : جمع تبان وهو سراو يل صغير يستر العورة .

(٥) المرهاء : التى ابيضت حماليقها من تركها الكحل .

(٦) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر صينى .

ومما وُصفت به زقاق الخمر، فمن ذلك قول الأخطل :

أناخوا بجزوا شـاصياتٍ[1] كأنها * رجالٌ من السودان لم يَتَسربلوا

وقال أبو الهندىّ وأجاد فى شعره :

أتلفَ المـالَ وما جمّعتُـــه * طلبُ اللّذاتِ من ماء العنبْ

وٱستباءُ الزقّ من حانوتها * شائلِ الرجلين مَعْضوبِ[2] الذنبْ

كلّمـا كُبّ لشَرْبٍ خلتَـــه * حبشيّا قُطعتْ منـه الرُّكَبْ

وقال ٱبن المعتزّ :

وتراهـا وهى صَرْعَى * فُرَّقًا بين النـدامَى

مثـــلَ أبطالِ حروب * قُتِـلوا فيهـا كِرامَا

وقال العلوىّ الأصفهانىّ :

عجبتُ من حبشىّ لا حَراكَ به * لا يُدرك الثأر إلا وهـــو مـذبوحُ

طَوْرًا يُرَى وهو بين الشَّرب مضطجعٌ * رخو الصِّفاقِ[3] وطَوْرًا وهو مشبوحُ

ومـا وُصفت به الأباريقُ ؛ فمن ذلك قول شُبرمة بن الطفيل :

كأنّ أباريقَ الشّمول عشـيّةً * إوَزٌّ بأعلى الطفّ عُوجُ الحناجرِ

وقال آخر :

يا رُبَّ مجلس فتيـةٍ نادمتُهم * من عبد شمسٍ فى ذرى العلياءِ

وكأنمـا إبريقُهم من حُسنهِ * ظبىٌ على شَرَفٍ أمامَ ظبـاءِ

وقال ٱبن المعتزّ :

وكأنّ إبريقَ المـدام لديهـــمُ * ظبىٌ على شَرَفٍ أنافَ مدلّهَـا

(١) الشاصيات : القرب اذا كانت مملوءة أو نفخ فيها فارتفعت قوائمها .

(٢) المعضوب : المقطوع . (٣) الصفاق : جلد البطن .

لمـا استحثّته السُّقاة جثى لها * فبكى على قدح النـديم وقهقها

وقال إسحاق الموصلىّ :

كأن أباريقَ المدام لديهـمُ * ظبـاءٌ بأعلى الرَّقمتيــن قيامُ

وقد شربوا حتى كأنّ رقابَهم * من اللِّين لم يُخلَق لهنّ عِظـامُ

٥ وكلّهم نظروا الى قول عَلْقمة بن عَبَدَة :

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ * مُفَدَّمٌ بسَبـا[1] الكَتّان ملثومُ

وقال محمد بن هانئ من أبيات :

والأباريقُ كالظبـاء العواطى * أوجستْ نبأةَ الخيولِ العتـاقِ

مُصغياتٌ إلى الغناءِ مُطـلّا * تٌ عليــه كثيرةُ الإطراقِ

١٠ وهى شُمُّ الأنوفِ يشمخن كبرًا * ثم يَرْعُفن بالدّمِ المُهـراقِ

وقال أبو نواس عفا الله عنه :

والكوب يضحك كالغزال مسبِّحًا * عنـد الركوع بلثغـةِ الفَأفاءِ

وكأنّ أقداح الرحيـق إذا جرت * وسط الظلامِ كواكبُ الجوزاءِ

وقال بشّار بن بُرْد :

١٥ كأنّ إبريقَنا والقَطْرُ من فمه * طـيرٌ تنـاول ياقوتًا بمنقارِ

ومما وُصفت به الكاساتُ والأقداحُ ، فمن ذلك قول ابن المعتزّ :

غدا بها صـفراء كَرْخيّة * تخالهـا فى كأسهـا تتّقـدْ

وتحسب المـاءَ زجاجًا لها * وتحسب الأقداحَ ماءً جَمَدْ

وقال ابن المعتزّ أيضا عفا الله عنه :

٢٠ وكأسٍ تُحجَبُ الأبصـارُ عنها * فليس لنـاظرٍ فيهـا طريقُ

(١) السب والسبيبة : الشقة ، وخص بعضهم به الشقة البيضاء . كذا فى اللسان ، وقد استشهد بهذا البيت وعقب عليه قائلا : « إنما أراد بسبائب لحذف » .

كأنــ غمامةً بيضــاَء بيني * وبين الكأس تخرقهــا البروقُ

وقال أبو الفرج الببّغاء :

من كلّ جسم كأنه عَرَضٌ * يكاد لُطفًا باللحظ يُنْتَهَبُ

كأنمــا صاغه النّفاق فمــا * يخلُص منه صــدقٌ ولا كذبُ

وقال الرفّاء :

كأنّ الكئوسَ بفضلاتهــا * متــوّجةً بأكاليـــل نورِ

جيوبٌ من الوشى مَزْرورةٌ * يلوح عليها بياضُ النحورِ

وقال آخر :

وكأنما الأقداحُ مترعة الحشــا * بين الشروب كواكبُ الجوزاءِ

وكأنهــا ياقوتةٌ فضـــلاتها * مخروطةٌ مِنــ دُرّة بيضــاءِ

وقال المعوَّج :

يعاطيك كأسًا غير ملأى كأنها * إذا مُزجتْ أحداقُ دِرعٍ مُزَرَّدِ

كأنّ أعاليها بيــاضُ سوالف * يلوح على توريد خدّ مورَّدِ

وقال أبو نواس :

وكأنما الروضُ السماءُ ونهرُه * فيه المجرّةُ والكئوسُ الأنجمُ

وقال الثعالبيّ :

ياواصف الكأس بتشبيهها * دونك وصــفًا عالِيَ القَــدْرِ

كأنّ عينَ الشمس قد أُفرِغتْ * فى قالَبٍ صِـــيغ من البدرِ

وقال آخر :

أقول للكأس إذ تبــدّتْ * بكفِّ أَحْوىٰ أغنّ أحــورْ

أخربتِ بيتي وبيتَ غيرى * وأصــلُ ذا كعبُكِ المدوَّرْ

(٥٦)

الباب الخامس

من القسم الثالث من الفنّ الثانى

فى النُّدمان والسُّقاة

قال سهل بن هارون : ينبغى للنديم أن يكون كأنما خُلق من قلب الملك يتصرّف بشهواته ويتقلّب بإرادته ، لا يَمَلّ المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ؛ إذا آنتشى يحفظ ، وإذا صحا يَيَقظ ، ويكون كاتما لسرّه ، ناشرا لبرّه . قالوا :

فاخَرَ كاتبٌ نديما ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤونة ؛ وأنا للجدّ ، وأنت للهزل ؛ وأنا للشدّة ، وأنت للرخاء ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسِّلم . فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للحُظوة ، وأنت للهنة ؛ تقوم وأنا قاعد ، وتحتشم وأنا مؤانِس ؛ تدأب لراحتى ، وتشقى لما فيه سعادتى ؛ فأنا شريك وأنت مُعين ، كما أنك تابع وأنا قرين . فلم يُحِر الكاتبُ جوابا . والله أعلم .

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ رحمه الله عن الندماء ، فقال :

واحدٌ غَمٌّ ، وآثنان هَمٌّ ، وثلاثةٌ قِوَامٌ ، وأربعةٌ تَمَامٌ ، وخمسةٌ مجلِسٌ ، وستّةٌ زِحامٌ ، وسبعةٌ جَيْشٌ ، وثمانيةٌ عَسْكرٌ ، وتسعةٌ آضربْ طبلَك ، وعشرة آلقَ بهم مَن شئتَ .

وقال الجمّاز : النبيذ حرام على آثنى عشر نفسا ، مَن غَنّى الخطأ ، وآتكأ على اليمين ، وأكثر من أكل البقل ، وكسر الزجاجَ ، وسرق الريحانَ ، وبل ما بين يديه ، وطلب العَشاء ، وقطع البَمّ[(١)] ، وحبس أوّل قدحٍ ، وأكثر الحديثَ ، وآمتخط فى منديل الشراب ، وبات فى موضع لا يُحتَمَلُ المبيتُ فيه .

(١) البم : الوتر الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكرىّ :

ما أعافُ النبيذَ خيفةَ إثم * إنما عفتُه لفقدِ النّديم

ليس فى اللهو والمدامةِ حظٌّ * لكريم دون النديم الكريم

فتخيّرْ قبلَ النبيذ نديمًا * ذا خلالٍ معطّراتِ النسيم

وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ * وضميرٍ إذا آختبرتَ سليم ٥

وقال آخر :

أرى للكأس حقًّا لا أراه * لغير الكأس إلا للنديم

هو القطبُ الذى دارتْ عليه * رحَى اللّذاتِ فى الزمنِ القديم

وقال آخر :

ونَدْمانٍ أخى ثقةٍ * كأنّ حديثَه حِبَرَهْ(١) ١٠

يسرُّك حسنُ ظاهرِهِ * وتحمَد منه مُختَبَرَهْ

ويستر عيبَ صاحِبِه * ويستُرُ أنه سَتَرَهْ

وقال آخر :

ونديم حلو الحديث يجاريـ * ـك بما تشتهيه فى ميدانِكْ

ألمعىّ كأنّ قلبَك فى أضـ * ـلاعه أو كلامَهُ فى لسانِكْ ١٥

وقال يحيى بن زياد :

ولستُ له فى فضلة الكأسِ قائلا * لأصرفه عنها(٢) : تحسَّ وقد أبَى

ولكنْ أُحيِّيه وأُكرِم وجهَهُ * وأشربُ ما أبقَى وأسقيه ما آشتَهى

ولستُ إذا مانام عندى بموقِظٍ * ولا مُسمِعٍ يقظانَ شيئا من الأذَى

وقال آخر : ٢٠

ليس من شأنه إذا دارتِ الكأ * سُ فأزرى إدمانُها بالحلوم

(١) الحبرة : ضرب من برود اليمن منمر . (٢) هذه رواية الأصل وهى غير مستقيمة ويحتمل أن تكون محرّفة عن « لأصرفها عنى » أو « لأصرعه سكرا » أو نحو ذلك .

قولُ مايُسخط النديمَ و إنْ أسـ * ـخطَه عند ذاك قولُ النـديم

وقال عبد الرحمن العَطوىّ رحمه الله :

أُخْطُبْ لكأسك نَدماناً تُسَرُّ به * أو لا فنادِمْ عليها حكمةَ الكتب

أخطُبْه حرًّا كريماً ذا محافظة * ترى مودّته من أقرب النسب

٥ وقال أبو نُوَاس :

ونَدْمانٍ يَرَى عيبًا عليـه * بأن يمشي وليس به آنتشاءُ

إذا نبّهته من نوم سكرٍ * كفاه مرّةً منـك النداءُ

فليس بقائل لك : إيهِ دعنى * ولا مسـتخبرا لك ما تشاءُ

ولكن سَقّنى ويقول أيضا * عليك الصِّرْفَ إن أعياك ماءُ

١٠ اذا ما أدركته الظهرُ صلّى * ولا عصرٌ عليـه ولا عِشاءُ

يصلّى هذه فى وقت هذى * وكلّ صـلاته أبدًا قضاءُ

وقال آخر :

نبهت نُدْمانى فهبّـوا * بعد المنام لما آستحبّوا

هـذا أجاب وذا أنا * ب وذا يسير وذاك يحبو

١٥ أنشـدتهم بيتا يعـلِّم * ذا الصبابةِ كيف يصبو

«ما العيش إلا أن تُحِبَّ * وأن يحبّـك من تحبّ»

فتطـرّبوا والأريحيـة * شأنها طَرَبٌ وشُرْبُ

وقال أبو عُبَادة البحترىّ عفا الله تعالى عنه :

ونديم نبّهتُـه ودجى الليـ * ـل وضوءُ الصباح يعتلجانِ

٢٠ قم نبادرْ بها الصيامَ فقد أقـ * ـمر ذاك الهلالُ من شعبانِ

وقال أيضا :

بات نديمًا لِيَ حتى الصباح * أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشـاح
كأنما يبسم عن لـؤلؤ * مُنَضَّـدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح
يسـاقط الوردَ علينا وقـد * تبلّج الصبحُ، نسيمُ الرياح
إن لان عِطْفاه قسا قلبُه * أو ثبّت الخلخال جال الوشاح[1]
أمزُجُ كأسى بجَنَى ريقـه * وإنما أمزُجُ راحًا براح

ومنهم من كره النديم وآثر الانفراد . قال إبراهيم الموصلىّ عفا الله تعالى عنه ورحمـه :

دخلت يوما على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب، فقلت له : تنادم كلبا ! قال : نعم، يمنعنى أذاه، ويكُفّ عنّى أذى سـواه، ويشكر قليلى، ويحفظ مَبيتى ومَقيلى . وأنشد :

وأشرب وحدى من كراهتِيَ الأذى * مخافةَ شرّ أو سِـبابِ لئـيم

انتهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل فى السُّقاة، فمن ذلك قول الصنوبرىّ عفا الله عنه :

ومُـوَرَّد الخـدّين يخـ * ـطِر حين يخطـر فى موردْ
يسـقيك من جفن اللُّجَيـ * ـن اذا سقاك دموعَ عَسْجَدْ
حتّى تظنّ النجم ينـ * ـزِلُ أو تظنّ الأرض تصعَدْ
فإذا سـقاك بعينـه * وبفيـه ثم سقاك باليـدْ
حيّـاك باليـاقـوت ثم الدُّرِّ من تحت الزَّبَرجَدْ

(١) هذا البيت ساقط من أبيات هذه القصيدة فى ديوان البحترى .

وقال ديك الجنّ :

ومُزَرٍ بالقضيب اذا تثنّى * ومزهاةٍ على القمـر التمامِ

سـقانى ثم قبّلنى وأوما * بطرفٍ سُقْمُه يشفى سَقامِى

فبِتّ له على الندمان أسقى * مُدامًا فى مُدامٍ فى مدامِ

٥ وقال آبن المعتزّ :

تدور علينا الراحُ من كفّ شادنٍ * له لحظُ عين يشتكى السقمَ مُدنَفُ

كأنّ سـلاف الخمر من ماء خدّه * وعنقودها من شعره الجعدِ يُقطَفُ

(٥٨)

وقال أيضا :

بين أقداحهم حديثٌ قصيرٌ * هو سحرٌ وما سـواه الكلامُ

١٠ فكأنّ السُّقاةَ بين النـدامَى * ألِفـاتٌ بين السطور قيامُ

وقال أحمد بن أبى فنَن :

بكفّ مُقرطَقٍ خَنِثٍ * تطيب بطيبه الرِّيَبُ

تراهـا وهى فى كفّيـ * ـه من خدّيه تلتهبُ

وقال الصنوبرىّ :

١٥ وساقٍ اذا همّ ندماننـا * بأن يُزْجِىَ الكأسَ لم يُزْجِه

كلعبة عاجٍ على فرشـه * وليثِ عرينٍ على سَرْجِه

لطيف المنطق مهـتزّه * ثقيـل المؤزّرِ مرتجّه

سقانى بعينيه أضعافَ ما * سقانى بكفّيه من غُنْجِه

وقال آخر :

٢٠ ياساقىَ القوم إن دارت إلىّ فلا * تمزُجْ فإنى بدمعى مازجٌ كاسى

ويا فتى الحىّ إن غنّيتَ من طربٍ * فغنّ : واحَرَبا من قلبه القاسى

وقال آبن المعتزّ :

وعاقدِ زُنّارٍ على غُصُنِ الآسِ * دقيق المعانى مُخْطَف الخصر ميّاسِ
سقانى عُقارًا صَبَّ فيهَا مِزاجَها * فأضحك عن ثغر الحَباب فم الكاسِ

وقال أيضا :

قام كالغصن فى النقا * يمزُج الشمس بالقمر
وســقانى المــدام واللّيــلُ بالصبح مؤتزر *
والــثرّيا كنَوْرِ غصـــ * ـــنٍ على الغرب قد نُثِرْ

وقال البحترىّ :

وفى القهوة أشكالٌ * من الساق وألــوانُ
حَبابٌ مثلُ ما يَضحَـ * ـكُ عنه وهوجذلانُ
ويُسْكِر مثل ما يُسْكـ * ـرُ طَرْفٌ منه وَسْنانُ
وطعمُ الريق إن جاد * به والصبّ هَيمانُ
لنا من كفّه راحٌ * ومن ريّاه ريحانُ

وقال أبو القاسم الُمبيرىّ الكاتب رحمة الله تعالى عليه :

سقانا الراح ساقٍ، كلُّ راحٍ * سوى ألحاظ عينيه سرابُ
يدير الكأس مبتسما علينا * فما ندرى أثغرٌ أم حَبابُ؟
وقد سَفَر الدجى عن ثوب فجر * منير مثــل ما سفر النقابُ
فخلتُ الصبح فى أثر الثريّا * بشيرًا جاء فى يـــده كتابُ

وقال أبو الشِّيص :

يطوف علينا به أحــورٌ * يداه من الكأس مخضوبتانِ
غزالٌ تميــل بأعطافه * قنــاةٌ تعطّف كالخَيْزُرانِ

وقال أبو بكر محمد بن عمّار :

وهَوِيتــه يســقى المُدامَ كأنه * قمرٌ يطوف بكوكبٍ فى حِنْدِسِ

متأرّج الحركات تنـدَى ريحُهُ * كالغصن هزّته الصَّبا بتنفّسِ

يسعى بكأسٍ فى أنامل سَوْسَنٍ * ويُدير أخرى فى محاجر نَرْجِسِ

٥ وقال المعوّج يصف ساقية :

لاعيش إلا من كفّ سـاقيةٍ * ذاتِ دلال فى طرفها مَرَضُ

كأنما الكأسُ حين تمزُجها * نجومُ ليـلٍ تعـلو وتنخفضُ

(٥٩)

وقال آخر يصف آمرأةً ساقيةً :

وساقيةٍ كأنّ بمَفرِقيها * أكاليلًا على طبقاتِ وردِ

١٠ لها طِيبُ المنى وصفاءُ لونٍ * وحمرةُ وجنـةٍ ومَذاقُ شهدِ

وقال ديك الجنّ يصف ساقيا وساقيةً :

أفـديكما من حامِلَىْ قَـدَحَيْنِ * قمرين فى غصنين فى دِعصَينِ

رُودٌ منعّمةٌ ومهضوم الحشا * للناظريـن مُنًى وقُرّة عَينِ

قامت مؤنّثـةً وقام مؤنّثا * فتناهبا الألحاظَ بالنظرينِ

١٥ صُبّا علىّ الراحَ إنّ هلالَنا * قـد صبّ نعمته على الثقلين

وإلىّ كأسكما على ماخيّلت * بالتـبر معجونًا بماء لُجَينِ

البـاب السادس

من القسم الثالث من الفنّ الثـانى

فى الغناء والسماع، وما ورد فى ذلك من الحَظْر والإباحة، وما آسـتدلّ به من رأى ذلك، ومن سمع الغناء من الصحابة رضـوان الله عليهم أجمعين ومن التابعين ومن الأئمة والعبّـاد والزّهاد، ومن غنّى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقُوّاد والأكابر، وأخبار المغنّين الذين نقلوا الغناء من الفارسـيّة الى العربيّة، ومن أخذ عنهم، ومن آشتهر بالغناء وأخبار القيان .

ذكر ما ورد فى الغناء من الحَظْر والإباحة

قد تكلم الناس فى الغنـاء فى التحريم والإباحة وآختلفت أقوالهم وتبـاعدت مذاهبهم وتباينت آستدلالاتهم؛ فمنهم من رأى كراهته وأنكر آستماعه، وآستدلّ على تحريمه؛ ومنهم من رأى خلافَ ذلك مطلقا وأباحه وصمّم على إباحته؛ ومنهم من فرّق بين أن يكون الغناء مجرّدا أو أضيف اليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمعـازف والقصب، فأباحه على آنفراده وكرهه إذا آنضاف إلى غيره وحرّم سماع الآلات مطلقا . ولكل طائفة من أرباب هـذه المقالات أدلّة آستدلّت بها . وقد رأينا أن نثبت فى هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الآختصار وحذف النظائر المطوّلة فنقول وبالله التوفيق .

⁂

أما ما قيل فى تحريم الغناء وما آستدلّ به مَن رأى ذلك، فإنهم آستدلّوا على التحريم بالكتاب والسنّة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علمـاء

الرشيد فقبّل راسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا ولا أمنعك بعدها من شيء تُرِيدِينَه .
ولها فى طلّ هذا عدّة أشعار صنعت فيها ألحانا ، وكانت فى بعضها تصحّف آسمه وتكْنِى
عنه بغيره . وكانت أيضا تقول الشعر فى خادم لها يقال له : رَشَأ وتَكْنِى عنه بزينبَ .
فمن شعرها فيه :

وَجَدَ الفؤادُ بزينَبا * وَجْدًا شديدًا مُتْعِبَا
أصبحتُ مِن كَلَفٍ بها * أُدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبا
ولقد كَنَيْتُ عن آسمها * عمدًا لكى لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وكَتَمتُ أمرًا مُعْجِبا
قالت وقد عَزّ الوِصا * لُ ولم أجِدْ لى مَذْهَبا
واللهِ لا نِلتَ المودّةَ أو تنالَ الكوكبا

فصحّفت آسمه فى قولها : "زينبا"، وهذا من الجناس الخطىّ . قال : وكانت لأمّ
جعفر جارية يقال لها طُغيان ، فوشتْ بعليّة إلى رَشَأ وحكت عنها ما لم تقل .
فقالت عليّة :

لِطُغيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجّةً * جديدٌ فلا يَبْلَى ولا يَتَخَرَّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كلَّه (١) * على قدميها فى السماءِ معلّق
فما خَرقتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرَبًا * وأمّا سَراوِيلاتها فتُمَزَّق

ورُوِى عن أبى هَفّان قال :

أُهديت للرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال، فخلا معها يوما وأخرج كلّ قينة فى داره
وآصطبح . وكان مَنْ حضر من جواريه الغناءَ والخدمةَ فى الشراب زُهَاء ألفى جارية
فى أحسن زِىٍّ من كل نوعٍ من أنواع الثياب والجوهر . وآتّصل الخبر بأمّ جعفر

(١) رواية الأغانى (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : "فى الهواء" .

فعظم عليها ذلك؛ فأرسلت إلى عليّــة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّة : لا يهولَنّك هذا، والله لأردّنّه إليك . قد عزمتُ أن أضع شِعرًا وأصوغ فيه لحنًا وأطرَحه على جَوَارِيّ، فلا تُبْقِي عنــدكِ جارية إلّا بعثتِ بها إلىّ وألبِسيهنّ أنواعَ الثِّيابِ ليأخذن الصوت مع جوارِيّ؛ ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به . فلما جاء وقت صلاةِ العصرِ لم يشعر الرشيد إلا وعليّة وأمّ جعفر قــد خَرَجتا إليه من حُجْرتيهما معهما زُهَاء ألفى جارية من جوارِيهما وسائر جوارى القصر عليهنّ غرائب اللِّبــاس وكلهنّ فى لحن واحد هَزَجٍ صنعته عليّة وهو :

مُنْفصِـــلٌ عـــنّى وما * قلبىَ عنـــه مُنْفصِـــلْ
يا هاجرِى اليـــومَ لمن * نَوَيْتَ بعدِى أن تَصِلْ

فطَرِب الرشيد وقام على رجليه حتى آستقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قطّ . يا مسرور، لا تُبْقِينّ فى بيت المــال دِرهمًـا إلا نثَرته . فكان ما نُثِر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُمِــع بمثل ذلك اليوم .

ورُوِى عن عَريب أنها قالت : أحسنُ يوم رأيتُه فى الدنيا وأطيبُه يوم آجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدىّ عند أخته عليّة وعندها أخوهما يعقوب بن المهدىّ، وكان أحذق الناسِ بالزَّمْر . فبدأت عليّة فغنّت من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها :

تَحبَّبْ فإنّ الحبّ داعيـــةُ الحبِّ * وكم من بعيدِ الدارِ مُستوجِبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإنْ حُدِّثْتَ أنّ أخا هـوًى * نجا سالمـًا فارْجُ النجاةَ من الحبّ
إذا لم يكن فى الحبّ سُخْطٌ ولا رِضًا * فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتْب

وغنّى إبراهيم فى صنعته و زمَر عليه يعقوب :

لم يُنْسِـــنِيك سرورٌ لا ولا حَزَنُ * وكيف لا، كيف يُنْسَى وَجْهُكِ الحَسَنُ
ولا خَلَا منــكِ قلبى لا ولا جَسَــدِى * كُلِّى بكُلِّكِ مشـــغولٌ ومُرتَهَنُ

يافردَةَ الحُسْنِ مالى منكِ مذ كَلِفَتْ * نفسى بحُبّكِ إلّا الهمُّ والحَزَنُ
نُورٌ تَوَلّد من شمسٍ ومن قمرٍ (١) * حتى تكامل فيكِ الروحُ والبَدَنُ

قالت عَرِيب : فما سمعتُ مثل ما سمعتُ منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

ورُوِى عن خَشْف الواضحيّة قالت : تمَارَيْتُ أنا وعَرِيب فى غِناء عُلَيّة بحضرة (٨٩) المتوكل أو غيره من الخلفاء . فقلت أنا : هى ثلاثة وسبعون صوتا ، وقالت عَرِيب : هى آثنان وسبعون صوتا . فقال المتوكل : غنّيا غناءها ؛ فلم أزَلْ أُغَنِّى غناءها حتى مضى آثنان وسبعون صوتا ، ولم أدرِ الثالثَ والسبعين . قالت : فقُطِع بى وآستعلتْ عَرِيب وآنكسرتُ . قالت خَشْف : فلما كان الليل رأيت عُلَيّة فيما يرى النائم ، فقالت : ياخَشْف خالفتكِ عَرِيب فى غنائى . قلت : نعم يا سيّدتى . قالت : الصواب معكِ ، أفتدرين ما الصوت الذى أُنْسِيتِيه ؟ قلت : لا والله ، ولَوددتُ أنّى فَدَيْتُ ما جرى بجميع ما أملك . قالت : هو :

بُنِى الحُبُّ على الجَوْرِ فلو * أنصف المعشوقُ فيه لَسَمُجْ
ليس يُستَحسَن فى وصف الهوى * عاشقٌ يَعْرِف تأليفَ الحُجَجْ
وقليلُ الحبِّ صِرْفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

وكأنها قد آندفعت تغنّى به ، فما سمعتُ أحسن مما غنّته ، وقد زادتنى فيه أشياء فى نومى لم أكن أعرفها ، فآنتبهتُ وأنا لا أعقِل فَرَحًا به . فباكرتُ الخليفة وذكرت له القِصّة . فقالت عَرِيب : هذا شىء صَنعتِه أنتِ لِما جَرَى أمس ، وأمّا الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بما رَضِىَ به أنّ القِصّة كما حكيتُ . فقال : رؤياكِ والله أعجب ، رحِم الله عُلَيّة ! فما تركتْ ظَرْفَها حيّة ولا ميّتة . وأجازنى جائزة سَنِيّة .

(١) فى الأغانى (ج ٩ ص ٨٩ طبع بولاق) : « منه » .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده إلى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شَهِدتُ أبى جعفرًا وأنا صغير وهو يحدّث جَدّى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من خَلْوته مع هارون الرشيد، قال : يا أبتِ، أخذ بيدى أمير المؤمنين وأقبل فى حُجَرِه يخترقها حتى انتهى إلى حُجْرةٍ مُغْلَقة، ففتحها بيده ودخلها ودخلت وأغلق بابها من داخلٍ بيده، ثم صِرْنا إلى رُوَاق ففتحه، وفى صدره مجلس مُغْلَق فقعد على باب المجلس، ونَقَر الباب بيده نَقَرات فسمعنا حِسًّا، ثم أعاد النَّقْرَ ثانيةً فسمِعنا صوت عود، ثم أعاد النقر ثالثةً فغنّت جارية ما ظننتُ والله أنّ الله جلّ وعزّ خلق مثلها فى حسن الغناء وجودة الضرب . فقال [لها][1] أمير المؤمنين بعد أن غنّت أصواتا : غَنِّى صوتى؛ فغنت صوته، وهو :

وَمُخَنَّثٍ شهِد الزِّفافَ وقبلَه * غَنَّى الجَوَارِى حاسِرًا وَمُنَقَّبَا
لَبِس الدَّلاَلَ وقام ينقُر دُفَّه * نَقْرًا أقرّ به العيونَ وأطربا
إنّ النساءَ رأينه فعَشِقْنَه * فشكَوْنَ شِدّة مابِهنّ فأكذبا

قال : فطَرِبتُ واللهِ طَرَبًا هَمَمتُ معه أن أنطَح برأسى الحائط . ثم قال : غَنِّى :

* طال تكذيبى وتصديقى *

فغنّت :

طال تكذيبى وتصديقِى * لم أجِدْ عهدًا لمخلوقِ
إنّ ناسًا فى الهوى غَدَرُوا * حَسَّنُوا نقضَ المواثيقِ
لاتَرَانِى بعـــدهمْ أبدًا * أشتكى عِشْقًا لمعشوقِ

قال : فرَقَص الرشيدُ ورقصتُ معـه ؛ ثم قال : امضِ بنا ، فإنى أخشى أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا، فمَضَينا . فلمّا صِرْنا إلى الدِّهْليز قال وهو قابضٌ على يدى :

(١) زيادة عن الأغانى .

هل عرفتَ هذه المرأة؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإنّى أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أُخبرك بها ، هذه علية بنت المهدىّ . ووالله لئن لفظتَ به بين يدى أحد و بلَغنى لأقتلنّك . قال : فسمعت جَدّى يقول لأبى : فقد والله لفظتَ به، ووالله ليقتلنّك، فآصنعْ ما أنت صانع .

٥ وأخبار عُلَيّة وأغانيها كثيرة، وقد ذكرنا منها ما يُكْتَفَى به .

قال أبو الفرج : وكان مولد عليّة سنة ستين ومائة ، وتوفّيت سنة عشرة ومائتين، وقيل : سنة تسع ومائتين، ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما . وكان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمّها اليه وجعل يقبّل رأسها ووجهها مُغَطًّى، فشَرِقت من ذلك وسَعَلَتْ ثم حُمَّت بعقب هذا أيّامًا يسيرةً وماتت . رحمها الله . ١٥

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد . هو أبو عيسى أحمد ، وقيل : بل آسمه صالح بن هارون الرشيد[(١)] . وأمّه أمّ ولد بربريّة . كان من أحسنِ الناسِ وجها ومجالسة وعِشْرةً وأمْجَنِهم وأحَدِّهم نادرةً وأشدِّهم عبثًا . وكان أبو عيسى جميلَ الوجه جِدًّا، فكان إذا عزَم على الركوب جلس الناسُ له حتى يروه أكثر ممّا كانوا يجلسون للخلفاء .

١٠ وكانت عَريب المأمونية تقول : ما سَمِعتُ غِناءً أحسنَ من غِناء أبى عيسى بن الرشيد، ولا رأيتُ وجهًا أحسنَ من وجهه .

ورُوى أنّ الرشيد قال يوما لأبى عيسى وهو صبىٌّ : ليت جمالَك لعبد الله ! (يعنى المأمون) فقال له : يا أمير المؤمنين، على أنّ حظّه منك لى . فعجِب الرشيد من جوابه على صِباه وضمّه إليه وقبّله .

٢٠ (١) للرشيد عدّة أولاد منهم أبو عيسى وصالح وغيرهما . (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة) .

قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جَيِّد الصَّنْعة، وله أغانٍ منسوبةٌ إليه ومعروفةٌ به . منها :

رَقَدت عنكَ سَلْوتي * والهــوَى ليس يَرْقُدُ
وأطار السهـادُ نَــوْ * مِي فنـــومى مُشَرَّدُ
أنتَ بالحُسْنِ منك يا * حَسَنَ الوجهِ يُشْهَدُ
وفُــؤادِى بحُسْنِ وجـــهِك يَشْـــقَى ويكْمَدُ

وله غير هــذا من الأصواتِ . قال : وكان كثيرَ البَسْــطِ والمُجُونِ والعَبَث . وكان المأمون أشدّ الناس حبّا له ، وكان يُعِدّه للأمر بعــده ويذكر ذلك كثيرا . حتى لقد حُكِيَ عنه أنه قال يوما : إنه ليسهُل علىّ أمرُ الموتِ وفَقْدُ المُلْكِ، ولا يسهل شيء منهما على أحد، وذلك لمحبّتِى أن يَلِى أبو عيسى الأمرَ بعدِى لِشدّة حبِّى إياه . وكانت وفاة أبى عيسى فى سنة سبع ومائتين .

رُوِىَ عن عبد الله بن طاهر قال : حدّثنى من شَهِد المأمون ليلةً وهم يتراءون هِلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معــه وهو مُســتلقٍ على قفاه، فرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولا أُنْكِرَ عليــه ؛ كأنه يسخَط لورود الشهر، فمـا صام بعده . ونُقِل عنه أنه قال :

دهانِىَ[1] شهرُ الصــوم لا كان من شهرِ * ولا صمتُ شهرًا بعــــدَه آخر الدهرِ
فلو كان يُعْــدِينى الإمامُ بقُدْرةٍ * على الشهر لاَستَعْدَيتُ[2] جُهْدِى على الشهرِ

فناله بعقب هــذا القول صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع فى اليوم مرّات حتى مات . ولمـّا مات وَجِدَ المأمون عليه وجدا شديدا .

(١) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ٩٦ طبع بولاق) . وفى الأصل : «دهانى» .
(٢) يقال : آستعديت على فلان الأمير فأعدانى أى آستعنت به عليه فأعانى .

رُوِى عن محمد بن عبّاد المُهَلَّبىّ قال :

لمّا مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ على المأمون فخلعتُ عمامتى ونبذتها ورائى — والخلفاءُ لا تُعَزَّى فى العمائم — فقال لى : يا محمد، حالَ القَدَرُ دون الوَطَر. فقلت : يا أمير المؤمنين، كُلُّ مُصيبة أخطأتْك شَوًى[1]، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك ! .

٥ قال : فركب المأمون إلى دار أبى عيسى فحضر جِهازه وصلّى عليه ونزل فى قبره . وآمتنع من الطعام أياما حتى خِيف أن يَضُرّ ذلك به . قال : وما رأيت مصابا حزينا قطُّ أجمل أثرًا فى مُصيبته ولا أحرق وجدًا منه ، صامتٌ ودموعُه تهمِى على خَدّيه من غير كلح[2] ولا آستنثار .

ورُوِى عن أحمد بن أبى دُوَاد قال : دخلتُ على المأمون وقد تُوُفِّى أخوه أبو عيسى ١٠ وهو يبكى و يمسَح عينيه بمِنْديل، فقعدتُ الى جنب عمرو بن مَسْعَدة وتمثّلت قولَ الشاعر :

نقصٌ من الدُّنيا وأسبابها * نقصُ المنايا من بنى هاشم

فلم يزل على تلك الحال يبكى ثم يمسَح عينيه، وتمثّل :

سأَبكيك ما فاضتْ دُمُوعِى فإنْ تَغِضْ * فحَسْبُكَ مِنِّى ما تُجِنّ الجَــوَانِحُ[3]

١٥ كأنْ لم يَمُتْ حَىٌّ سِــواكَ ولم تَقُمْ * على أحَــدٍ إلا علَيــكَ النــوائحُ

ثم آلتفت إلىّ وقال : هِيه يا أحمد ! فتمثّلتُ بقول عَبْدَةَ بن الطبيب :

عليكَ سلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ما شاء أن يترحَّمَا

تَحِيّةَ من أوليتَه منــك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما

---

(١) شوى : هينــة . يقال : كل شىء شوى ما سـلم لك دينك ، أى هين . (٢) كذا ٢٠ فى الأصــل والأغانى . والذى فى معاجم اللغة : كلح (وزان منع) كلوحا وكلاحا (بضمهما) : تكشر فى عبوس . (٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «الجوارح» .

فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ * ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهـدّما

فبكى ساعة ، ثم ٱلتفت إلى عمـرو بن مَسْعَدة فقال : هِيه يا عمرو ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين :

بَكَوا حُذَيْفةَ لم تُبَكُّوا مثلَه * حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

قال : فإذا عَرِيب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا ؛ فقالت : اجعلوا لنـا معكم ٥
فى القول نصيبا . فقال المأمون : قولى ، فرُبَّ صوابٍ منك كثير . فقالت :

كذا فلْيجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ * فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

كأنّ بنى العبّـاس يومَ وفاتِه * نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ[(١)]

فبكى وبكينا . ثم قال لهـا المأمون : نُوحى ، فناحت وردّ عليها الجوارى . فبكى
المأمون حتى قلت : قد فاضت نفسه وبكينا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكتْ . فقال المأمون : ١٠
ٱصنعى فيه لحنًا على مذهب النَّوْح وغنّى به ؛ ففعلت وغنّته إياه على العود . فوالذى
لا يُحْلَف بأعظمَ منه لقد بكينا عليه غِناءً أكثرَ مما بكينا عليه نَوْحا .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى . قال أبو الفـرج : كان له فى الغناء
صنعة حسنة ، وله أصوات مذكورة ، منها قوله :

تقاضاكَ دهرُكَ ماأسلفا * وكدّر عيشَك بعد الصَّفا ١٥

فلا تَجْـزَعنّ فإن الزمان * رهـينٌ بتشتيتِ ما ألّفا

ولمـا رآك قليلَ الهمومِ * كثيرَ الهوى ناعمًا مُتْرَفا

ألحّ عليــك بروْعاته * وأقبل يرميك مُستهدِفا

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى يرثى بها محمدا وقحطبة وأبا نصر بنى حميد الطوسى . وقد غيرت فيهما عريب « بنى نبهان » بـ « بنى العباس » . ٢٠

قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له «قَلَم» ، فعلّمه الضربَ فحذِق فيه ؛ فآشترته منه أمّ جعفر بثلاثمائة ألف درهم .

ورُوِى عن سليمان بن داود كاتب أمّ جعفر قال :

كنت جالسا مع عبد الله بن موسى الهادى، فمرّ به خادم لصالح بن الرشيد؛ فقال له : ما آسمك ؟ قال : آسمى لاتَسَلْ . فأعجبه حسنُه وحسن منطقه، فقال لى : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر، فقمت معه . فأنشدنى فى ذلك اليوم :

وشادِنٍ مَرّ بنا * يجرَح باللّحظ المُقَلْ
مظلومُ خَصْرٍ ظالمٌ * منه إذا يمشى الكَفَل
اِعتدلت قامتُه * والطرف منه ماعَدَل
بدرٌ تراه أبدًا * طالعَ سعد ما أفَل
سألتُه عن آسمه * فقال : إسمى لاتَسَلْ
وطلعتْ فى وَجْنَتَيـ * ـه وردتان من خَجَل
فقلت ما أخطأ الذى * سمّاك بل قال المَثَل
لا تسألنْ عن شادنٍ * فاق جمالا وكَمَل

وقال فيه :

عزّ الذى تهوَى وذَلّْ * صبّ الفؤاد مُختبَلْ
جدّ به الهجرُ وذا الـ * ـهجرُ اذا جَدّ قتل
من شادن مُمَنْطَق * فاق جمالا وكَمَل
تناصف الحسنُ به * فلا تَسَلْ عن لاتَسَلْ

وعن أحمد بن المكىّ قال : دعانى عبـد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوِّم غلامًا ضاربا مغنّيا قيمةَ عَدْل لا حَيْفَ فيها على البـائع ولا على المشـترى ؟ فقلت نعم . فأخرج إلىّ ٱبنه القاسم ، وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليـلة البدر ، فأخذ عودا يضرب به ؛ فأ كببت على يديه أُقَبِّلهما فقال لى عبد الله : أتقبِّل يد غلام مملوك ! فقلت : بأبى وأمى هو مِنْ مملوكٍ ! وقبّلت رجله أيضا . فقال : أمّا إذ عرفتَه فأحِبُّ أن تُضاربه ، ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتى فى الضرب عليه ٱغتمّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ،أنا متلذِّذ وهذا متكسِّب . فضحكت وقلت : هو كذلك يا سيِّدى . وعجبت من حدّة جوابه معتـذرًا على صغر سنه .

قال عبد الله بن حبيب :

كان عبـد الله بن موسى الهادى مُعَرْبِدا ، وكان قد أعضل[1] المأمون مما يُعربد عليه إذا شرب معـه ؛ فأمر به أن يُحْبَس فى منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرسا ؛ ثم تَذَمَّم من ذلك فأظهر له الرضا وصرَف الحرسَ عن بابه . ثم نادمه فعربد عليه أيضا وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغْرَما بالصيد ؛ فأمر المأمون خادما من خواصّ خدمه يقال له حسن[2] فسـمّه فى دُرّاج ؛ فلمـا أكله أحسّ بالسمّ ، فركب فى الليـل وقال لأصحابه : هو آخر ما ترونى ، ومات بعد أيام . وأكل معه خادمان ، فمات أحدهما لوقته ، وضَنِىَ الآخر ثم مات بعد مدّة .

ومنهم عبد الله بن محمد الأمين . قال أبو الفرج الأصفهانىّ :

كان عبـد الله بن محمد الأمين ظريفا غَزِلا يقـول شعرًا ليِّنا ويصنعه صنعةً صالحة . وكان بينه وبين أبى نَهْشَل بن حُمَيْد مودّة ؛ فاعترض عبد الله جاريةً مغنِّية

(١) كذا فى الأغانى . وأعضل : أعيا . وفى الأصل : « أحفظ » .
(٢) فى الأغانى : « حسين » .

لبعض نساء بنى هاشم وأعطى بها مالا عظيما . وعَرَفَتْ مولاتها منه رغبةً فيها فزادت عليه فى السَّوْم فتركها ، فاشتراها أخ لأبى نهشل ، فتبعتْها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزولَ عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبى نهشل :

يا بنَ حُمَيْــدٍ يا أبا نَهْشَلٍ * مفتاح باب الحَدَث المُقْفَلِ
يا أكرمَ النـاسِ ودادًا وأر * عاهم لحــقٍّ ضائع مُهْمَلِ
أحسنتَ فى ودِّى وأجملتَ بل * جُزْتَ فعالَ المحسن المُجْمِلِ
بيتُـك فى ذى يَمَنٍ شـامخٌ * تَقْصُر عنــه قُنَّـا يَذْبُلِ
خَلَفتَ فينا حاتمًا ذا النَّدَى * وجُدْتَ جودَ العارض المُسْبِلِ
أىّ أخ أنت لذى وَحْـدةٍ * تركته بالعـزِّ فى جَحْفَـلِ
نجومُ حظِّى منك مسعودةٌ * فيما أُرَجِّى ليس بالأُفَّـلِ
فصَـدِّقِ الظنّ بمـا قلتُـه * وسَهِّلِ الأمرَ به يَسْهُلِ
لا تَحْــرِمَنِّى ولديك المُنَى * بالله صيدَ الرَّشَأ الأكحـلِ
رُميتُ منه بسهام الهــوَى * وما دَرَى ما الرَّمْىُ فى مَقْتَلى
أدنيتَنى بالوعد فى صيده * إدناءَ(١) عَطْشانٍ من المَنْهَلِ
ثم تناسيتَ وأسلمتَــنى * إلى مِطَالٍ مُوحِشِ المـنزِلِ
تركتَنى فى لُجَّـة عائمـا * لا أعرِف المُدْبِرَ من مُقْبِلِ
صَرِّحْ بأمرٍ واضحٍ بيِّنٍ(٢) * لاخيرَ فى ذى لَبْسٍ مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعةٌ منها قوله :

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «اذ أنا» .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « بيننا » .

أَلَا يادِيَرَ حنظلةَ المُفَـدَّى * لقـد أورثتَنى سُـقمًا وَكدًّا
أزفّ من الفُرات اليك زِقًّا[(١)] * وأجعل حوله الوردَ المُندّى

ومنهم أبو عيسى بن المتوكل . قال عبد الله بن المعتز :

جُمِع لأبى عيسى بن المتوكل صنعةٌ مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت ، منهـا الجيّد الصنعة ومنها المتوسّط . وقال النُّميرىّ : سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممت صنعة ثلثمائة وستين صوتا عدد أيام السنة تركت الصنعة. فلما أتمها ترك الصنعة . فمنها قوله فى شعر علىّ بن الجَهْم :

هى النفسُ ما حَمَّلتَها تتحمّــلُ * ولِلدهرِ أيّامٌ تجــور وتَعـدِلُ
وعاقبــةُ الصـبر الجميـل جميلةٌ * وأفضلُ أخلاقِ الرجال التجمُّلُ

قال أبو الفرج الأصـفهانى : وهو لَعَمْرى من جيِّـد الغناء وفاخر الصنعة ، ولو لم يصنع غيره لكفى[(٢)] .

ومنهم عبد الله بن المعتز . هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسىّ . قد وصفه أبو الفرج الأصـفهانى فقال : وأمره مع قُرب عهـده بعصرنا مشهورٌ فى فضائله وأدبه شهرةً يشترك فى أكثرها الخاصّ والعامّ ، وشعره وإن كان فيه رقّة الملوكية وغَزَل الظرفاء وهلهلة المُحْـدَثين ، فإنّ فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسـلوب المجيدين ، ولا تقصُر عن مدى السابقين وأشياء ظريفة من أشعار الملوك فى جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبّه فيهـا بفحول الجاهلية . وأطنب فى وصفه وتقريظه، وهو فوق ما قال . ثم قال :

---

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : «تحته» . ورواية الأغانى (ج ٩ ص ١٠٢) :
أزف من العقار اليك دنا * وأجعل تحته الورق المندّى

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «وما لو لم يصنع» .

وكان عبـد الله حسَن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النَّغَم وعِلَلها ؛ وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله آبن عبد الله بن طاهر وبين بنى حمدون وغيرهم تدلّ على فضله وغزارة أدبه. وذكر منها شيئا ليس هذا موضع إيراده. ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره :

٥ هل تَرْجعنّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا * والدارُ جامعـةٌ أزمان أزمانا

قال أبو الفرَج : ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها :

وا بَلَائى مِنْ مَحْضَرٍ ومَغيبِ * وحبيبٍ منّى بعيـدٍ قـريبِ
لم تَرِدْ ماءَ وجهـه العينُ إلّا * شَرِقتْ قبـل رِيِّهـا برقيب

قال : ومن صَنْعته التى تَظَارف فيها ومَلُح :

١٠ زاحـمَ كُمِّى كُمَّـه فآلتَوَيَا * وافقَ قلبى قلبَه فآسـتوَيَا
وطالمـا ذاقا الهوى فآكتَوَيَا * يا قرّةَ العين ويا همّى وَيَا

وحُكِى عن جعفر بن قُدَامة قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبّه، فغضب الغلام عليه، فجَهَد أن يترضّاه، فلم يكن له فيه حيلة . ودخلت عليه فأنشدنى فيه :

بأبى أنتَ قـد تَمـا * دَيتَ فى الهجر والغضَبْ
١٥ وآصطبارى على صدو * دِكَ يومًا من العَجَبْ
ليس لى إن فَقَدتُ وجـ * ـهَك فى العيش من أرَبْ
رحِم الله مَنْ أعا * نَ على الصُّلح وآحتسبْ

قال : فمضيت إلى الغـلام ، فلم أزل أداريه وأرفُق به حتى ترضّيته له وجئته به؛ فمرّ لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذكر مَن غنّى من الأشراف والعلماء رحمهم الله

كان ممن غنّى من الأشراف والعلماء على ما نُقل إلينا من أخبارهم :

عبـد العزيز بن المطلب [(١)] . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسىّ رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مَسْلَمة قال حدّثنى أبى قال : أتيتُ عبد العزيز بن المطلب أساله عن بيعة الجنّ للنبىّ صلى الله عليـه وسلم بمسجد الأحزاب ما كان بدؤها ، فوجدته مستلقيًا وهو يغنّى :

فمـا روضةٌ بالحَـزْنِ طيّبةُ الثَّرَى * يَمُجّ النّـدَى جَثْجَاثُهَـا وعَرارُها [(٢)]

بأطيبَ من أردانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا * وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

من الخفِراتِ البِيضِ لم تلقَ شِقْوةً * وبالحَسَبِ المكنونِ صافٍ نِجارُها

فإن برزتْ كانت لعينيــك قُرّةً [(٣)] * وإن غِبتَ عنها لم يَغُمَّك عارُها

فقلت له : تغنّى أصلحك الله وأنت فى جَلَالتك وشَرفك ! أمَا والله لأحدُوَنّ بهـا رُكبانَ نجد . قال : فوالله ما أكترثُ وعاد يتغنّى :

فما ظبيةٌ أدماءُ خفّاقةُ الحشى * تجوب بظِلْفيها بطونَ الخمائلِ

بأحسن منها إذ تقول تدلُّلًا * وأدمُعُها يُذرينَ حَشْوَ المكاحلِ

تَمَتَّعْ بذا اليوم القصـيرِ فإنه * رهينٌ بأيّام الشهور الأطاولِ

---

(١) فى الأصل «عبد العزيز بن عبد المطلب» والتصويب عن كتب التراجم والأغانى (ج ١٥ ص ٦٨ طبع بولاق) . وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ولى قضاء المدينة لعهد المنصور ثم المهدى وولى قضاء مكة .

(٢) الجثجاث : شجر له زهر أصفر طيب الرائحة . والعرار : النرجس البرى .

(٣) رواية الأغانى (ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق) :

فإن خفيت كانت لعينيك قرة * وإن تبـد يوما لم يعمك عارها

قال : فندمت على قولى له، فقلت : أصلحك الله، أتحدّثنى فى هذا بشىء! فقال: نعم، حدّثنى أبى قال : دخلتُ على سالم بن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهم — وأشعب يغنّيه :

مُعقربةٌ كالبدر سُـنّةُ[1] وَجْهها * مُطَهَّرةُ الأثواب والعِرْضُ وافرُ

٥ لها نَسَبٌ زاكٍ وعِرْضٌ مُهذَّبٌ * وعن كل مكروهٍ من الأمر زاجرُ

مِنَ الخَفِرات البِيض لم تلقَ ريبةً * ولم يَستمِلْها عن تُقَى اللهِ شاعرُ

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى . فقال :

ألمّتْ بنا والليـلُ داجٍ كأنه * جَناحُ غُرابٍ عنه قد نَفَض القَطْرا

فقلتُ أعطّـارٌ ثَوَى فى رِحالنـا * وما احتملتْ ليلى سوى رِيحها عِطْرا

١٠ فقال سالم : أمَا والله لولا أن تَدَاوله الرُّواةُ لأجزلتُ جائزتَك، فلك من هـذا الأمر مكانٌ .

ومنهم ابراهيم بن سعد[2] . هو أبو إسحـاق إبراهيم بن سـعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرىّ . كان من العلماء الثّقات المحدّثين . سمع أباه وابنَ شِهاب الزهرىّ وهشام بن عُرْوة وصالح بن كَيْسان ومحمـد بن إسحـاق بن ١٥ يسـار . روى عنه يزيد بن عبد الله بن الهـاد وشعبة بن الحجاج والليث بن سعد، وابناه يعقوب وسعد[1] ابنا إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدىّ ويزيد بن هارون ويونس المؤدّب وأبو داود الطيالسىّ وسليمان بن داود الهاشمى وعبد العزيز الآدمىّ وعلىّ بن الجعـد ومحمد بن جعفر الوَرَكانىّ وأحمد بن حنبل وغيرهم . كان يُبيح السماع

(١) فى الأصل : « يشبه وجهها » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وسنة الوجه : صورته .

٢٠ (٢) فى الأصول : « سعيد » . والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .

ويضرب بالعود ويغنّى عليه . وله فى ذلك قصّة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسيّ بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عُفَير قال :

قدِم إبراهيم بن سعد الزهريّ العراق سنة أربع وثمانين ومائة، فأكرمه الرشيد وأظهر بِرّه . وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله ؛ فأتاه بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهريّ، فسمعه يتغنّى، فقال: لقد كنتُ حريصًا على أن أسمع منك، فأمّا الآن فلا سمعتُ منك حديثا أبدا . قال : إذًا لا أفقد إلّا شخصك . علىّ وعلىّ ألّا أُحدِّث ببغداد ما أقمتُ حديثًا واحدًا حتى أغنّى قبله . وشاعت هذه الحكاية ببغداد، فبلغت الرشيد، فدعا به فسأله عن حديث المخزوميّة التى قطعها النبيّ صلى الله عليه وسلم فى سرقة الحلىّ؛ فدعا بعود. فقال الرشيد : أعود المِجْمَر؟ قال: لا ولكن عود الطَّرَب، فتبسّم . ففهمها إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين حديث السّفيه الذى آذانى بالأمس وألجأنى إلى أن حلفتُ . قال نعم . فدعا له الرشيد بعود فأخذه وغنّى :

يا أمّ طلحةَ إنّ البينَ قد أَفِدَا * قُلّ الثَّوَاءُ لِأن كان الرحيلُ غدا

فقال له الرشيد : من كان من فقهائكم يُنكر السماع ؟ قال : مَنْ رَبَط الله على قلبه . قال : فهل بلغك عن مالك فى هذا شىء؟ فقال: لا والله، إلا أن أبى أخبرنى أنهم آجتمعوا فى مَدْعاة كانت فى بنى يربوع وهم يومئذ جِلّة[1]، ومالكٌ أقلّهم فى فقه وقَدْر، ومعهم دفوف ومَعَازف وعِيدان يغنُّون ويلعبون . ومع مالك دُفّ مربّع وهو يغنيهم :

سُلَيْمَى أزمعتْ بَيْنَا * وأينَ لقاؤها أينا
وقد قالت لأتْرابٍ * لها زُهْرٍ تَلاقَيْنَا
تَعالَيْنَ فقد طاب * لنا العيشُ تَعالَيْنَا

(١) الجلة : العظام والسادة .

فضحك الرشيد ووصله بمـال عظيم ومات إبراهيم فى هذه السنة وهو ٱبن خمس وسبعين سنة . قال : وكان ابراهيم بن سعد يبالِـغ فيه إلى هذا الحدّ. وقد أجمعت الأئمة على ثقتــه وعدالته والرواية عنه . وٱتّفق البخارىّ ومسـلم على إخراج حديثه فى الصحيح . ولم تسـقط عدالته بفعله عنـد أهل العلم ، بل قُلِّد قضاءَ بغداد على جلالتها ، وقُلِّد أبوه القضاءَ بالمدينة على شرفها .

وروى أبو الفرج الأصفهانى بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

شَهِدتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقدسأله عمن بالمدينة يُنكر الغناء، فقال: مَنْ قَنَّعه الله خِزْيَه : مالك بن أنس؛ ثم حلف أنه سمع مالكا يغنّى :

سليمى أزمعت بينا * فأين لقـاؤها أينـا

فى عُرْس لرجل من أهل المدينة يُكْنَى أبا حَنْظَلة .

وروى أيضا بسنده إلى الحسين بن دَحْمان الأشقر قال :

كنت بالمدينة، فخلا لى الطريق فى نصف النهار، فجعلت أتغنّى :

مابالُ أهلكِ يا رَبَابُ * خُزْرًا كأنهـمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخةٌ قـد فُتحت وإذا وجهٌ قد بدا تتبعـه لحيـةٌ حمراء ، فقـال : يا فاسق ! أسأتَ التأديةَ ، ومنعتَ القائلة، وأذعتَ الفاحشـة ؛ ثم ٱندفع يغنّيه؛ فظننتُ أنّ طُوَيسا قد نُشر يغنّيه، فقلتُ : أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأتُ وأنا غلام أتبع المغنّـين وآخذ عنهـم؛ فقالت لى أُمّى : يا بنىّ، إن المغنّى إذا كان قبيح الوجه لم يُلتفَت إلى غنائه ، فدع الغناء وٱطلب الفقه فإنه لا يَضُرّ معه قبح الوجه . فتركتُ المغنّـين وٱتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بى ما ترى . فقلت : فأعِدْ جُعِلتُ فداءك . فقال : لا ولا كرامة ! أتريد أن تقول أخذتُه عن مالك بن أنس! وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنهم محمد بن إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.
كان عالما بالفقه والغناء جميعا. وكان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه،
ووصفه أحمد بن يوسف بالغناء. فقال المأمون: ما أعجبَ ما آجتمع فيه العلم بالعلم
والغناء!.

ذكر مَنْ غنّى من الأعيان والأكابر والقوّاد ممن نُسِبت له صَنعةٌ فى الغناء

منهم أبو دُلَف العِجْلىّ. هو أبو دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد
بنى عِجْل بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل. كان محلّه من الشجاعة وبُعد
الهمة وعلوّ المحلّ عند الخلفاء وعظم الغَنَاء فى المشاهد وحُسْن الأدب وجَوْدة الشعر
محلا كبيرا ليس لكثير من أمثاله.

قال أبو الفرج الأصبهانىّ: وله صنعة حَسَنة. فمن جيّد صنعته قوله —
والشعر له أيضا —:

بنفسى يا جِنَانُ وأنتِ منّى * مكانَ الرُّوح من جَسَد الجبَانِ
ولو أنى أقول مكانَ نفسى * خَشِيتُ عليك بادرةَ الزمانِ
لإقدامى إذا ما الخيل حامت * وهاب كُماتُها حَرَّ الطِّعانِ

قال: وكان أحمد بن أبى دُواد يُنكر أمر الغِناء إنكارًا شديدًا؛ فأعلمه المعتصمُ
أن أبا دُلَف صديقَه يغنّى. فقال: ما أُراه مع عقله يفعل ذلك! فستر المعتصم
أحمد بن أبى دواد فى موضع وأحضر أبا دُلَف وأمره أن يغنّى ففعل ذلك وأطال،
ثم أخرج أحمد بن أبى دواد عليه؛ فخرج والكراهة ظاهرة فى وجهه. فلما رآه أحمد

قال: سَوْءَةً لهذا مِن فعل ! أبعد [هذه](١) السنّ وهذا المحلّ تصنع بنفسك ما أرى(٢) ! فخجِل أبو دلف وتشوّر(٣) وقال : إنهم لَيُكْرِهونى على ذلك . فقال : هبهم أكرهوك على الغناء أهم أكرهوك على الإحسان فيه والإصابة ! .

قال: وكان أبو دلف يُنادم الواثق . فوُصِف للمعتصم فأحبّ أن يسمَعه، وسأل الواثق عنه فقال له : يا أميرالمؤمنين، أنا على نيّة القَصْد غدًا وهو عندى . وقُصِد الواثق فأتاه أبودُلَف وأتته رسل الخليفة بالهدايا ؛ فأعلمهم الواثق حصولَ أبى دُلَف عنده . فلم يلبث أن أقبــل الخدم يقولون : قد جاء الخليفــة . فقام الواثق وكلّ مَن كان عنده حتى تلقَّوه ؛ وجاء حتى جلس، وأمر بندماء الواثق فرُدّوا إلى مجالسهم . وأقبل الواثق على أبى دُلَف فقال : يا قاسم، غَنّ أمير المؤمنــين . فقــال : صوتًا بعينــه أو ما آخترتُ ؟ قال: بل من صَنْعتك فى شعر جرير . فغنّى :

بانَ الخَليطُ برامَتَينِ فودّعوا * أوَكلّما آعتزموا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كيف العزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبتمُ * قلبًا يَقِرّ ولا شرابًا يَنْقَع

فقال المعتصم : أحسن أحسن — ثلاثا — وشرب رطلًا . ولم يزل يستعيده حتى شرب تسعة أرطال . ثم دعا بحمار فركبه، وأمر أبا دُلَف أن ينصرف معه ؛ فخرج معه فثُبِّتَ فى ندمائه، وأمر له بعشرين ألف دينار .

قال : وكان أبو دُلف جوادا ممدَّحا . وفيــه يقول علىّ بن جَبَلة من قصيدة يقول فيها :

ذادَ وِرْدَ الغَىّ عن صَــدَرِهْ * وآرعوَى واللّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمِى أنّ الشــبابَ مضى * لم أُبَلِّغْـــه مدى أَشَرِهْ

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٧ ص ١٥٥ طبع بولاق) . (٢) فى الأغانى : « تضع نفسك كما أرى » . (٣) يقال : شوّرت الرجل وبالرجل فتشوّر ، اذا خجلته فخجل .

حَسَرتْ عنّى بشاشـــتُه * وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِهْ
ودَمٍ أهـــدرتُ من رَشَأ * لم يُرِدْ عَقْـــلًا على هَدَرِهْ

جاء منها :

دَعْ جَـدَا قَحْطانَ أو مُضَرٍ * فى يَمَـانِيه وفى مُضَـــرِهْ
وآمتَـدِحْ من وائلٍ رجلًا * عَصَرُ(١) الآفاقِ مِن عَصَرِهْ

ومنهـا :

المنـــايا فى مَقَانبِـــه * والعطايا فى ذَرَا حُجَـــرِهْ
مَلِكٌ تنـــدَى أنامـــلُه * كانبلاج النَّوْءِ عن مَطَـــرِهْ
مُستهِلٌّ عن مواهبِـــه * كآبتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ

ومنهـا :

إنمـا الدنيـا أبو دُلَفٍ * بين باديه ومُحتَضَرِهْ
فإذا ولّى أبـــو دُلَفٍ * وَلَّتِ الدنيـا على أَثَرِهْ
كلُّ مَنْ فى الأرض من عَرَبٍ * بين بادِيهِ إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منـــه مكرمةً * يكتسيهـا يـــوم مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على علىّ بن جبلة حتى سلّ لسانَه من قفاه.

وقوله فيه :

أنت الذى تُـنْزِل الأيامَ منزِلَهـا * وتنقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مَدَدتَ مدَى طَرْفٍ إلى أحَدٍ * إلّا قضيـــتَ بأرزاقٍ وآجالِ
تَزُورُّ سُخْطًا فتُضحِى البِيضُ ضاحكةً * وتَستهِلُّ فتبكى أعيُنُ المـالِ

وكان سبب مدح علىّ بن جبلة أبا دُلَف بقوله :

* إنمـا الدنيا أبو دلف *

(١) العصر : الحمى والملجأ .

ما رواه أبو الفرج الأصفهانى بسنده عن علىّ بن جبلة قال : زرتُ أبا دُلف بالجبل، فكان يُظهر من برّى وإكرامى والتحفّى بى أمرًا عظيما مُفرطا حتى تأخرت عنه حياء. فبعث إلىّ مَعْقِلا وقال : يقول لك الأمير : قد آنقطعتَ عنّى، وأظنّك قد آستقللتَ برّى، فلا يُغضبنك ذلك فإنى سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعنى إلا الإفراط فى البرّ، وكتبت إليه :

٥

هجرتُكَ لم أهْجُرْكَ من كفرِ نعمةٍ * وهل يُرْتَجَى نيلُ الزيادة بالكفرِ
ولكننى لمّا أتيتُك زائرًا * فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر
فَمِ الآن لا آتيكَ إلّا مسلِّمًا * أزورك فى الشهرين يومًا وفى الشهر
فإن زدتنى برًّا تزايَدتُ جفوةً * ولم تلقَنى طولَ الحياة إلى الحشر

١٠ فلما قرأها مَعْقِل آستحسنها وقال : أحسنت والله ! أَمَا إن الأمير يُعجبه هذا من المعانى . فلما أوصلها إلى أبى دُلَف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأرقّ معانيه! وأجابنى لوقته — وكان حسن البديهة حاضر الجواب — :

ألَا ربّ طيفٍ طارقٍ قد بسطتُه * وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتانى يُرَجِّينى فما حال دونه * ودونَ القِرَى والعُرْف من نائلى سترى
١٥ وجدتُ له فضلًا علىّ بقصده * إلىّ وبرًّا زاد فيه على برّى
فزوّدته مالا يدوم بقاؤه * وزوّدنى مدحًا يدوم على الدهر

قال : وبعث بالأبيات وصيفا وبعث إلىّ معه بألف دينار . فقلت حينئذ :

* إنما الدنيا أبو دلف *

الأبيات .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : كنا عند أبى العبّاس
٢٠ المبرّد يوما وعنده فتى من ولد أبى البَخْتَرِىّ وهب بن وهب، أمرد حسن الوجه،

وفتًى من ولد أبى دُلَف العِجْلىّ شبيه به فى الجمال . فقال المبرّد لابن أبى البَخْتَرِىّ : أعرف لجَدّك قصّة ظريفة من الكرم حَسَنة لم يُسْبَق إليها . قال : وما هى؟ قال : دُعِىَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقَوْه نبيذا غير الذى يشربون منه؛ فقال فيهم :

نَبيذانِ فى مجلسٍ واحدٍ * لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ

فلو كان فعلُك ذا فى الطعام * لزمتَ قياسَك فى المسكرِ

ولو كنتَ تفعل فعلَ الكرام * صنعتَ صنيعَ أبى البَخْتَرِى

تتبّع إخوانَه فى البلاد * فأغنَى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

فبلغت الأبيات أبا البخترىّ فبعث إليه ثلثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت وقد فعل جَدّ هذا الفتى فى هذا المعنى ما هو أحسن من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أنّ رجلا افتقر من ثروة، فقالت له امرأته، افترِضْ فى الجند ، فقال :

إليكِ عنّى فقد كلّفتِنى شَطَطًا * حملَ السلاح وقولَ الدّارعين قِفِ

تمشى المنايا إلى قومٍ فأكرهها * فكيف أمشى إليها عارىَ الكتِفِ

حَسِبتِ أنّ نفادَ المال غيّرنى * أو أنّ رُوحِىَ فى جنبَىْ أبى دُلَفِ

فأحضره أبو دلف وقال : كم أمّلتِ امرأتك أن يكون رزقك؟ قال : مائة دينار، قال : كم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك على ما أمّلت وأمّلتِ امرأتك فى مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه . قال : فرأيت وجه ابن أبى دُلَف يتهلّل وانكسر ابن أبى البخترىّ . وهذه الأبيات رُويت لابن أبى فنن .

ومنهم أخوه مَعْقِل بن عيسى . كان فارسا شاعرا جوادا مغنّيا فهِمًا بالنَّغَم والوَتَر، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبى دُلَف . وهو القائل لمخارق — وقد كان زار أبا دلف بالجبل ثم رجع الى العراق، وله فى ذلك غناء — :

لعمرى لئن قَرَّتْ بقُربك أعيُنٌ * لقد سَخِنت بالبُعد عنك عيونُ

٥ فسِرْ أو أقِمْ، وقفٌ عليك مودّتى * مكانُك من قلبى عليك مصونُ

فما أوحشَ الدنيا إذا كنتَ نازحًا * وما أحسنَ الدنيا بحيث تكونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وآبنه عبيد الله . فأمّا عبد الله فكان محلُّه من علو المنزلة وعظم القدر والتمكّن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور فى أخبارهم . وتقلّد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما يلى ذلك، ثم نُقل إلى

١٠ خُراسان. وله عطايا وهِبات وصِلَات لا يُنكرها أحد . ومحلّه من الشجاعة والإقدام معروف . وكان يعتنى بالغناء و يصنعه ، إلا أنه كان يترفّع عن ذكره والاعتراف به ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التى غَنّى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة . وكان آبنه عُبَيد الله إذا ذكر شيئا منها من صَنْعته قال : الغناء للدار الكبيرة، و إذا ذكر

١٥ شيئا من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة . فمن الأصوات التى صنع فيها عبد الله بن طاهر قوله :

هَلّا سَقَيتم بنى حزم أسيرَكُمُ[1] * نفسى فداؤك من ذى غُلّةٍ صادى

الطاعنِ الطَّعْنةَ النجلاءَ يتبعُها * مُضَرَّجٌ بعد ما جادت بإزباد

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [بين][2] لين وشدّة على رسم

٢٠ (١) فى الأغانى (ج ١١ ص ١٤ طبع بولاق) : «بنى سهم» ثم قال : «وهم بطن من هذيل» . وذكر فى موضع آخر بلفظ «بنى جرم» . (٢) الزيادة عن الأغانى .

الحذّاق القدماء . قال عبيد الله — وذكر صوتا من أصواته — : لمّا صنع أبى هذا الصوت لم يحبّ أن يُسْمَع عنه شيء من الغناء ولا ينسب إليه ؛ لأنه كان يترفّع[1] عن ذلك ، وما جسّ بيده وترًا قطّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّرْبة وحُسْن الثقافة ما لا يعرفه كثير . قال : وبلغ من علم ذلك إلى أن صنَع فى أبيات أصواتا كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذنها عنه وغنّين بها وسمعها الناس منهنّ ٥ [وممن أخذ عنهنّ . فلما أن صنَع هذا الصوت :

هـلّا سقيتُم بنى سهمٍ أســيركُمُ * نفسى فداؤك من ذى غُلّةٍ صادى][2]

نسبه إلى مالك بن أبى السمح . وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لهـا راحة،[3] وكانت ترغَب إلى عبد الله لمّـا ندَبه المأمون إلى مصر، وكانت تغنّيه؛ وأخذت هـذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنون عنهـا، ورُوِى لمـالك بن ١٠ أبى السمح مدّة . ثم قدِم عبـد الله العراق، فحضر مجلسَ المأمون وغُنِّى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك؛ فضحك عبد الله ضحكا كثيرا؛ فسُئِل عن القصة فصدّق فيهـا[4] واعترف بصنعة الصوت . وكشَف المأمون عن القصة؛ فلم يزل كلُّ من سُئل عنه يُخبرعمن أخذه[5]، فينتهى بالقصة إلى راحة ويقف فلا يعدوها . فأُحضِرت راحة وسُئِلت فأخبرت بقصته؛ فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته ١٥ أنه لمـالك . ويقال : إنه لم يعجَب من شيء عَجَبَــه من حِذْق عبـد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأمّا عُبَيد الله ، ويكنى أبا أحمـد . قال أبو الفرج الأصبهـانى : له محلٌّ من الأدب والتصرُّف فى فنونه وروايةِ الشـعر وقولِه والعلم باللغـة وأيام النـاس

٢٠ (١) كذا فى الأغانى : وفى الأصل . «يرتفع» . (٢) التكملة عن الأغانى .
(٣) فى الاغانى : «داحة» . (٤) كذا بالأغانى . وفى الأصل : «عنها» .
(٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « من سئل عنه عن أخذه » .

وعلوم الأوائل من الفلاسفة(١) فى الموسيقى والهندسة وغير ذلك [مما](٢) يجلّ عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعةٌ فى الغناء حسنة مُتقنة عجيبة [تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصّله(٣)] إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النَّغَم كلها فى صوت واحد تتّبعه هو(٤) وأتى به على ما فصّله فيها وطلبه منها .

٥ وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناء ويحضُره أكابر المغنّين فيعدِل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صَنْعة، ويترفّع عن إظهار نفسه بذلك فيومئ إلى أنه من صنعة جاريته ساجى(٥) . وسنذكر ساجى(٥) إن شاء الله تعالى فى أخبار القِيان، وكانت تخريجَ عبيد الله وتأديبه .

قال : ولمّا ٱختلّت حال عُبَيد الله كان المعتضد بالله يتفقّده بالصِّلات . ومن ١٠ أصوات عبيد الله التى جمع فيها النَّغَم العشر قوله فى شعر إبراهيم بن علىّ بن هَرْمة :

وإنك إذ أطمعتَنى منك بالرّضا * وأيأستَنى من بعد ذلك بالغضبْ

كمُمْكِنةٍ مِن دَرِّها كفَّ حالب * ودافقةٍ من بعد ذلك ما حَلَبْ

وأخبار عُبيد الله كثيرة سنذكر منها فى هذا الباب فى أخبار ساجى طَرَفا، ونورد منها إن شاء الله تعالى فى فنّ التاريخ ما يناسب . وأستغفر الله العظيم .

---

١٥ (١) كذا بالأغانى (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) . وفى الأصل : «الطبقة» .

(٢) الزيادة عن الأغانى .

(٣) فى الأصل : « متقنة عجيبة الى ما يعجز عنه ... » . والتكلة والتصويب من الأغانى (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) .

(٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « فى صوت واحد حتى بلغه هو » .

٢٠ (٥) فى الأغانى : « شاجى » .

ذكر أخبار المغنّين الذين نقلوا الغناء من الفارسيّة إلى العربيّة ومن أخذ عنهم ومَنِ اشتهر بالغناء

والغناء قديم فى الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحُدَاء والنشيد، وكانوا يُسمّونه «الركبانية». وأوّل من نقل الغناء العجمىّ إلى العربىّ من أهل مكة "سَعِيد بن مِسْجَح" ومن أهل المدينــة "سائب خاثر". وأوّل من صنع الهَــزَج "طُوَيس". ولنبدأ بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر مَنْ أخذ عنهم إن شاء الله تعالى.

ذكر أخبار سعيد بن مِسْجَح

هو أبو عثمان سَــعِيد بن مِسْجَح، مولى بنى جُمَح، وقيل: مَوْلى بنى مخزوم، وقيــل: مولى بنى نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب. مكىّ أسود — وقيــل: أصفر — حسن اللّون. وقيل: كان مولّدا، يُكْنَى أبا عيسى. وقيل: كان هو وٱبن سُرَيج لرجل واحد. مغنّ متقــدّم من فحول المغنّين وأكابرهم. وهو أوّل مَنْ وضع الغناء منهــم، وأوّل مَنْ غنّى الغناء العربىّ بمكة؛ وذلك أنه مرّ بالفُرْس وهم يبنونَ المسجد الحرام فى أيام عبدالله بن الزُّبَير، فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه فى شعر عربىّ، ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الرُّوم والبربطية والأسطوخوسيّة[1]، وٱنقلب

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «الأسطرخوسية». وقد رأى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى أن تكون كلمة «البربطية» مصحفة عن «البزنطية» (بضم البـاء الموحدة وفتح الزاى يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشدّدة وفى الآخر هاء): نسبة الى بزنطية وهى مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى. ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهــذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك.

ثم قال: وأما الأسطوخوسية فيراد بهــم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهى جزيرة فى جنوبى فرنسا، كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه الى هذا العهد، وكان سكانها خليطا من الروم واليونانيين والقلطيين وبقايا الفلسطينيين. (انظر المجلد الثانى من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ — ٣٦١).

إلى فارس فأخذ غناءً كثيرا وتعلّم الضرب ، ثم قدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم وألقى منها ما آستقبحه من النَّبَرات والنَّغَم ؛ وكان أوّل مَنْ فعل ذلك ، وتبعه الناس بعدُ ؛ وعلّم آبنَ سُرَيج ، وعلّم آبنُ سريج الغَرِيضَ . قالوا : وكان فى صِباه فَطِنا ذكيًّا ، وكان مولاه مُعْجَبا به ، فكان يقول : لَيَكونن لهذا الغلام شأن ،

٥ وما يمنعنى من عِتْقه إلّا حُسْنُ فِراستى فيه ، ولئن عشتُ لأتعرّفنّ ذلك ، وإن مُتُّ قبله فهو حرّ . فسمعه مولاه يومًا يتغنّى بشعر آبن الرِّقاع يقول :

أَلِمْ على طَلَلٍ عفَا مُتقادِمِ * بين الذُّؤَيْبِ(١) وبين غَيْب النّاعم

لولا الحياءُ وأنّ رأسى قد عَسَا * فيه المشيبُ لزرتُ أُمّ القاسِمِ

فدعاه مولاه فقال : أعِدْ يا بنىّ ؛ فأعاده فإذا هو أحسن مما آبتدأ به ، وقال :

١٠ إنّ هذا لَبعضُ ما كنتُ أقول . ثم قال له : أنّى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تتغنّى بالفارسيّة فقلبتُها فى هذا الشعر . قال : فأنت حرٌّ لوجه الله . فلزم مولاه وكثُر أدبه وآتّسع فى غنائه وشُهِر بمكة وأُعْجِبوا به . فدفع إليه مولاه عُبَيْدَ بن سُرَيج وقال : يابنىّ علِّمه وآجتهِدْ فيه . وكان آبن سُرَيج أحسنَ الناس صوتا ، فتعلّم منه ثم بَرَّز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفُرْس لمّا أمر معاويةُ

١٥ ببناء دُوره بمكة التى يقال لها « الرُّقْط » ، وكان قد حمل إليها بَنّائين من الفُرس الذين كانوا بالعراق فكانوا يبنونها ، وكان سَعيد بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع غناءهم على بنائهم ؛ فما آستحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربىّ ، ثم صاغ على نحو ذلك . وكان من قديم غنائه الذى صنعه على تلك الألحان شعر الأحْوَص ، وهو :

أسَلامَ إنك قد ملكتِ فأسْجِحِى * قد يملك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ

٢٠ مُنِّى على عانٍ أطلتِ عَناءَه * فى الغُلِّ عندك والعُناةُ تُسَرَّحُ

(١) فى الأصل : « الذيك » . والتصويب عن معجم ياقوت (ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا) .

إنى لأنصحكم وأعـــلم أنه * سيّانِ عندكَ من يَغُشّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلَامةَ حبّها * قالت أجِدٌّ منـك ذا أم تَمزَحُ

وهذا من أقدم الغناء العربىّ المنقول عن الفارسىّ . قال : وعاش سَعيد بن مسجح حتى لقيه مَعْبَد وأخذ عنه فى أيام الوليد بن عبد الملك .

ومن أخبار سعيد مارواه أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه قال : كتب عامل ٥ لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أنّ رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجح قد أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم . فكتب إليه : أن آقبض ماله وسيّره إلىّ . فتوجّه آبن مسجح إلى الشأم ، فصحبه رجل له جوارٍ مغنّيات فى الطريق . فقال له : أين تريد؟ فأخبره الخبر وقال : أُريد الشأم ، فصحبه حتى بلغا دمشق ، فدخلا مسجدها فسألا : مَنْ أخصّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه . ١٠ فوقف آبن مسجح عليهم فسلّم ، ثم قال : يا فتيانُ ، هل فيكم مَنْ يُضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَيْنة يقال لها «برق الأُفُق» ، فتثاقلوا به إلّا فتًى منهم تَذَمّم[1] فقال له : أنا أُضيفك ، وقال لأصحابه : آنطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفى . فقالوا : لا ، بل تجىء معنا أنت وضيفك . فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنة . فلما أُتُوا بالغَداء قال لهم سَعيد : ١٥ إنى رجل أسود ، ولعل فيكم من يَقْذَرنى ، فأنا أجلس وآكل ناحيةً وقام ، فآستحيوا منه وبعثوا له بما أكل . فلما صاروا إلى الشّراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا . ثم أخرجوا جاريتين ، فجلستا على سرير قد وُضِع لهما فغنّتا إلى العشاء ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستا أسفل السرير عن يمينه وشماله وجلست هى على السرير . قال آبن مسجح : فتمثلت هذا البيت : ٢٠

(١) تذمم : خشى الذم واللوم .

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعةٍ * بدتْ لك خَلْفَ السِّجْف أم أنتَ حالمُ؟

فَغضبتْ الجارية وقالت : أيضرب مثلُ هذا الأسود بى الأمثال ! فنظروا إلىّ نظرًا منكرا ، ولم يزالوا يُسكِّنونها . ثم غنّت صوتا . قال ابن مسجح : فقلت : أحسنتِ والله ! فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقْدِم على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قُمْ فانصرف إلى منزلى، فقد ثَقُلْتَ على القوم . فذهبت أقوم . فتذمّم القوم وقالوا : بل أقِمْ وأحسِنْ أدبك : فأقمتُ . فغنّت ، فقلتُ : أخطأتِ والله وأسأتِ ! ثم اندفعتُ فغنّيت الصوت ، فوثبت الجارية فقالت لمولاها : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجح . فقلت : إى والله ، أنا هو ، والله لا أُقيم عندكم ووثبت ؛ فوثب القرشيون : فقال هذا : تكون عندى ، وقال هذا : تكون عندى ، [وقال هذا : بل عندى][1] . فقلت : والله لا أُقيم إلا عند سيّدكم ! (يعنى الرجل الذى أنزله) منهم وسألوه عما أقدمه . فأخبرهم . فقال له صاحبه : إنى أسْمُرُ الليلة عند أمير المؤمنين ، فهل تُحسِن أن تحدو؟ فقال : لا والله ، ولكنى أصنع حُداءً . فقال له : إنّ منزلى بحذاء منزل أمير المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طِيبَ نفس أرسلتُ إليك . ومضى إلى عبد الملك . فلما رآه طيِّب النفس أرسل إلى ابن مسجح ؛ فأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حدا :

إنك يا مُعاذُ يابنَ الفُضَّلِ[2] * إن زُلزِل الأقدامُ لم تُزَلْزَلِ

عن دين موسى والكتاب المُنْزَلِ * تُقيم أصداغَ[3] القرون المُيَّلِ

* للحق حتى ينتحوا للأعدَلِ *

---

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٣ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) فى الأصل : * إنك يا معاوى المفضل * والتصويب عن الأغانى .

(٣) فى الأصل : «أضراع» . وفى الأغانى : « أصداع » ، وظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه ، لأنه من صدغ يصدغ صدوغا وصدغا بمعنى مال ، ومنه لأقيمن صدغك أى ميلك .

فقال عبـد الملك للقرشىّ : مَنْ هـذا ؟ فقال : رجل حجازىّ قدِم علىّ . قال : أحضِره، فأحضره . ثم قال له : [هل][١] تغنّى غناء الرُّكبان ؟ فغنّى . فقال له : هل تغنّى الغناء المتقَن؟ قال نعم . قال: هِيهِ، فغنّى؛ فآهتزّ عبد الملك طربًا، ثم قال: أُقسم بالله إنّ لك فى القـوم آسما كبيرا، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض مالُه المسيَّر عن وطنه «سَعيد بن مِسْجَح»، قبض مالى عامل الحجاز ونفانى . فتبسّم عبد الملك ثم قال : قد وَضَح عُذْر فتيان قريش فى أن يُنفِقوا عليك أموالهم ؛ وأمّنه ووصَـله وكتب إلى عامله بالحجـاز أن آردُدْ إليه ماله، ولا تتعرّض اليه بسـوء . والله أعـلم .

ذكر أخبـار سائب خاثر

هو أبو جعفر سائب خاثِر بن يَسَار، مولى لبنى ليث . وأصله من فَىْء كسرى، وآشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه . وقيـل : بل كان على ولائه لبنى ليث، ولكنه آنقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزِمه وعُرِف به . وهو أوّل مَنْ عمل العود بالمدينـة وغنّى به . قال : وكان عبـد الله بن عامر بن كُرَيزسبى[٢] إماءً صَـنّاجات[٣] فأتى بهنّ المدينة . فكنّ يلعبن فى يوم الجمعة ويسمع الناس منهنّ، فأخذ عنهنّ . وقدِم رجل فارسىّ يُعْرَف بنَشِيط، فغنّى، فعجب عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثِر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسىّ بالعربيّة . ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل فى :

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) فى الأغانى (ج ٧ ص ١٨٨ (طبع بولاق) : «اشترى» .

(٣) هنّ اللاعبات بالصنج، وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وقيل : الصنج ذو الأوتار الذى يلعب به .

لِمَنِ الديارُ رسومُها قَفْـرُ * لعبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ
وخلا لها من بعد ساكنها * حِجَجٌ مَضَينَ ثمانٍ أوْ عَشْرُ
والزعفرانُ على ترائبها * شَرِقٌ به اللَّبَّـات والنحرُ

قال ٱبن الكلبيّ : وهو أوّل صوت غُنِّى به فى الإسلام من الغناء العربىّ المتقن الصّنعة . قال : ثم ٱشترى عبد الله بن جعفر نشيطا بعد ذلك؛ فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربىّ ، وأخذ عنه ٱبن سُرَيج وجَمِيلة ومَعْبَد وعَزّة المَيلاء وغيرهم . وقيل : إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغنّى مرتجلا . قال ٱبن الكلبى : وكان [سائب تاجرا](1) موسرا يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحته أربع نسوة . وكان ٱنقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وهو مع ذلك يُخالط سَرَوات الناس وأشرافهم لظَرْفه وحلاوته وحُسْن صوته . وكان قد آلى على نفسه ألّا يغنّى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفةً أو ولىَّ عهد أو ٱبن خليفة ؛ فكان على ذلك الى أن قُتل، على ما نذكره . وأخذ عنه مَعْبَد غناء كثيرا . قال : وسمع معاوية غناء سائب خاثر مرارا ، فالمرّة الأولى لمّا وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاويةُ ، فأخبره عبد الله خبره وٱستأذنه فى دخوله عليه ، فأذن له . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنّى :

* لمن الديارُ رسومُها قَفْرُ * الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أَشهد لقد حسّنه . وقضى معاوية حوائجه وأحسن اليه ووصله . وقيل : أشرف معاوية ليلةً على منزل يزيد ، فسمع صوتا أعجبه ، وٱستخفّه السماع فٱستمع حتى ملّ ؛ ثم دعا بكرسىّ فجلس عليه وٱشتهى الٱستزادة ، فاستمع بقيّة ليلته . فلما أصبح غدا عليه يزيد ، فقال : يا بنىّ ، مَنْ كان

(1) الزيادة عن الأغانى (ج ٧ ص ١٨٨ طبع بولاق) .

جليسَك البارحة؟ قال : أىّ جليس ياأمير المؤمنين؟ وٱستعجم عليه . فقال: عَرِّفنى به فإنه لم يخفَ علىّ شىء من أمرك . قال : هو سائب خاثر. قال معاوية : فأَكْثِرْ له يا بنىّ من بِرِّك وصِلتك، فما رأيتُ بمجالسته بأسا .

قال ٱبن الكلبىّ : وقدِم معاوية المدينة فى بعض ما كان يَقْدَمُ، فأمر حاجبه بالإذن للنّاس؛ فخرج ثم رجع فقال: ما بالباب أحد . فقال معاوية: وأين الناس؟ ٥ قال: عند عبد الله بن جعفر . فركب معاوية بغلته ثم توجّه اليهم . فلما جلس قال بعض القرشيّين لسائب خاثر: مِطْرَفِى هذا لك إن ٱندفعتَ تغنِّى (وكان المطرف من خز)؛ فقام بين السِّمَاطين وغنّى فقال :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضحى[1] * وأسيافُنا يَقْطُرنَ من نَجْدةٍ دَمَا

فسمع منه معاوية وَطرِب وأصغى اليه حتى سكت وهو مُستحسِن لذلك، ثم ١٠ ٱنصرف، وأخذ سائب خاثر المِطْرَف[2] .

وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحَرَّة . قال : وكان يخشى على نفسه من أهل الشأم . فخرج اليهم وجعل يقول : أنا مغنٍّ، ومن حالى ومن قصتى كَيْتَ وكَيْتَ ، وقد خدمتُ أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا له : غنِّ لنا، ففعل ؛ فقام أحدهم فقال: أحسنت والله، ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره ومرّ به ١٥ ٱسمه فى أسماء من قُتِل فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر؟ فعُرِّف به، فقال : ويله ما له وما لنا! ألم نُحْسِن إليه ونَصِله ونخلطه بأنفسنا! فما الذى حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أنّ بَغْيَه علينا صَرَعه . وقيل : إنه لمّا بلغه قتله قال : إنا لله! أوَ بلغ

(١) كذا فى الأغانى (ج ٧ ص ١٩٠ طبع بولاق) وكامل المبرد وديوان قائله سيدنا حسان بن ثابت المطبوع فى أوربا . وفى الأصل : «فى الدجى» . ٢٠

(٢) روى المبرد فى الكامل حكاية لمعاوية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه (انظر صفحة ٣٩٠ طبع أوربا) .

القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أرى أنه بقى بالمدينة أحد، وقال . قبحكم الله يأهل الشأم ! تجدهم وجدوه فى حائط أو حديقة مستترا فقتلوه . وقد قيل : إنه تقدّم يوم الحَرّة وقاتل حتى قُتِل . والله أعلم .

ذكر أخبار طُوَيس

٥ هو عيسى بن عبد الله . وكنيته أبو عبد المنعم، وغيّرها المخنّثون فقالوا : أبو عبد النعيم . وطُوَيس لقبٌ غلب عليه، وقيل : آسمه طاوُس، مولى بنى مخزوم. وكان أيضا يلقَّب بالذائب؛ لأنه غنّى :

قد برانى الحبُّ حتى * كِدتُ من وجدى أذوبُ

وهذا أوّل غناء غنّاه وهَزَجٍ هَزَجه . وقد ضُرب المثل به فى الشؤم فقالوا : ١٠ "أشأم من طُوَيس" لأنه وُلِد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطِم يوم مات أبو بكر رضى الله عنه ، وخُتِن يوم مات عمر رضى الله عنه، وتزوّج يوم قُتِل عثمان، ووُلِد له يوم مات علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وكان مخنَّثا أحول طويلا؛ وقيل : إنه وُلد ذاهبَ العين اليمنى . قالوا : وكانت أمّه تمشى بين نساء الأنصار بالنمائم . وطُوَيس أوّل مَنْ صَنَع الهَزَج والرَّمَل فى الإسلام ، وكان الناس ١٥ يضربون به المثل فيقولون : « أهْزَج من طُوَيس » . وكان لا يضرب بالعود وإنما ينقُر بالدُّفّ . وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهانىّ بسنده إلى المدائنىّ قال : قدِم آبن سُرَيج المدينة ، فجلس يوما فى جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فآستلّ دُفّه من حِضْنه ونقره وغنّى؛ فلما سمعه

آبن سُرَيج قال : هذا والله أحسنُ الناس غناءً لا أنا . وقال المدائنىّ، قال مسلمة[1] آبن محارب : حدّثنى رجل من أصحابنا قال : خرجنا فى سفر ومعنا رجلٌ من أصحابنا فانتهينا إلى واد، فدعونا بالغداء، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يَقدِر عليــه، وكان قبل ذلك يأكل معنا؛ فخرجنا نسأل عن حاله فنلقى[2] رجلا طويلا أحول مضطرب الخَلْق فى زِىّ الأعراب؛ فقال لنا : مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا؛ فأخبرناه خبر الرجل فقال : ما آسم صاحبكم؟ فقلنا : أُسَيْد؛ فقال: هذا واد قد أُخِّذَتْ[3] سِباعُه فارتحلوا، فلو قد جاوزتم الوادى آستمرّ[4] صاحبكم وأسِد[5] وأكل . قلنا فى أنفسنا: هو من الجنّ؛ ودخلتنا فَزْعة . ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخْ رَوْعُكم فأنا طُوَيس . فقال له رجل منّا: مرحبًا بك أبا عبد النعيم، ما هذا الزِّىّ؟! فقال: دعانى بعض أوِدّائى من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببتُ أن أتخطّى الأحياء فلا يُنْكِرونى. فسأله رجل منّا أن يغنّينا؛ فآندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّع ، فلقــد خُيِّل لى أنّ الوادى ينطق معه حسنًا . وتَعجَّبنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

قال المدائنىّ : وكان طُوَيس وَلِعًا بالشعر الذى قالته الأَوْس والخَزْرَج فى حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء؛ فقَلّ مجلسٌ آجتمع فيه هذان الحيّان فغنّى فيه طُوَيْس إلا وقَع فيه شىء . فنُهِىَ عن ذلك، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدونى الترابَ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به، وكان يُبْــدِى السرائر ويُخرِج الضغائن؛ وغناؤه يُستحسن ولا يُصْبَر عن حديثه .

(١) كذا فى الطبرى والأغانى (ج ٣ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وهو مســلمة بن محارب بن سلم بن زياد الراوى . وفى الأصول : «مسلم» وهو تحريف .

(٢) عبارة الأغانى : «فلقينا رجلا ...» . (٣) أخذت سباعه : سحرت .

(٤) استمر : قوى واستقام أمره .

(٥) كذا فى الأصل . والذى فى الأغانى : «استمر صاحبكم وأكل» بدون «أسد» .

وحكى الأصبهانىّ عفا الله عنه قال : كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغاشى. فقيل لمروان بن الحَكَم : إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا . فبعث إليه فاستقرأه أُمّ الكتاب؛ فقال : والله ما معى بناتُها ، أوَ ما أقرأ البناتِ فكيف أقرأ أُمّهنّ ! فقال : أتهزأ لا أُمّ لك ! فأمر به فقُتِل ببُطْحان[1]، وقال : من جاءنى بمخنَّث فله عشرة دنانير . فأُتِى طُوَيْس وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فأُخبر بمقالة مروان؛ فقال: أمَا فَضّلنى الأميرُ عليهم بفضلٍ حتى جعل فىّ وفيهم شيئا واحدا ! . ثم خرج حتى نزل السويداء (على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم) فنزلها ، فلم يزل بها بقيّةَ عمره . وعُمِّر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك . ثم ساق الأصفهانىّ هذه القصة فى موضع آخر بسند آخر قال : خرج يحيى بن الحَكَم وهو أمير على المدينة، فبَصُر بشخص فى السَّبَخة مما يلى مسجد الأحزاب؛ فلما نظر إلى يحيى جلس؛ فاستراب به، فوجّه إليه أعوانَه ، فأُتِى به كأنه آمرأة فى ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو ممتشط مُختضِب. فقال له أعوانه : هذا آبنُ نُغاشٍ المخنث . فقال : ما أحسبك تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ! اقرأ أُمّ القرآن ؛ فقال : لو عَرَفتُ أُمّهن عرفتُ البناتِ. فأمَر به فضُرِبتْ عنقُه. وساق نحو ما تقدّم، إلا أنه قال : جعل فى كل مخنَّث ثلثمائة درهم .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كَيْسان وغيره : أنّ أبَان بن عثمان لمّا أمّره عبد الملك على الحجاز أقبل ، حتى [إذا][2] دنا من المدينة تلقّاه أهلها وخرج إليه أشرافها، فخرج معهم طُوَيس . فلما رآه سلّم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير،

---

(١) بطحان (بفتح الباء ، وأكثرهم يضمها . قال ابن الأثير : ولعله الأصح) : اسم وادى المدينة ، وإليه ينسب البطحانيون . (انظر اللسان مادة « بطح ») .

(٢) الزيادة عن الأغانى (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢٠٨) إنى كنتُ قد أعطيتُ الله تعالى عهدًا إن رأيتُك أميرًا لأخضِبن يدى إلى المِرفَقين ثم أزْدُو[1] بالدّف بين يديك، ثم أبدى عن دفّه وتغنّى [بشعر ذى جَدَن الحِميَرى[2]] :

ما بالُ أهلكِ يا رَبَابُ * خُزْرًا كأنهــمُ غِضابُ

فطرِب أبَان حتى كاد يطير، ثم جعل يقول : حَسْبُك يا طاوُس! — ولم يقل له طويس لنبله فى عينه — ثم قال له : آجلس، فجلس. فقال له أبَان : قد زعموا أنك كافر. فقال له : جُعِلتُ فِداءك! والله إنى لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأصلّى الخمس وأصوم رمضان وأحجّ البيت. قال : أفأنت أكبر أم عمــرو بن عثمان؟ — وكان عمرو أخا أبان لأبيــه وأمه — فقال طويس : جُعلت فداءك! أنا والله مع جلائل نساء قومى أُمسِك بذيولهن يوم زُفّت أمّك المباركة إلى أبيك[3] الطيب. فاستحيا أبَان ورمى بطَرْفه الى الأرض.

ذكر أخبار عبد الله[4] بن سريج

هو أبو يحيى عبد الله بن سُرَيْج، مولى بنى نَوْفَل بن عبد مَنَاف. وقال آبن الكلبى : إنه مولى لبنى الحارث بن عبد المطلب. وقيل : إنه مولى لبنى ليث، ومنزله بمكة. وقال الحسن بن عُتْبة اللّهِبى : إنه مولى لبنى عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وحكى أبو الفرج الأصبهانى أنه كان آدَمَ أحمرَ ظاهرَ الدم سُنَاطا[5]، فى عينيه قَبَــلٌ[6]، وبلغ خمسا وثمانين سنة، وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر.

(١) أزدو : أضرب.

(٢) الزيادة عن الأغانى (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية).

(٣) فى الأصول : «على أبيك». والتصويب عن الأغانى.

(٤) هكذا بالأصول. وسيأتى قريبا أنه يسمى «عبيد بن سريج». واضطربت فيه أصول الأغانى، فورد فى بعضها : «عبيد». وفى بعضها : «عبيد الله». وفى بعضها : «عبد الله».

(٥) السناط : الذى لا لحية له أصلا أو الخفيف العارض أو من له لحية وليس فى عارضيه شىء.

(٦) القبل : مثل الحول فى العين أو هو أحسن منه.

ونقل أيضا عن ٱبن الكلبيّ أنه كان مخنّثا أحول أعمش، يلقَّب وجهَ الباب .
وكان لا يغنّي إلا متقّبا، مُسْبِلَ القِنَاع على وجهه . قال : وكان أحسن الناس
غناء، وكان يغنّي مُرْتجِلا ويُوقِع بقضيب، وقيل : كان يضرب بالعود . وغنّى فى زمن
عثمان بن عفّان، ومات فى خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان ٱسمه عُبَيد بن
٥ سريج من أهل مكة . وقال ٱبن جُرَيْج : كان عُبَيد بن سُرَيْج مولى آل خالد بن أَسِيد،
وقيل : كان أبوه تركيّا . وقيل : كان عُودُه على صنعة عيدان الفُرْس، وهو أوّل مَنْ
ضرب به على الغناء العربيّ بمكة؛ وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ٱبن الزبير
لبناء الكعبة، فأعجَبَ أهلَ مكة غناؤهم . فقال ٱبن سُرَيج : أنا أضرب به على غنائى،
فضرب به فكان أحذقَ الناس . وأخذ الغناء عن سَعِيد بن مِسْجَح ، وقد تقدّم
١٠ ذكر ذلك . وأوّل ما ٱشتهر بالغناء فى خِتان ٱبن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن
أبى حُسَين . قال ٱبن سُرَيج لأمّ الغلام : خَفِّضى عليك بعضَ المغرَم والكُلْفة ،
فوالله لأُلْهِيَنّ نساءك حتى لا يدرين ما جئتِ به . وكان مَعْبَد إذا أعجبه غناء نفسه
قال : أنا اليوم سُرَيْجِيّ .

ومن أخباره أيضا أن عَطَاء بن أبى رَبَاح لقيه بذى طُوًى وعليه ثياب مُصَبَّغة
١٥ وفى يده جَرَادة مشدودة الرِّجل بخيط يُطِيرها ويَجذبها كلما تخلّفت؛ فقال له عطاء :
يا فتّان، ألَا تَكُفّ عما أنت فيه ! كفى الله الناسَ مئونتك . فقال له ٱبن سُرَيج :
وما على الناس من تلوينى ثيابى ولَعِبى بجرادتى ! فقال : تُفَتِّنهم أغانيك الخبيثة .
فقال له ٱبن سُرَيج : بحقّ من تَبِعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلّا سمعتَ منّى بيتا من الشعر، فإن سمعتَ
٢٠ منكرًا أمرتَنى بالإمساك عما أنا عليه، وأنا أقسم بالله وبحقّ هذه البَنِيّة إن أمرتَنى

بعد آستماعك منّى بالإمساك عما أنا عليه لأفعلنّ . فأطمع ذلك عطاءً فى آبن سُرَيج وقال له : قل . فآندفع يغنّى بشعر جرير :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادروا * وَشَــلًا بعينكَ لا يزال مَعِينَا

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتِهنّ وقلن لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

(١٠١) قال : فلما سمعه عطاء آضطرب آضطرابا شديدا وداخلته أَرْيَحِيَّةٌ ، فحلف ألّا يكلّم أحدًا بقيّة يومه إلا بهذا الشعر، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام، فكان كلّ من يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يُجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُنشِد هذا الشعر حتى صلّى المغرب ، ولم يُعاوِد آبنَ سريج بعدها ولا تعرّض له .

وحُكِىَ عنه أيضا أنّ عمر بن أبى ربيعة حجّ فى عام من الأعوام ومعه آبن سُرَيج ، فلما رَمَوُا الجمراتِ تقدّما الحاجّ إلى كثيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق المدينــة وطريق الشأم والعراق ، وهو كثيب شامخ مُفْرَد عن الكُثْبان ، فصارا إليه فأكلا وشربا . فلما آنتشيا أخذ آبن سريج الدفّ فنقره وجعل يتغنّى وهم ينظرون إلى الحاجّ . فلما أمسيا رفع آبن سُرَيج صوتَه وتغنّى بشعر لعمر بن أبى ربيعة ، فسمعه الرُّكبانُ ، فجعلوا يَصيحون به : يا صاحب الصوت ، أمَا تتّقِى الله ! قد حبست الناس عن مناسكهم ، فيسكت قليلا حتى إذا مضَوْا رفع صوتَه فيقف آخرون ، إلى أن وقف عليه فى الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكَثِيب ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهُل عليك أن تردّد شيئا مما سمعتُه منك ؟ قال : نعم ونِعمة عينٍ ، فأيّها تريد ؟ فآقترح صوتا فغنّاه . ثم قال له آبن سريج : اِزْدَدْ إن شئتَ ، فآقترح صوتًا آخر فغنّاه ، فقــال له : والثالث ولا أستزيدك ، فغناه الثالث . وقال له آبن سريج : أبَقِيتْ[1] لك حاجة ؟ قال نعم ، تنزِل لأُخاطِبَك ، فنزل إليــه فإذا هو يزيد

(١) فى الأصول هكذا : (أتعبت الزجاجة) . والتصويب عن الأغانى (ج ١ ص ١٠٣) .

ابن عبد الملك، فأعطاه حُلّته وخاتمه وقال : خذهما ولا تُخْدَع فيهما فإن شراءهما
ألف وخمسمائة دينار، فعاد آبن سريج بهما فأعطاهما لعمر بن أبى ربيعة وقال :
هما بك أشبهُ منهما بى، فأخذهما وعوّضه عنهما ثلثمائة دينار، وغدا فيهما إلى المسجد،
فعرفهما الناسُ وجعلوا يتعجّبون و يسألون عمَرَ عنهما، فيُخبرهم أن يزيد بن عبدالملك
٥ كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع آبنَ سريج وهو يغنّى،
فقال : لله درّ هذا الصوت لوكان بالقرآن ! .

قال إبراهيم بن المهدىّ : كان آبن سريج رجلا عاقلا أديبا، وكان يعاشر الناس
بما يشتهون فلا يغنّيهم بما مُدِح به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غَضاضة منهم .

ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهانى بإسناده، قال : كتب الوليد بن
١٠ عبد الملك إلى عامل مكة أن أَشْخِصْ إلىّ آبنَ سريج، فأشخصه إليه . فلما قدم مكث
أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه، ثم ذكره فآستحضره، فدخل عليه وسلّم فأذن له
بالجلوس وآستدناه حتى كان قريبا منه، فقال : وَيْحَك يا عُبَيْد ! لقد بلغنى عنك
ما حملنى على الوِفادة بك من كثرة أدبك وجودة آختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة
مجلسك . قال : جُعِلت فِداءك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمُعَيْدىّ لا أن تراه »[1]،
١٥ قال الوليد : إنى لأرجو ألا تكونَ أنتَ ذاك، ثم قال : هاتِ ما عندك، فآندفع
يغنّى بشعر الأحوص :

وإنّى إذا حَلّت ببَيْش[2] مقيمة * وحَلّ بوَجٍّ[3] جالسًا أو تَتَهّما

(١) هذى إحدى روايات المثل، حكاها الميدانى فى مجمع الأمثال، والرواية المشهورة وهى التى صدّرت بها هذه الروايات (تسمع بالمعيدى خير من أن تراه) .

٢٠ (٢) بيش (بالفتح) : أحد مخاليف اليمن . و بيش (بالكسر) : من بلاد اليمن أيضا قرب دهلك .

(٣) كذا فى الأغانى (ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) ووج : اسم واد بالطائف بالبادية
وفى الأصول : «بوح» بالحاء المهملة . وبوح : قيل إنها ناحية بعمان وجالسا : أتى الجلس وهو نجد .
وتتهم : أتى تهامة .

يمــانيةٌ شَــطّت وأصبح نفعُها * رجاءً وظنًّا بالمَغيب مرجّما
أُحبّ دنوّ الدّار منها وقد أبى * بها صَدْعُ شَعْبِ الدار إلّا تَثَلُّما
بكاها وما يَدْرِى سوى الظنّ ما بكى * أحيًّا يُبَــكّى أم ترابًا وأَعْظُما
فدَعْها وأخلِف للخليفــة مِدْحةً * تُزِلْ عنك بُؤْسى أو تفيدُك مَغْنما(١)
فإن بكفّيه مفاتيح رحمــةٍ * وغيثَ حَيًا يحيا به الناسُ مُرْهِمَا(٢)
إمامٌ أتاه المُلكُ عفوًا ولم يُثب * على ملكه مالا حرامًا ولا دَما
تخـــيّره ربُّ العبــاد لخَلْقــه * وليًّا وكان الله بالناس أعلما
ينال الغِنى والعــزّ مَنْ نال ودّه * ويَرْهب موتًا عاجلا من تَشَأّما(٣)

فقال الوليد : أحسنتَ والله وأحسن الأحوصُ . ثم قال: يا عُبَيْد هِيه ! فغنّاه بشعر عَدِى بن الرِّقاع العامِلىّ يمدح الوليد :

طار الكرى وألمّ الهــمُّ فاكتنعا(٤) * وحِيل بينى وبين النوم فامتنعا
كان الشبابُ قِناعًا أستكِنُّ به * وأســتظِلّ زمانًا ثُمّت انقشعا
واستبدل الرأسُ شيبًا بعد داجيةٍ * فَيْنانةٍ ما ترى فى صُــدْغها نَزَعا(٥)
فإن تكن مَيْعةٌ من باطل ذهبتْ * وأعقب الله بعد الصَّبْوة الوَرَعا
فقد أبِيتُ أُراعِى الخَوْدَ رابيةً(٦) * على الوسائد مسرورًا بها ولِعا

(١) فى الأغانى : «وأنعما» . ورفع الفعل هنا على توهم أن الأول مرفوع ، كأنه قيل : تزيل عنك بؤسى أو تفيدك مغنما ، أو على أنه مستأنف كأنه قيل : أو هى تفيدك مغنما .

(٢) يقال : أرهمت السماء إذا أتت بالرهام ، جمع رهمة وهى المطر الضعيف الدائم .

(٣) فى الأصول : « تشئما » . والتصويب عن الأغانى .

(٤) ألم : نزل . واكتنع : دنا وحضر .

(٥) فينانة : حسنة الشعر طويلته . والنزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبى الجبهة .

(٦) فى الأغانى : « راقدة » .

بَرّاقةَ الثغر يشفِى القلبَ لذّتُها * إذا مُقَبِّلها فى ريقها كرَعا

كالأُقْحُوان بضاحِى الروض صبّحه * غيثٌ أرَشَّ بتَنْضاحٍ وما نقعا

صلى الذى الصلواتُ الطيِّبات له * والمؤمنون إذا ما جمَّعوا الجُمَعا

على الذى سبق الأقوام ضاحيةً * بالأجر والحمد حتى صاحباه معا

٥ هو الذى جمع الرحمنُ أمّتَه (١) * على يديه وكانوا قبله شِيَعا

عُذْنا بذى العرش أن نحيا ونَفْقِدَه * وأن نكون لراعٍ بعده تبَعا

إن الوليد أمير المؤمنين له * مُلْك أعان عليه الله فارتفعا

لا يمنع الله (٢) ما أعطى الذين هُمُ * له عباد ولا يُعْطُون ما منَعا

فقال الوليد : صدقت يا عُبَيْد ، أنّى لك هذا ؟ قال : (هو من عِنْدِ اللهِ) .

١٠ قال الوليد: لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبك . قال ٱبن سريج : (ذَٰلِكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاء) قال الوليد : (يزِيدُ فِى ٱلخلقِ مايشاء) . قال ٱبن سريج : (هذا مِن فضلِ ربى لِيبلُوَنِى أأشكر أم أكفر) . قال الوليد : لعلمك والله أكثر وأعجب إلىّ من غنائك ! غنّنى ؛ فغنّاه بشعر عَدِىّ (٣) بن الرِّقاع يمدح الوليد فقال :

عرَف الدّيارَ توهما فٱعتادَها * من بعد ما شَمِل البِلى أبلادَها (٤)

---

١٥ (١) كذا فى الاغانى (ج ١ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : « صلى الذى ... الخ » .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « لا يمنع الناس » .

(٣) رأينا أن نثبت هذه القصيدة كاملة ، وقد نقلناها عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد نشرها فيها المرحوم أحمد تيمور باشا وقال : إنه لا يوجد منها فى كتب اللغة والأدب إلا أبيات متفرقة وإنه

٢٠ عثر عليها تامة فى مجموع مخطوط قديم بخزانة المرحوم أحمد زكى باشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للثعالبى . والأبيات الموضوعة بين قوسين مربعين غير موجودة بالأصل .

(٤) أبلادها : آثارها . وفى رواية أخرى « درس » بدل « شمل » .

[إلّا رواسىَ كلهنّ قد آصطلى * جمـــرًا وأشـعل أهلُها إيقادَها (١)
كانت رواحلَ للقدور فعُرِّيت * منهـنّ وآسـتلب الزمانُ رمادَها
وتنكّرتْ كلّ التنكّر بعـــدنا * وآلأرض تعرف بعلَها وجمادَها] (٢)
ولربّ واضحة العـــوارض حُرّة (٣) * كالرِّيم قـد ضربت به أوتادها
تصطاد بهجتُها المعلَّل بالصـبا * عَرَضًا فتُقصِـده ولن يَصطادها (٤)
كالظّبيـــة البكر الفريدة تَرْتعِى * من أرضها قُفّاتهـا وعِهادها (٥)
خضبت لهـا عقد البِراق جبينها * من عَرْكها عَلَجانهـا وعَرادها (٦)
كالزّيْن فى وجه العروس تبذّلت * بعـــد الحياء فلاعبتْ أرْآدَها
تُزْجى أغنّ كأنّ إبرةَ رَوْقه * قلمٌ أصاب من الدّواة مِدادها
ركبتْ به من عالج متحيِّرا * قفـرًا تُرَبِّبُ وحشُـــه أولادها (٧)
فترى مَحانيَـــه التى تَسِقُ الثرى * والهَـــبْرُ يُونِق نبتُهـا روّادها (٨)
بانت سـعاد وأخلفت ميعادَها * وتبـاعدتْ عنـا لِتمنع زادَها

(١) رواية الأغانى « روا كد » بدل «رواسى» ، و«حمراء أشعل» بدل « جمرا وأشعل » .

(٢) البعل : الأرض المرتفعة التى لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة فى السنة ، والجماد : اليابسة التى لم يصبها مطر ولا شىء فيها .

(٣) فى الأغانى (ج ١ ص ١١٩) : « طفلة » .

(٤) المعلل بالصبا : المشغول به المتلهى . وأقصده : رماه بسهم فقتله .

(٥) القفات : جمع قفة ، وهى — كما قال الأزهرى — : شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيبس . والعهاد : جمع عهد بالفتح وعهدة (بالفتح والكسر) وهى مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوّله .

(٦) فى الأصل :

خضبت لها عقد البراق جبينها * عن عكرها علجانها وعرادها

والبراق : جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . والعلجان والعراد نباتان .

(٧) عالج : اسم موضع .

(٨) محانيه : معاطفه وثناياه ، وتسق : من الوسق وهو الجمع ، والهبر : المطمئن من الأرض .

إنى إذا ما لم تَصِلْنى خُلّتى * وتباعدت عنّى اغتفرتُ بِعادها (١)

[إمّا ترىْ شيْبى تَقَشّع لِمّتى * حتى علا وضَحٌ يلوح سوادَها (٢)

فلقد ثنيتُ يَدَ الفتاة وِسادةً * لى جاعلا يُسرى يَدَىّ وِسادَها

وأُصاحِب الجيشَ العَرَمْرم فارساً * فى الخيل أشهد كَرّها وطِرادها

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها * حتى أقوِّم مَيلَها وسِنادَها (٣)

نَظَرَ المثقِّف فى كُعوب قَناته * حتى يُقيمَ ثِقافُه مُنآدَها (٤)

فسترتُ عيبَ معيشتى بتكرّم * وأتيتُ فى سَعَةِ النعيم سِدادَها (٥)

وعلِمتُ حتى ما أُسائل واحدًا * عن علم واحدةٍ لكى أزدادَها]

صلّى الإلٰه على امرئ ودّعتُه * وأتمّ نعمتَه عليه وزادها

وإذا الربيعُ تتابعت أنواؤه * فسقى خُناصِرةَ الأحصّ فجادها (٦)

نزل الوليد بها فكان لأهلها * غيثًا أغاث أنيسَها وبلادَها

أوَلَا ترى أن البريّة كلّها * ألقتْ خزائمها إليه فقادها

ولقد أراد الله إذ ولّاكها * من أمّةٍ إصلاحَها ورشادها

أعْمرتَ أرضَ المسلمين فأقبلت * وكففْتَ عنها من يروم فسادها

وأصبتَ فى أرض العدوّ مصيبةً * عَمّت أقاصىَ غَوْرِها ونِجادَها

ظفَرًا ونصرًا ما تناول مثلَه * أحدٌ من الخلفاء كان أرادها

(١) الخلة بالضم : الخليلة . (٢) يلوح سوادها : يغيره .

(٣) السناد : هو اختلاف الحركات التى تلى الأرداف فى الروى .

(٤) منآدها : معوجها . (٥) السداد : ما تسدّ به الخلة . (٦) الأحص : كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب قصبتها « خناصرة » مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز وهى صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها كذا فى ياقوت، وقد أورد البيت هكذا :

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه * فسقى خناصرة الأحص وزادها

فإذا نشـرتَ له الثنـاءَ وجدتَه * جمـع المكارمَ طرفَهـا وتلادَها
[غلب المساميحَ الوليـدُ سماحةً * وكفى قريشَ المُعْضِلاتِ وسادَها
تأتيـه أسـلابُ الاعِزّة عَنْـوةً * قَسْرًا ويجمـع للحـروب عتـادَها
وإذا رأى نارَ العـدوّ تضرّمت * سامى بجمـاعة أهلهـا فأقتـادها
بعرمرمٍ تبدو الرَّوابى ذى وَغًى * كالحَرّة آحتمل الضحى أطوادَها[1]
أطفأتَ نارًا للحـروب وأُوقِدت * نارٌ قـدحت براحتيـك زِنادَها
فبدت بصيرتُها لمن يَبغى الهدى * وأصاب حرُّ شـديدها حُسّادَها
وإذا غـدا يومًا بنَفْحة نائـل * عرضت له الغـدَ مثلُها فأعادها
وإذا صدت خيـلٌ تُبـادِر غايةً * فالسابق الجـالِى يقـود جيادَها]

فأشار الوليـدُ إلى بعض الخدم فغطَّوْه بالخِلَع، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير وبِدَر الدراهم، ثم قال الوليد: يا مولى بنى نَوْفَل بن الحارث لقد أُوتيتَ أمرًا جليلا فقال آبن سريج: وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكا عظيما وشرفًا عاليا وعزا بسـط يدك فيـه فلم يَقْبِضه عنك ولا يفعـل إن شاء الله، فأدام الله لك ما وَلّاك وحفظك فيما آسترعاك، فإنك أهل لمـا أعطاك، ولا ينزعه منك إذ رآك له مَوْضِعا. قال: يا نوفليّ، وخَطِيبٌ أيضا! قال آبن سريج: عنك نطقت، وبلسانك تكلّمت، وبعزّك بيّنت، وكان قد أمر بإحضار الأحوص بن محمـد الأنصاريّ وعديّ بن الرِّقَاع العامِليّ، فلما قدِما عليه أمر بإنزالهما حيث آبن سريج فأُنزِلا منزلا بجوار منزله. فقالا: والله لَقربُ أمير المؤمنين كان أحبَّ إلينا من قربك يا مولى بنى نوفل، وإن في قربك لمـا يَلَذّنا ويشغَلُنا عن كثير ممـا نريد. فقال لهما آبن سريج: أوَ قلّة شكر!

(١) الوغى: الجلبة، والحرة بالفتح الأرض الصلبة الغليظة. والمعنى أن الروابى التى يحارب فيها هذا الجيش تبدو للناظر كأنها حرة حمل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية.

فقال له عدىّ : كأنك يابن اللَّخناء تَمُنّ علينا ، [علىّ وعلىّ] (١) إن جمعنا وإياك سقفُ بيت أو صحنُ دار عنــد أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أولا تحتــمل لأبى يحيى الزّلّة والهفــوة ، وكفّارةُ يمينٍ خيرٌ من لَجاج فى غير منفعة . فتحوّل عدىّ وبقى الأحوصُ . وبلغ الوليدَ ما جرى بينهم ، فدعا آبنَ سريج فأدخله بيتًا وأرخى دونه سِترًا ثم أمره إذا فرغ الأحوصُ وعدىٌّ من كلمتيهما أن يغنّى ، فلما دخلا وأنشداه مدائحَ لهما فيــه ، رفع آبنُ سريج صــوتَه من حيث لا يَرَوْنه وضرب بعود . فقــال عَدِىّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لى أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عاملِىّ ، قال : مثلُ هذا عنــد أمير المؤمنين ويبعث إلى آبن سريج يتخطّى رقابَ قريشٍ والعرب من تهامة إلى الشأم ترفعه أرضٌ وتَخْفِضه أخرى ليسمع غناءَه ! قال : ويحك ياعدىّ ! أولا تعرف هــذا الصوتَ ؟ قال : لا والله ما سمعتُــه قط ولا سمعتُ مثــلَه ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقُلْت طائفةٌ من الجنّ يتغنَّوْن ، فقال : آخرج عليهم ، فخرج فإذا آبن سريج . فقال عدىّ : حَقٌّ لهــذا أن يُحمل ! حقٌّ لهذا أن يحمل ! ثلاثا ، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لآبن سريج وآرتحل القومُ .

وروى أبو الفرج أيضا عن سهل بن بركة وكان يحمل عودَ آبن سريج قال :

كان على مكة نافعُ بن عَلْقمة الكِنانىّ فشــدّد فى الغناء والمغنّين والنبيذ ونادَى فى المخنّثين . فخرج فِتيــةٌ من قريش إلى بطن مُحَسِّر (٢) وبعثــوا برســول لهم ، فجاءهم براوِيةٍ من شراب الطائف ، فلما شربوا وطــربوا قالوا : لو كان معنا آبنُ سريج تمّ سرورُنا ، فقلت : هو علىّ لكم ، فقال لى بعضُهم : دونَك هذه البغلة فاركبها وآمض إليه ، فأتيته فأخبرتُه بمكان القوم وطلبهم إيّاه ، فقال لى : ويحك ! وكيف لى بذلك

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ١ ص ١١٩) .

(٢) بطن محسر : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة .

مع شدّة السلطان فى الغناء وندائه فيه . فقلت له : أتردّهم؟ قال : لا والله! فكيف لى بالعود؛ فقلت : أنا أخبؤه لك فشأنَك . فركب وسترتُ العودَ فأردفنى . فلما كنّا ببعض الطريق إذا بنافع بن عَلْقمة قد أقبل؛ فقال لى : يابن بركة، هـذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك! أرسلْ عِنانَ البغلةِ وآمضِ ولا تَخَفْ ، ففعل . فلما حاذيناه عرفنى ولم يعرف آبنَ سريج، فقال لى . يابن بركة، من هذا أمامك ؟ ٥
قلت : من ينبغى أن يكون ! هذا آبنُ سريج؛ فتبسّم ثم تمثّل :

فإن تَنْجُ منها يا أبَانُ مُسَلَّماً * فقد أفلت الحجّاجُ خيلَ شبِيبِ

ثم مضى ومضينا . فلما كنّا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلتُ له : غنِّنى مرتجِلا؛ فرفع صوته فخيّل إلىّ أن الشجرة تنطق معه، فغنّى وقال :

كيف الثَّواءُ ببطن مكة بعد ما * هَمّ الذين تُحِبّ بالإنجادِ ١٠
أم كيف قلبُك إذ ثَوَيتَ مخمَّرا * سَقِمًا خِلافَهُمُ وكربُك بادِى[1]
هل أنتَ إن ظعن الأحبّةُ غادِى * أم قبلَ ذلك مُدْلِجٌ بسوادِ[2]

قال : فقلت : أحسنتَ والذى فلق الحبّةَ و برأ النَّسَمةَ ! ولو أن كنانة كلّها سمعتك لاستحسنتْك[3]، فكيف بنافع بن علقمة! المغرورُ من غرّه نافع . ثم قلت : زِدْنى وإن كان القوم متعلّقة قلوبهم بك؛ فغنّى وتناول عودا من الشجرة فوقّع به على الشجرة؛ ١٥ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خفق بطون الضّأن على العيدان إذا أخذتها عيدان الدِّفْلَى[4]، وغنّى :

لا تجمعِى هَجْرًا علىّ وغُربةً * فالهجرُ فى تَلَفِ المحبّ سريعُ

(١) كذا فى الأغانى (ج ١١ ص ٢٠ طبع بولاق) . وفى الأصل : « ولونك » .
(٢) فى الأصل : « من قبل ذلك » . والتصويب عن الأغانى . ٢٠
(٣) فى الأصل : « لاستحسنت » والتصحيح عن الأغانى .
(٤) الدفلى : شجر مر أخضر حسن المنظر يكون فى الأودية .

مَنْ ذا فديتُك يستطيع لحبّه * دَفْعًا إذا اشتمّلت عليه ضلوعُ

فقلت : بنفسى أنت والله، من لا يُكَلّ ولا يُمَلّ! والله ما جهِل مَنْ فَهِمَك، اركب بنا فَدَتْك نفسى . قال : أمهِلنى كما أمهلتُك أقض بعض شأنى . فقلت: وهل عما تريد مَدْفعٌ! . فقام فصلّى ركعتين ثم ضرب بيده إلى الشجرة وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . ثم مضينا والقوم مستشرِفون . فلما دنونا منهم إذا الغريضُ يغنّيهم :

مِن خَيْل حَىٍّ لا تَزال مُغيرةً * سَمِعتْ على شَرَف صَهيلَ حِصانِ

فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت . فقلت : ما يُبكيك يا أبا يحيى ؟ جُعِلتُ فِداك لا يسوءك الله ولا يُريك سوءًا[1] ! قال : أبكانى هذا المخنَّثُ بحسن غنائه وشجا صوته، والله ما ينبغى لأحد أن يغنّى وهذا الصبىّ حىٌّ؛ ثم نزل واستراح وركب . فلما سرنا هُنيهةً اندفع الغريضُ يغنّى لهم بلحنه :

يا خليلَّى قـد مللتُ ثَوائى * بالمُصَـلَّى وقد سئمتُ البَقيعا

بلِّغانى ديارَ هندٍ وسُـعدَى * وارجِعانى فقدهَويتُ الرجوعا

قال : ولصوته دوىٌّ فى تلك الجبال . فقال ابن سريج : يابن بركة، أسمعتَ مثل هذا الغناء قط؟! قال: ونظروا إلينا فأقبلوا تَشاوَى يسحَبون أعطافَهم وجعلوا يقبّلون وجه ابن سريج فنزل فأقام عندهم ثلاثًا، والغريض لا ينطق بحرف، وأخذوا فى شرابهم وقالوا: ياحبيب النفس وشقيقها، أَعْطِها بعضَ شأنها[2] . فضرب بيده إلى جيبه[3] فأخرج منه مِضرابًا ثم أخذه بيده ووضع العود فى حجره — فما رأيتُ [يدًا][4] أحسنَ من يده

(١) فى الأصول : « والله لا يسوءك هذا ولا يريك سوءا » . والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى الأغانى : «بعض مناها » .

(٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «الى جنبه » .

(٤) الزيادة عن الأغانى .

ولا خشبةٌ تخيّلتْ لى أنها جوهرةٌ إلّا هى — ثم ضرب فلقد ضجّ[1] القومُ جميعا ؛ ثم غنّى فكلٌّ قال : لبّيْك لبّيك ! فكان ممّا غنّى به [والّلحن له[2]] هزجٌ :

لبّيـك يا ســيّدتى * لبّيْـك ألفـا عدَدا
لبّيـكِ من ظالمـةٍ * أحببتُهـا مجتهِــدا
قُــومى إلى ملعبنا * نَحْكِ الجوارىَ الخُرّدا
وضْـعَ يَدٍ فوق يَدٍ * نرفعهـا يدًا يــدا

فكلٌّ قال : نفعل ذاك ؛ فلقد رأيتنا نستبق أيّنا تقع يده على يده . ثم غنّى :

ما هاج شوقَك بالصّرائمْ * رَبْــعٌ أحال لآل[3] عاصِمْ
ربعٌ تقـادَم عهـــده * هاج المحبَّ على التقادم
فيـــه النواعمُ والشـبا * بُ النّاعمون مع النواعم
مِن كل واضحــة الجبيـ * ـن عَميمةٍ ريّا المعَـاصِم

ثم غنّى بقوله :

شجانى مغانى الحىّ وانشقّتِ العصا * وصاح غرابُ البين أنتَ مريضُ
ففاضت دموعى عند ذاك صبابةً * وفيهنّ خَوْدٌ كالمهـاة غَضيضُ
وولّيت محزونَ الفؤادِ مُرَوَّعًا * كئيبًا ودمعى فى الرداء يَفيض

قال : فلقــد رأيتُ جماعةً من الطير وقَعن بقربنـا وما نُحِسّ من قبـل ذلك منهـا شيئا . فقالت الجمـاعة : ياتمّام السرور وكمالَ المجالس ، لقد سـعِد من أخذ بحظّه[4] منك وخاب من حُرِمك ، ياحياةَ القلوب ونسيمَ النفوس جعلنا الله فداءَك ، غنّنا . فغــنّى :

(١) فى الأغانى : « سبح » . (٢) زيادة عن الأغانى . (٣) فى الأغانى : « لأم عاصم » . (٤) فى الأصول : « بحظك » . والتصويب عن الأغانى .

ياهند إنك لو علمـ * ـتِ بعاذِلَيْن تتابعا

قال : فبدَرْتُ من بينهم فقبّلت عينيه، فتهافت القومُ عليـه يقبّلونه ، ولقد رأيتُنى وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .

وكانت وفاةُ ابن سريج بالعـلّة التى أصـابته من الجُذام بمكة فى خلافة سليمان ابن عبد الملك أو فى خلافة الوليد، ودُفن فى موضع يقال له «دَسِم»(١) . رحمة الله عليه وعفا عنه وغفر له . والحمد لله ربّ العالمين .

حُكِى أنه لمـا احتُضِر نظر إلى ابنته تبكى فبكـى وقال : إنه مِن أكبر همّى أنتِ وأخشى أن تضيعى بعدى . فقالت : لا تَخَفْ فما غنّيتَ شيئا إلا وأنا أغنّيه . فقال : هاتى، فاندفعت فغنّت وهو مصغ إليهـا . فقال : قد أصبتِ ما فى نفسى وهوّنتِ علىّ أمرَكِ. ثم دعا سعيدَ بن مسعود الهُذَلِى فزوّجه إيّاها ؛ فأخذ أكثرَ غناء أبيها وانتحله .

ذكر أخبار معبد

هو مَعْبَد بن وهب، وقيل : ابن قَطَنِىّ مولى ابن قَطَن؛ وقيل : إن قَطَنا مولى العاص بن وابِصة(٢) المخزومىّ، وقيل : مولى معاوية بن أبى سفيان . غنّى معبد فى أيام بنى أميّة فى أوائلها، ومات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق .

قال أبو الفرج الأصفهانى :

إنه لمّـا مات خرجت سَـلّامة جاريةُ الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود السرير والناسُ ينظرون إليها وهى تَنْدُبه وتقول شعرَ الأحوص :

---

(١) دسم : موضع قرب مكة .

(٢) فى الأغانى (ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : « وابصة » بالباء الموحدة .

قد لَعَمْرِى بتُّ ليلِى * كأخى الداءِ الوَجِيع
ونجىُّ الهمّ مِـــنّى * بات أدنى من ضَجِيعِى
كلمـا أبصرتُ ربعًا * خاليًا فاضت دموعِى
قد خلا من سيّدٍ كا * ن لنـا غيرَ مُضِـيع
لاتَلُمْنـا إن خشعنا * أو همَمْنا بخشـــوع

٥

وكان معبدٌ قد علّمها هذا الصوت فندَبته به . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : كان معبد من أحسن الناس غِناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقًا [1] ؛ وهو إمام أهل المدينة فى الغناء، وأخذ عن سائب خاثرٍ ونَشيط الفارسىّ مولى عبدالله بن جعفر، وعن جَميلة مولاة بَهْز (بطن من بنى سليم) . وفى معبدٍ يقول الشاعر :

أجاد طُوَيْسٌ والسُّرَيْجِىُّ بعده * وما قَصَبَـاتُ السَّبْق إلا لمعبدِ

١٠

وحكى أبو الفرج أيضا :

أن الوليد بن يزيد ٱشتاق إلى معبد، فوجّه اليه البريدَ إلى المدينة فأحضره . فلما بلغ الوليدَ قدومُه أمر ببركة مُلِئتْ ماء وَرد وخُلِط بمسك وزعفران، ثم جلس الوليد على حافَة البركة وفُرِش لمعبـد مُقَابِلَه وضُرِب بينهما سِتْرٌ ليس معهما ثالث . وجىء بمعبد فقيل له : سلّم على أمير المؤمنين وٱجلس فى هـذا الموضع؛ فسلّم فردّ عليه من خَلْف السَّجف، ثم قال له : أتدرى لِمَ وجّهتُ إليك؟ قال: الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . فقال له معبد : أَأُغَنِّى ماحضر أو مايقترحه أميرُ المؤمنين ؟ قال : [بل] [2] غَنِّ :

١٥

مازال يعدو عليهم رَيْبُ دهرِهِمُ * حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عَدّاء

(١) كذا فى الأغانى (ج ١ ص ٣٨ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : «خلقا» بالخاء المعجمة وهو تصحيف . (٢) الزيادة عن الأغانى .

٢٠

فغنّاه . فرفع الجوارى السِّجف ، ثم خرج الوليدُ فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها، ثم خرج منها، فاستقبله الجوارى بثياب غيرِ الثياب التى كانت عليه، ثم شرب وسقى معبدًا ثم قال له : غنِّنى يا معبد :

يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ متيَّما * قد عاج نحوَك زائرًا ومسلِّما

جادتك كلُّ سحابةٍ هطَّالةٍ * حتى تُرى عن زَهْرةٍ[1] متبسِّما

لو كنتَ تدرى من دعاك أجبتَه * و بكيتَ مِن حُرَقٍ عليه إذًا دما

قال : فغنّاه . وأقبل الجوارى فرفعن السِّتر، وخرج الوليد فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبدًا وقال له : غنِّنى يا معبد :

عَجِبتْ لمّا رأتنِى * أندُب الربع المُحيلا

واقفًا فى الدار أبكى * لا أرى إلّا الطلولا

كيف تبكى لأناسٍ * لا يَمَلُّون[2] الذَّميلا

كلما قلتُ اطمأنّتْ * دارُهم جَدّوا[3] الرحيلا

قال : فلما غنّاه ألقى نفسه فى البركة ثم خرج فردّوا عليه ثيابَه، ثم شرب وسقى معبدا وقال له : يا معبد، من أراد أن يزداد حُظوةً عند الملوك فليكتم أسرارَهم . فقال : ذلك مما لا يَحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائى به . فقال الوليد : يا غلام احمل إلى معبد عشرةَ آلاف دينار تُحَصَّل[4] له فى بلده وألفىْ دينار لنفقة طريقه ؛ فحُملت إليه كلُّها، وحُمِل على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه فى ذلك المجلس خمسة عشر ألف دينار .

(١) كذا فى الأغانى . والزهرة : البهجة والنضارة والحسن . وفى الأصل : «ترى عن زهره» . وصححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته من الأغانى : « يرى عن زهره » . (٢) الذميل : ضرب من السير . (٣) فى الأغانى (ج ١ ص ٥٤) : «قالوا» . (٤) أى تدفع وتسلم .

وقال أبو الفرج بسند رفعه :

إن معبدا كان قـد علّم جاريةً من جوارى الحجـاز الغناءَ تدعى "طيبة"[(١)] وعُنِى بتخريجها، فآشـتراها رجل من أهل العـراق وأخرجها إلى البصرة و باعها هناك ، فآشتراها رجل من أهل الأهواز فأُعْجِب بهـا وذهبت به كلَّ مذهبٍ وغَلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنـده برهةً من الزمان ؛ فأخذ جواريه أكثرَ غنائها عنها. فكان لمحبّته إيّاها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقرُّه ، ويُظهر التعصّبَ له والميـلَ إليه والتقديمَ لغنائه على سائر الأغانى من أهل عصره ، إلى أن عُرِف ذلك منه و بلغ معبدًا خبرُه . فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ؛ فلما وردها صادفَ الرجلَ قد خرج عنها فى ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز. فجاء معبدٌ فى طلب سفينة تحمله إلى الأهواز، فلم يجد غيرَ سفينة الرجل، فركب فيهـا وكلاهما لا يعرف الآخَرَ، وآنحدرت السفينةُ . فلما صاروا بفِمِ نهر الأُبُلَّة[(٢)] ، أمر الرجلُ جواريَه بالغناء فغنَّيْن، إلى أن غنّت إحداهنّ صوتا من غناء معبد فلم تُجِدْ أداءَه؛ فصاح بها معبد: يا جارية، إنّ غناءَك هذا ليس بمسـتقيم . فقال مولاها وقد غضِب : وأنت ما يُدريك الغناء ما هو! ألاَ تُمسِـكُ[(٣)] وتلزَمُ شأنَك! فأمسك . ثم غنّت أصواتا من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم حتى غنّت من غنائه فأخلّت ببعضه ؛ فقال لها معبد : ياجارية، قد أخللتِ بهذا الصوت إخلالا كثيرا . فغضب الرجل وقال له : ويلك! ما أنتَ والغناءَ! ألا تَكُفّ عن هذا الفضول! فأمسك معبدٌ. وغنّى الجوارى

(١) فى أكثر أصول الأغانى المخطوطة والمطبوعة : « ظبية » .

(٢) الأبلة (بضم أوله وثانيــه وتشديد اللام وفتحها) : اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة ، كما فى معجم البلدان لياقوت .

(٣) كذا فى أكثر أصول الأغانى . وفى بعض أصوله : « لم لا تمسك ... » وفى الأصـل هنا : « ... وأنت مايدريك ما الغناء ما هو إلا أن تمسك ... » .

مليًّا، ثم غنّت إحداهنّ صوتًا من غنائه فلم تَصْنع فيه شيئًا . فقال لها معبد: يا هذه، أمَا تَقُومِين[1] على أداء صوتٍ واحد! فغضب الرجلُ وقال له: ما أراك تَدَعُ هـذا الفضولَ بوجهٍ ولا حيلةٍ! فأُقسم بالله إن عاودتَ لأُخرِجنّك من السفينة . فأمسك معبدٌ، حتى سكتت الجوارى سَكْتةً، فآندفع يغنّى الصوت الأوّل حتى فرغ منه . فصاح الجوارى: أحسنتَ والله يارجل، فأَعِده . قال : لا والله ولا كرامةَ . ثم آندفع يغنّى الثانى؛ فقلن لسيّدهن: ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسَلْه أن يُعيده علينا ولو مرّة واحدة لعلنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نَجِدْ مثلَه أبدا . قال: قد سمعتنّ سوءَ ردّه عليكنّ وأنا خائف مثلَه منه، وقد آستقبلناه بالإساءة، فآصْبِرْن حتى نُداريَه . قال : ثم غنّى الثالثَ فزلزل عليهم الأرضَ . فوثب الرجل فقبّل رأسَه، وقال : يا سيّدى أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : وهَبْك لم تعرِف موضعى، قد كان ينبغى لك أن تتثبّت ولا تُسرِعَ إلى سوء العِشرة وجفاءِ القول . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه، وكان معبدٌ قد أُجلس فى مؤخّر السفينة . فقال له الرجل : ممن أخذتَ هـذا الغناء ؟ قال : من بعض أهـل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذنه من جارية كانت لى، كانت قد أخذت الغناءَ عن أبى عَبّاد معبد وكانت تَحُلّ منى مكانَ الروح من الجسد، ثم آستأثرالله بها وبقى هؤلاء الجوارى وهنّ [من][2] تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصّب لمعبد وأفضّله على المغنّين جميعا، وأفضّل صنعَته على كل صنعة . فقال له معبد : وإنك لأنت هو ! أفتعرفنى ؟ قال لا . قال : فصكّ معبد بيده صلعَته ثم قال : فأنا[3] والله معبدٌ وإليك قدمتُ من الحجاز ووافيتُ البصرةَ ساعةَ نزلتُ السفينةَ لأقصدك بالأهواز، ووالله لا قصّرتُ فى جواريك

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أما تقوين » . (٢) الزيادة من الأغانى .
(٣) فى الأصول : « فانه » والتصويب عن الأغانى .

هؤلاء ولأجعلنّ لك في كل واحدة خَلَفًا من المـاضية . فأكبّ الرجلُ والجواري
على يده ورجليه يقبّلونها ويقولون : كتَمْتَنا نفسَك حتى جَفَوْناك في المخاطبة وأسأنا
عشرتَك وأنت سـيّدُنا ومن نتمنّى أن نلقاه . ثم غيّر الرجلُ أثواب معبد وخلع عليه
عدّة خِلَع وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطِيبًا وهدايا مثلها ، وآنحدر معه إلى
الأهواز فأقام عنده حتى رضِي حِذْقَ جواريه ، ثم ودّعه وآنصرف إلى الحجاز .   ٥

ذكر أخبار الغريض
وما يتّصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

هو عبد الملك ، وكنيتُه أبو زيد[1] ، وقيل : أبو مروان . والغَرِيض لقبٌ لقّب
به ؛ لأنه [كان[2]] طَرِيّ الوجه نَضِرًا غَضّ الشباب حسن المنظر ، فلُقّب بذلك .
والغريض : الطّريّ من كل شيء . وقال آبن الكلبي : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار   ١٠
ثم ثَقُل ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقيل : الغَرِيض . وهو من مُوَلّدي البَرْبَر .
وولاؤه للثريّا (صاحبةِ عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرُّضَيّا وقُرَيبة وأم عثمان بنات
عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّـة الأصغر . قالوا : وكان يضرب بالعود وينقر
بالدّفّ ويُوقِع بالقضيب . وكان قبل الغناء خيّاطا . وأخذ الغنـاءَ في أوّل أمره
عن عُبيد بن سُرَيج ، لأنه كان قد خدمه ؛ فلما رأى آبن سريج طبعَه وظَرْفَه وحلاوةَ   ١٥
منطقه ، خشِي أن يأخذ غناءه فيغلبَه عليه ويفوقَه بحسن وجهه ، وحسَده ، فآعتلّ
عليه وشكاه الى مَوْلياتِه ، وكنّ دفعنَه اليه ليعلّمه الغناءَ ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده .
فعرّف مَوْلَيَاتِه غرضَ آبن سريج فيه وأنه حسَدَه ؛ فقلن له : هـل لك أن تسمع

(١) الذي في الأغاني (ج ٢ ص ٣٥٩ طبع دار الكتب المصرية) : « أبو يزيد » .
(٢) الزيادة عن الأغاني .   ٢٠

نَوْحَنا على قتلانا فتأخذه وتغنّى عليه ؟ قال نعم . فأسمعنه المراثى فآحتذاها وخرّج غناءه عليها . وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرَب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلّ من سمعه . فلما كثر غناؤه عدَل الناسُ إليه لمـا كان فيه من الشّجا(١)؛ فكان آبن سريج لا يغنّى صوتا إلا عارضَه فيه فيغنّى فيه لحنا آخر . فلما رأى آبنُ سريج موقع الغَرِيض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأرمالَ والأهزاجَ ، فآشتهاها الناسُ . فقال له الغَرِيض : يا أبا يحيى قصّرتَ الغناء وحذفتَـه . قال : نعم يا مخنّثُ حين جعلتَ تنوح على أبيـك وأمّك . قال : ولم يُفَضَّل آبنُ سريج عليـه إلا بالسّبْق، وأما غير ذلك فلا .

وقال بعضُهم : كان الغرِيضُ أشجى غناءً ، وآبن سريج أحكم صَنعةً . وحكى أبو الفرج الأصفهانى بسند رفعه إلى أيّوب بن عَبَاية عن مولى لآل الغَرِيض قال: حدّثنى بعضُ مولياتى وقد ذَكَرْن الغَرِيضَ فترحّمْن عليه وقلن : جاءنا يوما فحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرفناه بعد ذلك حقيقةً . قالت : وكان آبنُ سُرَيج بجوارنا فدفعناه إليـه ولُقّن الغناء، وكان من أحسن الناس صوتًا ، ففتَن أهـلَ مكة بحسن وجهه مع حسن صوته . فلما رأى ذلك آبنُ سريج نحّاه(٢) عنـه . فكان بعضُ مولياته تعلّمه النّياحة فبرّز فيهـا . فجاءنى يوما فقال : نَهَتْنى الجنّ أن أنوح وأسمعتنى صوتا عجيبا ، فقد آبتنيتُ عليه لحنًا فآسمعيه منى، فآندفع فغنّى بصوتٍ عجيبٍ فى شعرٍ لمَرّار الأسدىّ :

حلَفتُ لها بالله ما بين ذى الغَضَا * وهَضْبِ القَنَانِ(٣) من عَوَانٍ ومن بِكْرِ

(١) كذا فى الاغانى . وفى الأصول : « عدل الناس اليه لشجانه » .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « جلاه عنه » . (٣) كذا فى الأغانى . والقنان : جبل لبنى أسد فيه ماء يدعى العسيلة . وفى الاصل : «هضب العنان» وهو تحريف .

أحبُّ إلينـا منـكِ دَلّا وما نرى * به عند ليـلى من ثواب ولا أجرِ

قالت : فكذّبناه وقلنا : شيءٌ فكّر فيه وأخرجه على هذا الجنس . فكان فى كل يوم يأتينا فيقول : سمعت البارحةَ صوتًا من الجنّ بترجيع وتقطيع ، فقد بنيتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نُنكر عليه . فإنا لكذلك ليلةً وقد ٱجتمع جماعةٌ من نساء أهـل مكة فى جمع لنا سَمَرْنا فيـه ليلتَنا والغريضُ يغنّينا بشعر عمر بن أبى ربيعة حيث يقول :

أمِن آل زينب جدّ البكورُ * نَعَمْ فَلأَىّ هواها تَصِـيرُ

إذ سمعنا فى بعض الليل عَزِيفًا عجيبا وأصواتا ذعَرتْنَا وأفزعتْنا . فقال لنا الغريضُ : إن فى هذه الأصوات صوتًا إذا نِمتُ سمعتُه وأُصبِح أَبنى عليه غِنائى ؛ فأصغينا إليه فإذا نغمتُه نغمةُ الغَرِيض بعينها ، فصدّقناه تلك الليلة .

وكانت وفاةُ الغريض باليمن فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز ، وكان قد هرَب من نافع بن عَلْقمة لمّـا ولِى مكةَ من مكة إلى اليمن وٱستوطنها ومات بها .

وللغريض أخبارٌ مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينـا أن نُثبت فى هـذا الموضع ما نقف عليه إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهانىّ فى كتابه المترجم بالأغانى فى أخبار الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المُغيرة المَخْزومىّ ، بعد أن ساق قطعة من أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله ، وأنه كان يهواها ويشبّب بها فى شعره ، ثم قال فى أثناء ذلك : لمّـا قدمتْ عائشةُ بنت طلحة مكة أرسـل إليها الحـارثُ وهو أمير مكة يومئذ ، وكان وَلِيها مِن قِبَل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها : إنى أريد السلام عليـك ؛ فإذا خفّ ذلك عليكِ أَذِنتِ ، وكان الرسولُ الغريضَ .

فأرسلت إليه: إنّا حُرُمٌ، فإذا أحللنا أذنّاك . فلما أحلّت خرجت سرًّا على بغلاتها، ولحقها الغَرِيضُ بعُسْفانَ أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها، وفيه :

ما ضَرّكم لو قلتُمُ سَدَدًا * إنّ المطايا عاجلٌ غَدُها
ولها علينا نعمةٌ سلَفت * لسنا على الأيام نجحَدُها
٥ لو أتممتْ أسبابَ نِعمتها * تمّتْ بذلك عندنا يَدُها

فلما قرأت الكتابَ قالت: ما يَدَع الحارثُ باطلَه ! . ثم قالت للغريض: هل أحدثتَ شيئا ؟ قال : نعم فاسمعى ، ثم اندفع يغنّى فى هـذا الشعر . فقالت عائشــةُ : والله ما قلنا إلا سَــدَدًا(١) ولا أردنا إلا أن نشتريَ لسانَه ؛ واستحسنت الشعرَ، وأمرت للغَريض بخمســة آلاف درهم وأثواب ، [وقالت](٢) : زِدْنى. فغنّى فى قول الحارث
١٠ أيضا حيث يقول :

زعَمــوا بأنّ البَيْنَ بعــد غَدٍ * فالقلبُ ممّــا أحدثوا يجِفُ
والعينُ مُنْذ أُجِدّ بينُهمُ * مثلَ الجُمَان دموعُها تَكِف
نشكو وتشكو ما أَشتّ بنا * كلٌّ بوَشْـك البين مُعْترِف
ومقالهــا ودموعُها سُجُـــمٌ * أَقْلِلْ حنينَك حين تنصرف

١٥ فقالت عائشــة : يا غَرِيضُ ، بحقّى عليك أهو أمرك أن تغنّينى فى هــذا الشعر ؟ قال : لا وحَياتِك يا سيّدتى؛ فأمرت له بخمســة آلاف درهم ، ثم قالت : غنّنى فى [غير](٢) شعره؛ فغنّاها بشعر عمر بن أبى ربيعة — وكان عمرُ قد سأله ذلك — فقال:

أَجْمعتْ خُلّتى مع الهجر بَيْنَا * جَلّل اللهُ ذلك الوجهَ زَيْنــا
أجمعتْ بَيْنَها ولم تَكُ منهــا * لذّةَ العيشِ والشبابِ قَضَيْنا

٢٠ (١) فى الأصل : « والله ما قال » . والتصويب عن الأغانى (ج ٣ ص ٣٢٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) التكملة عن الأغانى .

فتولّت حُمولُها واستقلّت * لم تُنِل طائلًا ولم تَقْضِ دينا
ولقد قلتُ يوم مكّة لمّا * أرسلتْ تقرأ السلام علينا
أنعم اللهُ بالرسول الذى أر * سل والمُرْسِلِ الرسالةَ عَيْنا

قال: فضحكت ثم قالت: وأنت يا غريضُ فأنعم الله بك عينًا وأنعم بآبن أبى ربيعة عينا، لقد تلطّفتَ[1] حتى أدّيتَ إلينا رسالتَه، وإنّ وفاءك له لمما يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك. وكان عمر سأل الغريضَ أن يغنّيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لمّا غضِبت بنو تَيْم من ذلك، فلم يُحِبّ التصريحَ بها وكرِه إغفالَ ذكرها. فقال له عمرُ بن أبى ربيعة: إنْ أبلغتَها هذه الأبيات فى غناء فلك خمسة آلاف درهم، فوفّى له، وأمرتْ له عائشةُ بخمسة آلاف درهم. ثم آنصرف الغريضُ من عندها، فلقِى عاتكةَ بنتَ يزيد بن معاوية آمرأةَ عبد الملك بن مروان وقد كانت حجّت فى تلك السنة؛ فقال لها جواريها: هذا الغريضُ. فقالت لهنّ: علىّ به؛ فجِئْن به إليها. قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت علىّ وسألتنى عن الخبر، فقصصته[2] عليها. فقالت: غنِّنى بما غنّيتَها به، ففعلتُ؛ فلم أرها تَهَشّ لذلك؛ فغنّيتُها معرِّضا ومذكِّرا بنفسى فى شعر مُرّة بن مَحْكان السَّعْدىّ يخاطب آمرأته وقد نزل به أضياف:

أقول والضيفُ مخشىٌّ ذَمامَتُه[3] * على الكريم وحقُّ الضيف قد وجبا
يا ربّةَ البيت قُومِى غيرَ صاغرةٍ * ضُمِّى إليكِ رِحالَ القوم والقِرَبا
فى ليلةٍ من جُمادى ذات أنديةٍ * لا يُبصِرُ الكلبُ فى ظَلْمائها الطُّنُبا
لا ينبَح الكلبُ فيها غيرَ واحدة * حتى يَلُفَّ على خَيْشُومه الذَّنَبا

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «بم لطفت».
(٢) كذا فى الأغانى (طبع دار الكتب المصرية). وفى الأصل: «فأقصصته».
(٣) الذمامة (بفتح الذال وكسرها): الذمة والعهد.

فقالت وهى مبتسمة : نعم وقد وجب حقّك يا غريض، فغنّى؛ فغنّيتها :

يادهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا (١) * بسَراتنا ووقَرتَ (٢) فى العَظْمِ

وسلبتنا ما لستَ مُخْلِفَه (٣) * يادهر ما أنصفتَ فى الحُكْمِ

لوكان لى قِرنٌ أناضله * ما طاش عند حَفيظةٍ سَهْمى

٥ لوكان يُعْطى النَّصْفَ (٤) قلتُ له * أحرزتَ قِسمك فاْلْهُ عن قِسْمى

فقالت : نُعطيك النِّصْفَ فلا يضيع سهمكُ عندنا ونُجزل لك قِسْمك، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنيّة وغير ذلك من الألطاف . قال الغريض: فأتيتُ الحارث بن خالد فأخبرتُه الخبرَ وقصَصْتُ عليه القصة؛ فأمر لى بمثل ما أمرتا لى جميعا؛ وأتيتُ ٱبن أبى ربيعة فأعلمتُه بما جرى، فأمر لى بمثل ذلك . فما ٱنصرف

١٠ أحدٌ من ذلك الموسم بمثل ما ٱنصرفتُ به : نظرة من عائشة، ونظرة من عاتكة — وهما أجمل نساء عالَمِهما — وبما أمرتا لى به، والمنزلةُ عند الحارث — وهو أمير مكة — وٱبنِ أبى ربيعة وما أجازانى به جميعا من المال .

ولنَصِل هذا الفصلَ بشىء من أخبار عائشة بنت طلحة؛ لأن الشىء بالشىء يذكر .

١٥ هى عائشةُ بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم . وأمّها أمّ كلثوم بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه . وكانت عائشةُ لا تستر وجهَها من أحد . فعاتبها مُصْعَب فى ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى وَسَمَنى بِمِيسَم جمال أحببتُ أن يراه الناس و يعرفوا فضلى عليهم فما كنتُ لأستره ، ووالله ما فِىّ وَصْمةٌ يقدر أن يذكرنى بها أحد .

٢٠ (١) فى الأصول : « كثرت بجيعتنا » . والتصويب عن الأغانى ولسان العرب (مادة «وقر») .
(٢) وقر العظم : صدعه . (٣) فى الأصل : « ما كنت » والتصويب عن الأغانى .
(٤) النصف (مثلثة) : اسم بمعنى الانتصاف .

قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وكانت شرسةَ الخُلُق، وكذلك نساءُ بنى تيم، هنّ أشرسُ خلق الله خُلُقا وأحظاهنّ عند أزواجهنّ . قال : وآلت عائشةُ من زوجها مصعب بن الزبير، فقــالت : أنتَ علىّ كظهر أُمّى، وقعــدتْ فى غرفةٍ وهيّأت ما يُصلحها . فجهِــد مصعبٌ أن تكلّمه فأبت . فبعث إليها آبنَ قيس الرُّقيّات فسألها كلامَه . فقالت : كيف بيمينى؟ فقال : ها هنا الشَّعْبىّ فقيه أهل العراق فآستفتيه . فدخل الشّعبىّ عليها فأخبرتْه ، فقال : ليس هذا بشىء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم .

وحكى أبو الفرج أنّ مصعب بن الزبير لمّـا عزَم على زواج عائشة بنت طلحة، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق وسَعيد بن العاص إلى عزّة المَيْلاء — وكانت عزّة هــذه يألفها الأشرافُ وغيرُهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف النــاس وأعلمهم بأمور النساء — فقالوا لها : إنّا خطبنا فآنظرى لنا . فقالت لمصعب : يآبن أبى عبد الله، ومَنْ خطبتَ ؟ قال : عائشة بنت طلحة . قالت : فأنت يآبن أبى أُحَيْحَة ؟ قال : عائشــة بنت عثمان بن عفّان . قالت : فأنت يآبن الصّدّيق ؟ قال : أمّ الهيثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : ياجارية، هاتى مِنْقَلَىّ (تعنى خفّيها)، فلبستهما وخرجت ومعها خادمٌ لهــا ، فبدأت بعائشة بنت طلحة ، فقــالت : فديتُك، كنّا فى مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمــالَ النساء وخَلْقَهن فذكروكِ فــلم أَدرِ كيف أَصِفُك، فديتك ، فألقِى ثيابك ؛ ففعلت فأقبلت وأدبرت فآرتجّ كلُّ شىء منها . فقالت لهــا عزّة : خُذِى ثوبك . فقالت عائشة : قد قضيتِ حاجتك وبقيت حاجتى . فقالت عزّة : وما هى ؟ فديتُك ! قالت : تغنّينى صوتا . فآندفعت تغنّى لحنها فى شعرِ لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِىّ :

خَليــلىّ عُوجَا بالمحــلّة من جُمْلِ * وأترابها بين الأُصَــيْفِرِ فآلحَبْــلِ
نَقِفْ بمَغَانٍ قــد عفا رسمَها البِلَى * تعَــاقَبها الأيامُ بالرِّيح والوَبْــلِ

(١١٠)

فلو دَرَج النمْـلُ الصـغار بجلدها * لأَنْدَب أعلى جلدها مَدْرَجُ النّمل
وأحسن خلق الله جِيدًا ومُقْـلةً * تُشَبَّه [في النسوان بالشادن الطّفل](١)

فقبّلت عائشةُ ما بين عينيها ودعت لهـا بعشرة أثواب وطرائف من أنواع الفضّة، فدفعته إلى مولاتها . وأتت النِّسوةَ على مثـل ذلك تقول ذلك لهنّ . ثم أتت القومَ في السقيفة . فقالوا : ماصنعتِ؟ فقالت : يٱبن أبي عبد الله، أمّا عائشةُ فلا والله ما رأيتُ مثلها مُقْبِـلةً ولا مُدْبرة ، محطوطةَ المتنين(٢)، عظيمةَ العجيزة، ممتلئةَ الترائب ، نقيّـةَ الثغر وصفحة الوجه ، فرعاءَ الشعر، ممتلئةَ الصدر، خميصةَ البطن ذات عُكَنٍ، ضخمةَ السُّرّة، مُسَرْولةَ الساق، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها؛ وفيها عيبان ، أمّا أحدُهما فيواريه الخِمارُ، وأما الآخرُ فيواريه الخُفّ : عِظمُ الأُذن والقدم. وكانت عائشة بنت طلحة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يٱبن أبي أُحَيْحة فإني والله ما رأيتُ مثل خَلْق عائشـة بنت عثمان لأمرأةٍ قط ! ليس فيها عيب والله لكأنمـا أُفرغتْ إفراغًا ولكن في الوجه رَدّةٌ، و إن ٱستشرتَني أشرتُ عليك . قال : هاتِ . قالت : عليك بوجه تستأنس به . وأمّا أنت يٱبن الصدِّيق : فو الله ما رأيتُ مثل أمّ الهيثم، كأنها خُوط بانة تنثني، أو كأنها جانٌّ يتثنّى على رمل، لو شئتَ أن تعقد طَرَفيها لفعلتَ، ولكنها شَخْتةُ الصـدر(٣) وأنت عريض الصـدر، فاذا كان كذلك كان قبيحًا، لا والله حتى يملأ كلٌّ شيء مثلَه . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ .

وحكى أبو الفرج أيضا : أنّ مصعبَ بن الزبير إنمـا تزوّجها بعد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال : وكانت عائشةُ بنت طلحة تُشَبّه بخالتها عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، فزوّجتها عائشةُ من ٱبن أخيها عبدِ الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو

(١) التكلة عن الأغاني (ج ١٠ ص ٥٥ طبع بولاق) .
(٢) محطوطة المتنين : ممدودتهما . (٣) شختة الصدر : دقيقته .

أوّل من تزوّجها . ولم تَلِد عائشةُ بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره، ولدت له عمران وبه كانت تُكْنَى[1]، وعبدَ الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة، ولكلّ من هؤلاء عَقِبٌ . وأنا من عِقب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر من ولده ليث ابن طلحة . وليس هذا موضع سرد نسبى فأسرده .

٥ قال أبو الفرج : وصارمت عائشةُ بنت طلحة زوجَها عبد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مُغْضَبة تريد عائشةَ أمّ المؤمنين رضى الله عنها . فرآها أبو هريرة فسبّح الله تعالى وقال : كأنها من الحُور العِين . فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر . وكان عبد الله قد آلى منها ؛ فأرسلت عائشة إليه : إنى أخاف عليك الإيلاءَ؛ فضَمّها إليه وكان مُولِيًا منها[2] . فقيل له : طلِّقها؛ فقال :

١٠ يقولون طَلِّقْها لِأُصبِح ثاوِيًا * مُقيمًا علىّ الهـمُّ ، أحلامُ نائم

وإنّ فِراقى أهلَ بيت أُحِبّهم * لهم زُلْفةٌ عندى لإحدى العظائم

وتُوفِّى عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فما فتحتْ فاهَا عليه ؛ وكانت عائشةُ أُمّ المؤمنين رضى الله عنها تَعُدّ هذا عليها فى ذنوبها التى تعدّدها . ثم تزوّجها بعده مصعب بن الزبير، فمهَرَها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . فبلغ ذلك

١٥ أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إنّ مصعبا قدّم أيْره وأخّر خيره . فبلغ قولُه عبدَ الملك ابن مروان فقال : لكنّه هو أخّر خيرَه وأيْرَه . وكتب عبد الله الى أخيه يؤنّبه على ذلك ويُقسم عليه ألّا يَلْحَق بمكة ولا ينزل بالمدينة ولا ينزل إلّا بالبيداء، وقال له : إنى لأرجو أن تكون الذى يُخْسَف به بالبيداء، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا . فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

٢٠ (١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « وبه كان يكنى » .

(٢) فى الأصول : «ملق فيها» . والتصويب من الأغانى .

وكانت عائشة تمتنع على مصعب فى غالب الأوقات. فحُكى أنه دخل عليها يوما وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها. فقالت : نومتى كانت أحبّ الىّ من هذا اللؤلؤ. ولم تزل حالُها معه على مثل ذلك حتى شكا ذلك الى كاتبه آبن أبى فَرْوة. فقال له : أنا أكْفيك هذا إن أذِنتَ لى. قال : نعم! اِفعلْ ما شئتَ. فأتاها ليلًا ومعه أسودانِ فآستأذن عليها. فقالت : أفى مثل هـذه الساعة؟ قال نعم؛ فأذِنت له فدخل. فقال للأسودين : آحفِرا هاهنا بئرا. فقالت له جاريتُها : وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤمُ مولاتك، أمرنى هذا الظالمُ أن أدفنها حيّة، وهو أسْفَكُ خلقِ الله لدَمٍ حرام. قالت عائشة : فأَنظِرْنى أذهبْ اليه؛ قال : هيهات لاسبيلَ إلى ذلك، وقال للأسودين: آحفِرا. فلما رأت الجِدَّ منه بكت وقالت : يآبن أبى فروة، إنك لقاتلى ما منه بدّ؟ قال : نعم، وإنى لأعلم أن الله عزّ وجلّ سيُخْزيه بعدكِ، ولكنّه قد غَضِب وهو كافرُ الغضب. قالت: وفى أى شىء غضبُه؟ قال : مِن آمتناعِك عليه وقد ظنّ أنك تُبْغِضينه وتَتَطلّعين إلى غيره، فقد جُنّ. فقالت :أَنشُدُك اللهَ إلّا عاودتَه. قال : أخاف أن يقتلنى؛ فبكت وبكى جواريها. فقال لها : قد رَقَقْتُ لكِ وحلَف لها إنه يغرّر بنفسه، وقال لها : فما أقول؟ قالت : تضمَن له عنّى أنى لا أعود أبدًا. قال: فمالى عندك؟ قالت: قيامٌ بحقّك ماعِشت. قال: فأعطينى المواثيق فأعطته. فقال للأسودين : مكانكما. وأتى مصعبًا فأخبره. فقال : آستوثِق منها بالأيمان؛ فآستوثق منها ففعلت، وصلحت بعد ذلك لمصعب.

قال: وكان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بها. ولم يكن لها شبيه فى زمانها حُسْنا وديانةً[1] وجمالا وهيئةً وشارةً وعِفّة. وإنها دعت يومًا نِسوةً من قريش، فلما جئنها

(١) فى الأغانى : « دماثة ».

أجلستهن فى مجلس قد نُضد فيه الريحان والفواكه والطِّيب والمجامرُ، وخلعت على كلّ آمرأة منهن خلعة من الوَشْى والخزّ ونحو ذلك، ودعت عَزّةَ المَيْلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفته ؛ ثم قالت لعزّة : هاتِ ياعزّةُ فغنّينا . فغنّتهن فى شعر آمرئ القيس فقالت :

وثغر أغرّ شَنِيب اللِّثاتِ * لذيذ المُقَبَّلِ والمُبْتَسَمْ ٥

وما ذقتُه غيرَ ظنٍّ به * وبالظنّ يَقضِى عليك الحَكَمْ

وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوانٌ له، فقام فآنتقل حتى دنا منهنّ والستور مُسْبَلةٌ، فصاح بها : ياهذه، إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفتِ، فبارك الله فيك ياعزة، ثم أرسل إلى عائشة: أمّا أنت فلا سبيل لنا اليك مع من عندكِ، وأمّا عزّةُ فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوتَ ثم تعود إليك، ففعلت وخرجت عزّة اليهم فغنّتهم ١٠ هذا الصوتَ مرارًا، وكاد مصعب أن يذهب عقلُه فرحا . ثم قال لها : ياعزّة، إنك لتُحسنين القول والوصفَ، وأمرها بالعَوْد إلى مجلسها .

قال : ولم تزل عند مصعب حتى قُتِل عنها . فخطبها بِشر بن مروان، وقدِم عمر آبن عبيد الله بن مَعْمَر التَّيْمى من الشأم فنزل الكوفةَ، فبلَغه أن بشرًا خطبها، فأرسل إليها جاريةً لها وقال : قُولى لآبنة عمّى : آبنُ عمك يُقرِئكِ السلام ويقول لكِ : ١٥ أنا خير لك من هذا المَبْسور المَطْحول، وأنا آبن عمك أحقّ بك، وإن تزوجتُ بك ملأتُ بيتك خيراً وفَرْجَك أيْرا . فتزوّجته فبنى عليها بالحِيرة، فمَهّدت له سبعة أفرشة عَرْضُها أربع أذرع ؛ فأصبح ليلةَ بنى بها عن تسعة . فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص، فديتُك! قد كَمَلتَ فى كلّ شىء حتى فى هذا . وقيل إنه لمّا تزوّجها حمل إليها ألف ألف درهم، خمسمائة ألف مهر، وخمسمائة ألف هديّة، وقال لمولاتها : ٢٠ لك علىّ ألف دينار إن دخلتُ بها الليلةَ، وأمر بالمال فحُمِل فأُلقِى فى الدار وغُطّىَ

بالثياب، وخرجت عائشة فقالت لمولاتها : ما هـذا ؟ أفرشٌ أم ثيابٌ ؟ قالت : أُنظرى إليه، فنظرت فاذا هو مال، فتبسّمت . فقالت الجارية : أجزاءُ من حملَ هذا المـال أن يبيت عَزَبا ! قالت : لا والله، ولكن لا يجوز دخولُه إلا بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : وماذا ؟ فوالله لَوَجْهُك أحسنُ من كلّ زينة وما تَمُدّين يديك إلى طِيب أو ثوب أو مال أو فراش إلا وهو عندك، وقد عزَمتُ عليك أن تأذنى له . فقالت : ٱفعلى . فذهبت إليه فقالت له : بِتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العِشاء الآخرة فأُدنِى إليه طعام فأكل الطعامَ كلَّه حتى أعرى الخوانَ وغسل يده وسأل عن المُتَوَضَّأ فأُخبر به، فقام فتوضّأ وقام يصلّى حتى ضاق صدرى ونمتُ، ثم قال : أعليكم آذَن؟ قلت : نعم فٱدخُل، فأدخلتُهُ وأسبلتُ السِّتر عليهما . فعـدَدْتُ له فى بقيّة الليـلة على قلّتها سبعَ عشرة مرّةً دخل المُتوضّأ فيها . فلما أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئا ؟ قلتُ : نعم والله ما رأيت مثلك ! أكلتَ أكلَ سبعة وصلّيت صلاة سـبعة ونِكْتَ نيك سبعة ! فضحك وضرب بيـده على منكِب عائشة وقال لهـا : كيف رأيتِ ٱبنَ عمّك ؟ فضحكت وغطّت وجهها وقالت :

قد رأينــاك فلم تَحْلُ لنا * وبلوناك فلم نَرْضَ الخبَرْ

ومكثت عائشةُ عند عمر بن عبيد الله ثمانىَ سنين حتى مات سنة ٱثنتين وثمانين . ولمـا مات ندبته قائمةً، ولم تندُب أحدًا قبله من أزواجها إلا جالسة . فقيل لها فى ذلك فقالت : إنه كان أكرمهم علىّ وأمسَّهم بى رَحِمًا، فأردتُ ألّا أتزوّج بعده . وكانت المرأةُ إذا ندبت زوجها قائمةً لا تتزوّج بعده أبدا . ولم تتزوّج عائشةُ بنت طلحة بعد زوجها عمر بن عبيد الله .

ومن أخبار عائشة بنت طلحة أيضا ما رواه أبو الفرج الأصبهانىّ بسنده إلى يزيد ٱبن عِياض، قال :

استأذنت عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبـدَ الملك فى الحجّ، فأذن لها وقال: آرفعى حوائجَك وآستَظْهِرى، فإن عائشة بنت طلحة تَحُجّ، ففعلت وتجهزت بهيئـة جَهَـدت فيها. فلمـا كانت بين مكة والمدينـة إذا موكبٌ قد جاء فضَغَطها(١) وفرّق جماعتها؛ فقالت: أرى هذه عائشةَ بنتَ طلحة، فسألت عنها، فقالوا: هذه جاريتُها(٢). ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك، فقالوا: عائشة عائشة، فضَغَطَهم فسألت عنها، فقالوا: هذه ما شِطتُها. ثم جاءت مواكبُ على هذا الحاشيتها، ثم أقبلت فى ثلثمائة راحلة عليها القِباب والهوادج؛ فقالت عاتكةُ: ما عند الله خير وأبقى. قال: ووفَدَت عائشةُ بنتُ طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبَسَت السماء مطرَها ومنع السلطان الحقَّ. قال: فأنا أصِل رحمك وأعرف حقَّك. ثم بعث إلى مشايخ بنى أميّة فقال: إن عائشة عندى فآسمُروا عندى الليلة فحضروا؛ فما تذاكروا شيئا من أخبار العـرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيـه، وما طلع نجمٌ ولا غار إلا أسمَتْه. فقال لها هشام: أمّا الأوّل فلا أُنكره، وأمّا النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتُه(٣) عن خالتى عائشة رضى الله عنها؛ فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينـة.

قال: ولمـا تأيّمت عائشة كانت تُقيم(٤) بمكة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصرٍ لها هناك فتتنزه وتجلس فيه بالعشِيّات، فتتناضل بين [يديها](٥) الرُّماةُ. فمرّ بها النُّميرىّ الشاعر، فسألت عنه فآنتسب لها؛ فقالت: آئتونى به، فجىء به.

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٠ ص ٦٠ طبع بولاق). وفى الأصل: «فضعضعها».

(٢) فى الأغانى: «خازنتها».

(٣) هكذا بالأصول. وفى الأغانى: «أخذتها».

(٤) كذا بالأغانى. وفى الأصل: «مقيمة».

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فقالت له : أَنْشِـدنى مما قلتَ فى زينب ؛ فآمتنع وقال : بنتُ عمّى وقـد صارت عظاما بالية . قالت : أقسمتُ عليك لمّـا فعلت ؛ فأنشدها قوله :

تَزَلْنَ بفَـخٍّ[1] ثم رُحْنَ عشِـيَّةً * يُلَبِّين للرحمن مُعْتَمِـراتِ

يُخَمِّرن أطرافَ الأكفّ من التّقى * ويَخرجن جُنْحَ اللّيل مُعْتَجِراتِ[2]

ولمـا رأت ركبَ النُّمَيْرىّ راعها * وكنّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنـه حَذِراتِ

تضوّع مِسْكا بطنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَتْ * به زينبٌ فى نِسـوةٍ خفِراتِ

— وزينبُ هذه هى زينب بنت يوسف الثّقفىّ أختُ الحجّاج، وكان النميرىّ يهواها ويُشبّب بها، وله معها أخبارٌ يطول شرحُها ليس هذا موضع إيرادها — قال : فقالت له عائشـة لمـا أنشدها هـذا الشـعر : والله ما قلتَ إلا جميـلا، ولا وصفتَ إلا كرما وطِيبًا ودينا وتُقًى، أعطُوه ألف درهم . فلما كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لهـا، فقالت : علىّ به ؛ فجاء فقالت له : أنشدنى من شعرك فى زينب ؛ قال : فأُنْشِدُكِ من قول الحارث فيك . فوثب مواليها إليه ، فقالت : دعوه فإنه أراد أن يَستقِيد لأبنة عمّه، هاتِ؛ فأنشدها :

ظَعَن الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ * وغدا بلبِّـك مَطْلَع الشرقِ

وتَنُـوء تُثقِلها عجِـيزَتُها * نهضَ الضعيف ينوء بالوَسْقِ

ما صبّحت زوجًا بطلعتهـا * إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ

بيضاءُ من تَيْمٍ كَلِفتُ بهـا * هذا الجنونُ وليس بالعِشقِ

(١) اسم واد بمكة .

(٢) فى الكامل للبرد (ص ٢٩٠ طبع أوربا) ورد هذا البيت هكذا :

يخبئْن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

فقالت : والله ما ذكر إلا جميلا ، ذكر أنى إذا صبّحتُ زوجا بوجهى غدا بكواكب الطَّلْق ، وأنى غدوتُ مع أمير تزوّجنى الى الشرق ، أعطوه ألف درهم وآكسوه حُلّتين ولا تَعُد لإتيانا يانميرىّ والله أعلم . [ولنرجع إلى أخبار المغنّين] (١) .

ذكر أخبار محمد بن عائشة

يكنى أبا جعفر ولم يكن له أبٌ يعرف فنُسِب الى أمه ؛ وكان يزعم أن آسم أبيه جعفر . وعائشة أمه مولاةٌ لكَثِير بن الصَّلْت الكِندىّ حليف قريش ، وقيل : هى مولاة لآل المطلب بن [أبى] (٢) وَداعة السَّهْمى . وقال آبن عائشــة ــ وقد سأله الوليد بن يزيد فقال : يا محمد ألبِغْيَة أنت؟ (٣) ــ : كانت أمى يا أمير المؤمنين ماشطةً وكنت غلاما ، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت (٤) : آرفعوا هذا لآبن عائشة ، فغلَبت على نسبى . قالوا : وكان آبن عائشة يفتِن كلَّ من سمعه ، وكان فتيان [من] (٢) المدينة قد فسدوا فى زمانه بمحادثته ومجالسته . وأخذ عن معبد ومالك بن أبى السَّمْح ، ولم يموتا حتى ساواهما على تقــديمه لهما وآعترافه بفضلهما . وكان تيّاهًا سيِّئ الخُلُق ، إن قال له إنسان : تغنَّ قال : ألمِثــلى يقال هــذا ! فإن غنّى وقال له إنسان : أحسنت ، سكت ؛ فكان قليلا ما يُنتفع به .

وكان آبن عائشة مُنْقطِعًا إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مُكْرِما له . فسأله الحسن أن يخرج معــه إلى البُغَيْبِغة (٥) ، فآمتنع آبنُ عائشة ؛ فأقسم عليه وأظهر الجِدّ .

(١) هذه الزيادة فى إحدى النسخ .

(٢) الزيادة عن الأغانى (ج ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) فى الأصل بعد هذه العبارة : «قال» وهى مكررة مع قوله : «وقال ابن عائشة» .

(٤) رواية الأغانى (ج ٢ ص ٦٢) «قالوا» .

(٥) ضيعة بالمدينة أو عين غزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فى القاموس .

فلما عاين ما ظهر عليه قال: أَخرُج طائعا لا كارها؛ فأمر له ببغلة فركبها ومَضَيا الى البُغَيْبِغة، فنزلا الشِّعبَ ثم أكلوا. وقال له: غنِّني، فآندفع فغنّاه صوتا فآستحسنه. فقال ابن عائشة: والله لا غنّيتُك في يومي هذا شيئا. فأقسم الحسنُ ألّا يفارقَ البغيبغةَ ثلاثةَ أيام. فآغتمّ آبن عائشة ليمينه وندِم. فلما كان في اليوم الثاني قال له: غَنِّ فقد برّت يمينُك؛ فنظر إلى ناقةٍ تقدُم جماعةَ إبلٍ فآندفع يغنّي:

تَمُــرّ بجَنْــدلةِ ٱلمنجنيـ * ـقِ يُرْمَى بها السُّورُ يوم القتال

وهي أبيات لأميّة بن أبي عائذ الهذليّ يصف حمارا وحشيًّا؛ والبيت «يمر» بالياء.

وقيل: سال العقيق مرّةً فدخل عَرْصَةَ سعيد بن العاص [الماء][1] حتى ملأها، فخرج الناس إليها، وخرج آبن عائشة فجلس على قرن البئر. فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن على بغلة ومعه غلامانِ أسودانِ، فقال لهما: امضيا رويدا حتى تقفا بأصل القَرْن الذي عليه آبنُ عائشة، ففعلا ذلك. ثم ناداه الحسن: كيف أصبحْتَ يآبن عائشة قال: بخير. قال: آنظر مَنْ تحتك، فنظر فإذا العَبْدانِ. قال: أتعرفهما؟ قال نعم. قال: فهما حُرّانِ لئن لم تُغَنِّني مائة صوت لآمرنّهما بطَرْحك في البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما[2]. فآندفع آبن عائشة وغنّى بشعر الهُذَليّ:

ألَا للهِ درّك مِنْ * فتًى قومٍ إذا رَهِبوا

وقالوا مَنْ فتًى للحر * ب يَرْقُبنا ويَرتَقِب[3]

فكنتَ فتاهمُ فيها * إذا تُدْعَى لها تَثِبُ

---

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٥ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كذا في الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٦) وفي الأصل: «فهما أحرار إن لم تغن مائة صوت لآمرهما بطرحك في البئر وهما حران ان لم يفعلا إن لم أقطع أيديهما».

(٣) في الأصل: «فنرتقب» والتصحيح عن الأغاني وديوان الهذليين.

ذكرتُ أخى فعـاودنى * صُداعُ الرأس والوَصَبُ

كما يَعتـادُ ذاتَ البـوّ بعـد سلوّها الطَّـربُ

على عبـد بن زُهْرَةَ بتُّ طول الليـل أنتحبُ

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه إلى حمّاد الراوية :

أن الوليد بن يزيد آستقدمه من العراق إلى الشأم على دَوابّ البريد . وكان ٥
ممّا حكاه عنه قال : قدِمتُ عليه فأذِن لى، فدخلتُ فإذا هو على سريرٍ مُمَهّد وعليه
ثوبانِ أصفرانِ وعنده معبدٌ ومالك بن أبى السَّمْح وأبو كامل مولاه، فآستنشدنى :

* أمِن المنونِ وريبِها(١) نتوجّعُ *

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها . ثم قال : يا مالك، غنّنى :

ألا هل هاجك الأظعا * نُ إذ جاوزن مُطّلَحا ١٠

فغنّاه . ثم قال : غنّنى :

جَـلَا أميّـةُ عنّى كلَّ مَظْلِمةٍ * سهلَ الحجاب وأوفى بالذى وعَدَا

فغنّاه . ثم قال : غنّنى :

أتَنْسَى(٢) إذ تُودِّعُنـا سُلَيْمى * بِفرعِ بَشَامةٍ، سُقِىَ البَشامُ !

فغنّاه، ثم أتاه الحاجبُ فقـال : يا أميرالمؤمنين، الرجلُ الذى طلبت بالباب، ١٥
فأذِن له فدخل شابٌّ لم أرَ أحسنَ وجهًا منه . فقال له : غنّنى :

وهى إذ ذاك عليهـا مِئْزرٌ * ولها بيتُ جَوارٍ مِن لُعَبِ

فغنّاه، فنبذ إليه الثوبين، ثم قال : غنّنى :

---

(١) ويروى : « وريبه » وكلاهما صحيح، لأن المنون يذكر ويؤنث .

(٢) رواية اللسان : « أتذكر » بدل « أتنسى » . وروى بوجه آخر والشعر لجرير : ٢٠

* أتذكر يوم تصقل عارضيها *

طاف الخيالُ فمرحبا * ألفًا برؤية زينبا

فغضب معبدٌ وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مُقْبِلون عليك بأقدارنا وأسناننا وإنك تركتنا بمَزْجَر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبيّ . فقال : يا أبا عبّاد ، ما جهِلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طَرحني فى مثل الطَّنَاجير من حَرارة غِنائه . قال حمّاد :
٥ فسألت عن الغلام فقيل لى : هو آبن عائشة .

وحُكِى عن شيخ من تَنُوخ قال : كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد ، فرأيت آبن عائشة عنده وقد غنّاه :

إنى رأيتُ صبيحةَ النَّفْرِ * حُورًا نَفَيْن عزيمةَ الصبرِ

مثلَ الكواكب فى مطالعها * بعد العِشاء أطفن بالبدرِ

١٠ وخرجتُ أبغى الأجرَ مُحْتسِبا * فرجَعتُ موفورًا من الوِزْرِ

فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : ياغلام ، آسقِنا بالسماء السابعة[1] ، ثم قال : أحسنتَ والله يا أميرى ، أعِد بحقّ عبد الشمس فأعاد ، ثم قال : أحسنت يا أميرى والله ، أعِد بحق أميّة فأعاد ، ثم قال : أعِد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعِدْ بحياتى فأعاده ، فقام فأكبّ عليه ، فلم يَبْق عضوٌ من أعضائه إلّا قبّله
١٥ وأهوى إلى فَرجه ، فجعل آبنُ عائشة يضمّ فخِذَيه عليه ، فقال : والله العظيم لا تَرِمْ[2] حتى أقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجرّدا إلى أن أتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار وحَمله على بغلة وقال : آركبها بأبى أنتَ وآنصرِف ، فقد تركتنى على مثل المِقْلَى من حرارة غنائك . فركبها على بساطه وآنصرف .

(١) فى الأغانى (ج ٢ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية) : « الرابعة » .
٢٠ (٢) أى لا تبرح .

وحُكِى أيضا أن آبن عائشة آنصرف من عند الوليد وقد غنّاه :

أبعـدَكَ مَعقِلًا أرجو وحِصنًا * قَدَ آعيتنى[1] المعـاقلُ والحصونُ

فامر له بثلاثين ألف درهم وبمثـل كارَةِ القصّار[2] كسوةً . فبينا آبن عائشة يسير إذ نظر إليه رجلٌ من أهل وادى القُرى ، وكان يَشتهى الغناءَ ويشرب النبيذَ ، فقال لغلامه : مَن هـذا الراكب ؟ قال : آبنُ عائشة المغنّى ، فدنا منه فقـال : جُعلت فِداءك ! أنتَ آبن عائشة أمّ المؤمنين ؟ قال : لا أنا مولًى لقريش وعائشةُ أمى ، وحسبُك هذا . قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المـال والكُسْوة ؟ قال : غنّيتُ أمير المؤمنين صوتا فأطربه فكفَر وترك الصـلاةَ وأمر لى بهذا المـال وهذه الكسوة . قال : جُعلتُ فداءك ! فهل تَمُـنّ علىّ أن تُسمِعَنى ما أسمعتَهُ إيّاه ؟ فقال : ويلك ! أمثلى يُكلَّم بهذا فى الطريق ! قال : فما أصنع ؟ قال : آلحقنى بالباب . وحرّك آبنُ عائشة بغلتَه لينقطعَ عنـه ، فعدا معه حتى وافيا الباب كفَرَسَىْ رِهانٍ . ودخل آبنُ عائشـة فمكث طويلا طمَعًا أن يضجَرَ فينصرفَ ، فلم يفعل حتى أعياه . فقال لغـلامه : أَدخِله ، فلما دخل ، قال له : ويلك ! مِن أين صبّك اللهُ علىّ ! قال : أنا رجل من أهل وادى القُرى أشتهى هذا الغناءَ . فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرفُ بها الى أهلك . فقال له : جُعِلتُ فداءك ! والله إن لى بُنَيّةً ما فى أُذنها — علم الله — حَلَقةٌ من الوَرِق فضلا عن الذهب ، وإن لى زوجةً ما عليهـا — شهد الله — قميصٌ ، ولو أعطيتَنى بجميعَ ما أمر لك به أمير المؤمنين على هـذه الحالة والفقر اللّذين عَرَّفتُكهما وأضعفتَ لى هـذا لكان

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢ ص ٢٢٧) . وفى الأصل : « وراعتنى » .

(٢) القصار هو الذى يحوّر الثياب ويدقها . والكارة : ما يحمله من الثياب . قال صاحب اللسان : وسميت بذلك لأنه يكوّر ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها على بعض .

الصوتُ أعجبَ إلىّ . فتعجّب آبن عائشة وغنّاه الصوت ، فجعل يحرّك رأسه ويطرَب له طرباً شديدا حتى ظنّ أن عنقَه ستَنْقصف؛ ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئا . وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد، فسأل آبنَ عائشة عنه ، فجعل يغيب عن الحديث؛ فلم يزل به حتى صدَقَه الحديثَ ، فطلب الرجلَ ، فطُلِب حتى أُحضِر إليه ووصله صِلةً سنيّةً وجعله من ندمائه ووكّله بالسَّقْى؛ فلم يزل معه حتى قُتل رحمه الله .

وعن علىّ بن الجهم الشاعر قال : حدّثنى رجل أن آبن عائشة كان واقفا بالموسِم مُهَجِّراً[1] . فمرّ به بعضُ أصحابه فقال : ما يُقيمك هاهنا؟ قال : إنى أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناسَ هاهنا فلم يذهب أحدٌ ولم يجئ . فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ؛ ثم آندفع يغنّى :

جَرَتْ سُنُحًا فقلت لها أَجِيزِى * نوًى مشمولةً فمتى اللّقاءُ

بنفسى مَن تَذَكُّره سَقَامٌ * أُعَانِيه ومَطْلَبُهُ عناءُ

قال : فحبس الناسَ وآضطربت المحاملُ ومدّت الإبلُ أعناقَها ، فكادت الفتنة أن تقع . فأُتِى به هشام بن عبد الملك ، فقال له : ياعدوّالله ! أردتَ أن تفتِنَ الناسَ ! قال : فأمسك عنه وكان تيّاهًا ؛ فقال له هشام : أُرْفُق بتِيهِك. فقال : يحقّ لمن كانت هذه مقدرتَه على القلوب أن يكون تيّاها ! فضحك هشامٌ وخلّى سبيله .

وآختُلِف فى وفاة آبن عائشة وسببها . فقيل : كانت وفاتُه فى أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل : فى أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تقدّم أنه نادم الوليدَ وغنّاه . والذى يقول : إنه تُوفّى فى أيام هشام يزعُم أنه نادمَ الوليدَ فى أيام ولايته العهدَ . وكانت وفاتُه بذى خُشُبٍ ، وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سببُ وفاته أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشأم ؛ فلما نزل قصرَ ذى خشبٍ جلس على سطحه ،

(١) فى الأغانى (ج ٢ ص ٢٠٨ طبع دار الكتب المصرية) : « متحيرا » .

فغنّى آبنُ عائشــةَ صوتًا طرِب له الغمرُ، فقال : أعِدْه فأبَى، وكان لا يردّد صـوتا لسوء خُلُقه. فأمر به فطُرِح من أعلى السطح فمات. وقيل: بل قام من الليل يبول وهو سكرانُ فسقط من السطح فمات. وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن يزيد، فلما قَرُب من المدينة نزل بذى خُشُب، وكان والى المدينة إبراهيم بن هشام المخزومىّ وكان فى قصره هناك، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم. فلما أخذوا فى الشّرب أخرج المخزومىّ جوارِيَه، فنظر إلى آبن عائشة وهو يغمز جاريةً منهنّ، فقال لخادمه : إذا خرج آبن عائشة يريد حاجتَه فآرْمِ به من القصر، وكانوا يشربون فى سطح القصر. فلما قام رماه الخادم فمات. وقيل: بل أقبل من الشأم فنزل بقصر ذى خُشُب فشرب فيه ثم صعِد إلى أعلى القصر فنظر إلى نسوة يمشِين فى ناحية الوادى، فقال لأصحابه: هل لكم فيهنّ ؟ فقالوا: وكيف لنا بهنّ! فلبس مُلاءةً مدلوكةً ثم قام على شُرْفة من شُرُفات القصر وتغنّى بشعر آبن أُذَيْنة :

وقد قالت لأترابٍ * لهـا زُهْـــرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْن فقــد طاب * لنـا العيشُ تعالَيْنـا

فأقبلن عليه، فطرِب وآستدار فسقط فمات، عفا الله تعالى عنه ورحمه. وقيل : بل مات بالمدينة . وأوّل هذه الأبيات :

سُلَيْمَى أزمعت بَيْنا * وأيـن لقاؤُها أيْنا
وقد قالت لأترابٍ * لهـا زُهْرٍ تلاقينـا
تعـالَيْن فقد طاب * لنا العيش تعـالينا
فأقبلن إليهـا مُسْـ * ـرِعات يتهـادينا
إلى مثـل مَهَاة الرمـ * ـل تكسو المجلس الزَّيْنا

إلى خَـوْدٍ مُنعَّمة * حَففنَ بها وفَدَّينا
تمنَّين مُنَـاهنّ[(1)] * فكنّا ما تمنّينـا

ذكر أخبار ابن مُحْـرِز

هو مسلم، وقيل: عبد الله بن مُحرز، ويُكْنى أبا الخطاب، مولى عبد الدار بن قُصَيّ . وكان أبوه من سَـدَنة الكعبة، وأصلُه من الفرس . وكان يسكن المدينةَ مرّةً ومكّة مرّةً . فكان إذا أتى المدينةَ أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضربَ من عَزّة الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيُقيم بها ثلاثةَ أشهر. ثم شخَص إلى فارس فتعلّم ألحانَ الفرس وأخذ غناءَهم ، ثم صار إلى الشأم فتعلّم ألحان الروم[(2)] وأخذ غناءهم . وأسْـقَط من ذلك مالا يُسْتحسن من غناء الفريقين ونغمهم وأخذ محاسنَها، فمزَج بعضَها ببعض وألّف منها الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب، فأتى بما لم يُسْمع مثلُه . وكان يقال له صَنّاج العرب .

وقيـل : إنه أوّل من أخذ الغناء عن ابن مِسْجَح . وهو أوّل من غنّى بالرَّمَل وما غُنّى قبله . وكان ابنُ محرز قليلَ المُلابَسةِ للناس، فأخمل ذلك ذكرَه . وأخذ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصـديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذه الناسُ عنهـا . ومات بعلّة الجُذام ، وكان ذلك سببَ امتناعه من معاشرة الخلفاء ومخالطةِ الناس .

وحُكِى أنه رحل إلى العراق، فلما بلغ القادسيّةَ لَقِيه حُنَيْنٌ فقال له : كم منّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار؛ قال : هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلِف ألّا تعود، ففعل . فلما شاع ما فعل حنينٌ لامه أصحابُه : فقال : والله لو

(1) فى الأصل : «فنين» . والتصويب عن الأغانى (ج ٢ ص ٢٣٧ طبع دار الكتب المصرية) .

(2) كذا فى الأغانى (ج ١ ص ٣٧٨ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : «ألحان الشأم» .

دخل العراق ما كان لى معه خبزٌ آكله ولأُطرِحتُ ثم سقطتُ إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار ابن محرز على أكثر من هذا فأُورِده . والسلام .

ذكر أخبار مالك بن أبى السَّمْح

هو أبو الوليد مالك بن أبى السَّمْح . واسم أبى السمح جابر بن ثعلبة الطائى ، وأمّه قرشيّةٌ من بنى مَخْزوم ؛ وقيل : بل أمّ أبيه [منهم] [1] ؛ وقيل فيه : مالك بن أبى السمح بن سليمان . وكان أبوه منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ويتيمًا فى حِجْره أوصى به أبوه إليه . وكان مالكٌ أحولَ طويلا . وأخذ الغناءَ عن جميلة ومعبد وعمر ، وأدرك الدولة العباسيّة . وكان منقطِعًا إلى بنى سليمان بن علىّ ، ومات فى خلافة أبى جعفر المنصـــور .

وروى الأصفهانىّ بسنده إلى الوَرْدانىّ ، قال :

كان مالك بن أبى السمح المغنّى من طيّء ، فأصابتهم حُطْمة [2] فى بلادهم بالجبلين ، فقدِمت به أمّه وبإخوة له وأخواتٍ أيتامٍ لا شىء لهم . وكان يسأل الناسَ على باب حمزة بن الزبير . وكان معبدٌ منقطعا إلى حمزة يكون عنده فى كل يوم . فسمِع مالكٌ غناءَه فأعجبه واشتهاه . وكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناءَ معبد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يَرِيم [3] موضعَه ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد فيؤدّيها نغمًا بغير لفظ . وجعل حمزةُ كلما غدا أو راح رآه ملازما لبابه ؛ فقال لغلامه يوما : أَدْخِل هـذا الغلامَ إلىّ فأدخله الغلام إليه ؛ فقال له حمزة : من أنت ؟ قال : غلام من طيّء

---

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٥ ص ١٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الحطمة : السنة الشديدة . (٣) لا يريم : لا يبرح .

أصابتنا حُطْمة بالجبلين فهبطنا إليكم ومعى أمٌّ لى وإخوةٌ، وإنى لزِمتُ بابَك فسمعت من دارك صوتًا أعجبنى ولزمت بابك من أجله . قال : فهل تعرف منه شيئا ؟ قال : أعرف لحنه كلَّه ولا أعرف الشعر . فقال : إن كنت صادقًا إنك لَفَهِمٌ . ودعا بمعبد فأمره أن يغنّى صوتا فغنّاه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم . قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نغمه بغير شعر[1]، يؤدّى مَدّاته وليّاته وعَطَفاته ونَبَراته ومتعلقاته لايَخْرِم منه حرفا . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرّجه فَلَيكونَنّ له شأنٌ . قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك؟ قال : لِتكونَ محاسنُه منسوبة إليك وإلّا عَدَاك إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبةً إليه . فقال معبد: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتنى به . قال حمزة لمالك : كيف [وجدتَ][2] مُلازمتَك لبابنا؟ قال: أرأيتَ إن قلتُ فيك غير الذى أنتَ له مستحقّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك ؟ قال لا . قال: وكذلك لا يسرّك أن تُحمَد بما لم تفعل ؛ قال نعم . قال : فوالله ما شبِعت على بابك شَبْعةً قط ، ولا انقلبتُ إلى أهلى منه بخير . فأمر له ولأُمّه ولإخوته بمنزل وأجرى عليهم رِزقًا وكُسوةً وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه ،وأمر معبدًا أن يطارِحه فلم يَنْشَب أن مَهر . فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادةَ الذى قتله هُدْبَةُ بن خَشْرم ــ والشعرُ لأخى زيادة ــ :

أبعدالذى بالنَّعْف نعفِ كُوَيكب * رهينــةَ رمسٍ ذى تُرابٍ وجَندلِ

أُذَكَّر بالبُقيا على من أصابنى[3] * وذلك أنّى جاهــدٌ غــيرُ مؤتلِى

فــلا يَدْعُنِى قومِى لزيدِ بن مالكٍ * لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أو أُعجَّلِ

(١) فى الأصول : « شىء » والتصحيح عن الأغانى (ج ٥ ص ١٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الزيادة عن الأغانى . (٣) فى الأغانى : « وبقياى أنى ... » وورد البيت فى اللسان (مادة «بقى») منسوبا الى أبى القمقام الأسدى هكذا :

أذكر بالبقوى على ما أصابنى * وبقواى أنى جاهد غير مؤتلى

وإلّا أنَلْ ثأرى من اليوم أو غدٍ * بنى عمّنا فالدّهرُ ذو مُتطوَّلِ
أنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً[1] * فنحن مُنيخُوها[2] عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى فى هذا الشعر لحنَيْن، أحدُهما نَحَا فيه نحو المرأة فى نَوْحها ورقّقه وأصلحه، والآخرُ نحا فيه نحو معبد فى غنائه . ثم دخل على حمزة فقال له : أيها الأمير، إنى قد صنعتُ غناءً فى شعر سمعتُ أهلَ المدينة يُنشدونه وقد أعجبنى، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه . قال : هاتِ؛ فغنّى اللحنَ الذى نحا فيه نحو معبد؛ فطرب حمزة وقال : أحسنتَ يا غلام، هذا الغِناءُ غناءُ معبد بطريقته . قال : لا تَعْجَلْ أيها الأمير وٱسمع منّى شيئا ليس من غناء معبد ولا طريقته؛ فغنّاه اللحنَ الذى تشبّه فيه بنوح المرأة . فطرِب حمزةُ حتى ألقى عليه حُلّةً كانت عليه قيمتُها مائتا دينار . ودخل معبدٌ فرأى حُلّة حمزة على مالك فأنكرها . وعلِم حمزةُ بذلك فأخبر معبدًا بالسبب، وأمر مالكا فغنّاه الصوتين . فغضب معبد لمّا سمع الصوت الأوّل وقال : قد كرِهت أن آخُذ هذا الغلام فيتعلّم غنائى فيدّعيه لنفسه . فقال حمزة : لا تَعْجَلْ وٱسمع غِناءً [صنعه][3] ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغنّى الصوتَ الآخر فغنّاه، فأطرق معبدٌ . فقال له حمزة : والله لو ٱنفرد بهذا لضَاهَاك ثم تزايد على الأيام، وكلما كبِر وزاد شخَتَّ أنت وٱنتقصتَ، فلأن يكون منسوبًا إليك أجملُ . فقال له معبدٌ وهو مُنْكسِر : صدق الأمير . فأمر حمزةُ لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزة حتى سكَن وطابت نفسُه . فقام مالكٌ على رجليه وقبّل رأس معبد وقال له : يا أبا عبّاد، أساءك ما سمعتَ منى؟ والله لا أُغنّى لنفسى شيئا أبدًا ما دمتَ حيًّا! وإن غلبتْنى نفسى فغنّيتُ فى شعر ٱستحسنتُه لا نسبتُه إلا إليك، فطِبْ نفسا وٱرْضَ

(١) فى الأصول : « الدهر » . والتصويب عن الأغانى (ج ٥ ص ١٠٤) .
(٢) فى الأصول : « ستنخوها » . والتصويب عن الأغانى .
(٣) الزيادة عن الأغانى (ج ٥ ص ١٠٥) .

(١١٥) عنّى . فقال له معبد: أتفعل هـذا وتفى به؟ قال : إى والله وأزيد . فكان مالك إذا غنّى صوتًا وسُئِل عنه قال : هذا لمعبد، ماغنّيتُ لنفسى شيئًا قط، و إنما آخُذ غناءَ معبـد فأنقُلُه إلى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقُص منه . وحضر مالكٌ بن أبى السَّمح عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وآبن عائشة فغنّوه، فأمر لكلّ واحد ٥ منهم بألف دينار .

وحكى عن آبن الكلبيّ قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد :

قد آذَتْنِى وَلْولَتُك هذه، وقال لآبن عائشة: قد آذانى آستهلالُك هذا، فآطلُبالى رجلا يكون مذهبُه متوسّطا بين مَذْهَبَيْكما. فقالا له : مالك بن أبى السمح؛ فكتب فى إشخاصه إليــه وسائرِ من بالحجاز من المغنّين. فلما قدِم مالك على الوليـد بن يزيد ١٠ فيمن معه نزَل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعْجِبه. فلما آنصرف قال له الغمر : إنّ أمير المؤمنين لم يُعْجبه شىءٌ من غنائك، فقـال له : جعلنى الله فِدَاك ! اطلُبْ لى الإذن عليه مرّة أخرى، فإن أعجبه شىءٌ ممّـا أغنّيه وإلا آنصرفتُ إلى بلادى . فلما جلس الوليد فى مجلس اللهو ذكره الغمرُ له ؛ فأذن له فشرب مالكٌ ثلاث صُرَاحيّات[1] صِرْفا ، ودخل على الوليـد وهو يَخْطِـر فى مشيته، فلما بلغ بابَ ١٥ المجلس وقف ولم يُسَلِّم وأخذ بحَلْقة الباب ثم رفع صوتَه فغنّى :

لا عيشَ إلا بمـالك بن أبى السَّمْح فـلا تَلْحَـنى ولا تَـلُمِ

أبيضُ كالبـدر أو كما يلمع الـ * ـبارق فى حالِك مِن الظُّلَمِ

فليس يَعصيك إن رَشَدتَ ولا * يَهْتِك حقّ الإسـلامِ والحُرَمِ

يُصيبُ مِن لذّة الكرام ولا * يجهل آىَ الترخيص فى اللَّمَمِ

٢٠ يارُبّ ليلٍ لنـا كحاشـيةِ الـ * ـبُرْدِ ويومٍ كذاك لم يَدُمِ

(١) جمع صراحية وهى آنية للخمر .

نَعِمتُ فيـــه ومالكَ بن أبِى السَّمحِ الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَم

فطرِب الوليد ورفع يديه حتى بان إبطاه وقام فأعتنقه، ثم أخذ فى صوته ذلك فلم يزالوا فيه أياما، وأجزل له العطيّة حين أراد الانصرافَ . قال : ولما أتى مالكٌ على قوله : « أبيض كالبدر » قال الوليد :

أحولُ كالقِــرد أوكما يَرْقُب السَّارقُ فى حالكٍ مِن الظُّــلَمِ ٥

قالوا : وكان مالكُ بن أبى السمح مع الوليد بن يزيد يوم قُتِل هو وابنُ عائشةَ . قال ابن عائشة : وكان مالكٌ من أحمق الخَلْق، فلما قُتِل الوليد قال : اهْرُبْ بنا؛ قلت : وما يُريدون منّا؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسَه بينهما ليحسِّنوا أمرهم بذلك! .

ذكر أخبار يونس الكاتب ١٠

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شَهْريار من ولد هُرْمُز، مولًى[(١)] لعمرو بن الزبير، ومنشؤه ومنزلُه بالمدينة، وكان أبوه فقيهًا فأسْلَمه فى الديوان وكان من كُتّابه . وأخذ الغناءَ عن معبد وآبن سريج وآبن مُحْرِز والغرِيض، وكان أكثرُ روايته عن معبد. ولم يكن فى أصحاب معبد أحذقُ منه ولا أقومُ بما أُخِذ عنه منه . وله غناءٌ حسن، وصنعة كثيرة، وشعر جيِّدٌ . وهو أوّل من دوّن الغناءَ . وله كتاب فى الأغانى نسبها إلى من ١٥ غنّى فيها . وخرج إلى الشأم فى تجارة، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأحضره والوليدُ إذ ذاك ولىُّ العهد . قال : فلما وصلتُ إليه سلّمتُ عليه، فأمرنى بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجوارى . قال يونس: فمكثنا يومنا وليلتنا فى أمر عجيب، وغنّيتُه فأُعْجِب بغنائى إلى أن غنّيتُه :

(١) فى الأغانى (ج ٤ ص ٣٩٨ طبع دار الكتب المصرية) : «وقيل : إنه مولى ...» الخ . ٢٠

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحن بخيرٍ * قـد أتانا من عيشنا ما نُرَجِّى

ثم تنبهتُ فقطعتُ الصوتَ وأخذتُ أعتـذر من غنائى بشعرٍ فى مصعب ، فضحك ثم قال : إن مُصْعَبًا قد مضى وآنقطع أثرُه ولا عداوة بينى وبينه وإنمـا أُريد الغناء ، فامضِ الصـوتَ ؛ فعُدْتُ فيه فغنّيته ولم يَزل يَستعيده حتى أصبح فشرب مُصْطَبِحًا وهو يَستعيدنى هذا الصوت ولا يَتجاوزه . فلمـا مضت ثلاثةُ أيام قلت : جعلنى الله فداك إنى رجل تاجر خرجتُ مع تُجّارٍ وأخاف أن يرتحِلوا فيضيع مالى ، فقال : أنت تغدو غدًا ، وشرب باقى ليلته وأمر لى بثلاثة آلاف دينار . فحُمِلَتْ إلىّ وغدوتُ إلى أصحابى . فلمـا آستُخلِف بعث إلىّ فأتيتُه فلم أزَلْ معه حتى قُتِل .

(١٢٩)

ذكر أخبـار حُنَيْن

هو حنين بن بَلُوعَ الحِيرى . وآختُلف فى نسبه ، فقيل : هو من العِباديّين من تَمِيم ، وقيل : إنه من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بَقُوا من طَسْمٍ وجَدِيس ، فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدّوا فيهم . ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعرًا مُغَنِّيًا من فحول المُغَنّين ، وكان يَسكن الحِيرةَ ويُكْرِى الجمال إلى الشأم ، وكان نَصْرانيًّا . وعن المدائنىّ قال : كان حُنينٌ غلاما يَحمِل الفاكهة بالحِيرة ، وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان(١) ومياسيرِ أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمُتَطَرّبين ورأوا رشاقته وحسنَ قدّه وحلاوتَه وخِفّةَ رُوحه آستحلوه وأقام عندهم ، فكان يَسمع الغناءَ ويُصْغِى له ، حتى شدا منه أصواتًا فآستمعه الناسُ ، وكان مطبوعًا حسنَ الصوت . وآشتهر غناؤه وشُهِر بالغناء ومهرَ فيه وبلَغ فيه مبلغا كبيرا . ثم رحل إلى عمَر(٢) بن داود الوادِىّ

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : «بيوت القيان» .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «عمرو» وهو تحريف .

وإلى حكم الوَادِىّ وأخذ منهما وغنّى لنفسه وآستولى على الغناء فى عصره، وهو الذى بذل لآبن مُحْرِز خمسمائة دينار حتى رجع عن العراق، كما قدّمناه فى أخبار آبن محرز . وبلغ من الناس بالغناء مبلغًا عظيما، حتى قيل له فيما حُكى: إنك تغنّى منذ خمسين سنة فما تركتَ لكريم مالا ولا دارا ولا عَقارا إلا أتيتَ عليه . فقال: بأبى أنتم! إنما هى أنفاسِى أقْسِمها بين الناس، أفتلومونِى أن أُغلِى بها الثمن . ٥

وحكى المدائنىّ.قال: حجّ هشام بن عبد الملك وعديلُه الأبرش الكلبىّ؛ فوقَف له حنينٌ بظهر الكوفة ومعه عودٌ وزامِر له . فلما مرّ به هشام عرَض له فقال: من هذا ؟ قيـل : حنين ؛ فأمر به هشام فحُمِل فى مَحْمِلٍ على جمل وعديلُه زامِرُه وسيّره أمامه، فغنّاه :

أمِن سَلْمى بِظهرِ الكو * فةِ الآياتُ والطَّلَـلُ ١٠
تلوح كما تلوح عـلى * جفون الصَّيْقَلِ الخِلَـلُ

فأمر له هشام بمـائتى دينار وللزّامر بمـائة دينار .

وحُكى أن خالد بن عبد الله القَسْرىّ حرّم الغناءَ بالعراق فى أيامه ثم أذِن للناس يوما فى الدخول عليه عامّةً؛ فدخل عليه حنين فى جملة الناس ومعه عودٌ تحت ثيابه فقال : أصلح الله الأمير! كانت لى صِناعةٌ أعود بهـا على عيالى فحرّمها الأميرُ فأضَرّ ١٥ ذلك بى وبهـم . فقال : وما كانت صِناعتُك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا . فقال له خالد : غَنِّ؛ فعرك[1] أوتارَه وغنَّى :

أيّها الشّامتُ المُعَـيِّر بالدهـ * ـر أأنتَ المُـبَرَّأُ الموفـورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيـ * ـام بل أنتَ جاهـلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خَلّدن أم مَنْ * ذا عليـه مِن أن يُضامَ خَفيرُ ٢٠

(١) فى الأغانى : « فحرك » .

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنتُ لك وحدك خاصّـةً ، ولا تجـالس سفيهاً ولا مُعَربِدًا . فكان إذا دُعى قال : أفيكم سفيه أو معربِدٌ ؟ فإذا قالوا لا ، دخل .

وقال بشر بن الحسين بن سـليمان بن سَمُرة بن جُنْدب : عاش حنين بن بَلْوَع مائة سنة وسبع سنين .

ذكر أخبار سـياط

هو عبد الله بن وهب ويُكْنى أبا وهب ، وسياطٌ لقب غلَب عليه . وهو مَكّىٌّ مولى خزاعة . كان مقدّمًا فى الغناء رِوايةً وصنعةً ، مقدّمًا فى الطرب . وهو أستاذ آبن جامع وإبراهيم الموصلىّ وعنه أخذا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوج أمّ آبن جامع . قيل : وإنما لُقِّب سِياطٌ بهذا اللقبِ لأنه كان كثيرا ما يغنّى :

كأنّ مزاحفَ الحيّاتِ فيها (١) * قُبيلَ الصبح آثارُ السّـياطِ

حُكى أن إبراهيم الموصلىّ غنّى صوتا لِسياط ، فقال آبنه إسحاق : لِمَنْ هذا الغناء يا أبت ؟ قال : لِمن لو عاش ما وجد أبوك خبزا يأكله ، سياط .

وحكى أن سِياطا مرّ بأبى رَيْحانةَ فى يوم بارد وهو جالسٌ فى الشمس وعليـه سَمَلُ ثوبٍ رقيق رثّ ، فوثب إليـه أبو ريحانة المدنىّ وقال : بأبى أنت ياأبا وهب ! غَنِّنى صوتك فى شعر آبن جُندَب :

فؤادِى رهينٌ فى هواك ومُهجتِى * تَذوبُ وأجفانى عليـك هُمولُ

فغنّاه إياه ، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضـعه من الشمس وقد آزداد بردا وجَهْدا . فقال له رجل : ما أغنى عنك هذا مِن شقّ قميصك ؟ ! فقال : يآبن أخى ، إن الشعر الحسن من المغنّى المحسِنِ ذى الصوت المطرِبِ أدفأ للقرور من حمّام مُحْمًى . فقال له

(١) فى الأغانى (ج ٦ ص ١٥٢ طبع دار الكتب المصرية) : « فيه » .

رجل : أنت عندى من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ فقال : بل أنا مَن قال الله تعالى فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد حكيت هـذه الحكاية أيضا من طريق آخر : أنه لمّا غنّاه هذا الصوت شقّ قميصه حتى خرج منه وبقى عاريًا وغُشِى عليه واجتمع الناسُ حوله، وسياطٌ واقف يتعجّب ممّا فعل ، ثم أفاق فقام إليـه . فقال له سياطٌ : مالك[1] ٥ يامشئوم! أىّ شىء تريد؟ قال : غنِّني بالله عليك ياسيدى :

وَدِّع أُمَامةَ حان منـك رحيلُ * إنّ الوداع لمن تُحِبّ قليل
مِثل القضيب تمـايَلَتْ أعطافُه * فالرّيح تَجْـذب مَتْنَه فيميل[2]
إن كان شأنُكم الدّلال فإنه * حسنٌ دلالكِ يا أُمَيم جميــلُ

فغنّـاه، فلطَم وجهه حتى خرج الدّمُ مِن أنفه ووقع صريعًا . ومضى سـياطٌ وحمل ١٠ الناسُ أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له فى ذلك فقال نحو ماتقدّم . قال: ووجّه إليه سياطٌ بقميص وسراويل وجبّة وعمامة .

وكانت وفاةُ سياط فى أيام موسى الهادى . ودخل عليه ابن جامع وقد نزَل به الموت فقال له : ألك حاجة؟ قال : نعم لا تَزِدْ فى غنائى شيئا ولا تَنْقُص منه، فإنما هو ثمـانية عشر صوتًا دَعْه رأسا برأس . وقيل : بل كانت وفاتُه فجأةً ، وذلك أنه ١٥ دعاه بعض إخوانه فأتاهم وأقام عندهم وبات ؛ فأصبحوا فوجدوه ميّتًا فى منزلهم ؛ فجاءوا إلى أمه وقالوا : ياهذه إنا دعونا ابنكِ لِنُكرمه ونُسَرّ به ونأنَس بقربه فمـات فجأة ، وها نحن بين يديكِ ، فاحكمى ما شِئتِ ، وناشَـدْناكِ الله أن [لا][3] تُعرِّضينا

(١) فى الأصل : « مالك أيضا » . ولا معنى لكلمة « أيضا » وهى غير موجودة فى الأغانى .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : ٢٠
... ... أعطافها * والريح تجذب متنها فتميــل
(٣) التكلة من الأغانى .

للسلطان أو تدّعِى علينا ما لم نفعله . قالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صدّقتم ، وهكذا مات أبوه فجأةً ، وتوجّهتْ معهم فحملته إلى منزله ودفنته .

ذكر أخبار الأبجر

هو عبيد الله بن القاسم بن منبه[1] ، ويكنى أبا طالب . وقيل : آسمه محمد بن القاسم ، والأبجر لقب غلب عليه . وهو مولى لكنانة ثم لبنى ليث بن بكر[2] . وكان يلقب بالحَسْحَاس . وكان مَدنيًّا منشؤه مكة أو مكيًّا منشؤه المدينة . قال عَوْرَك اللّهبِيّ :

لم يكن بمكة أحدٌ أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبجر ؛ كانت حُلّته بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركبُه بمائة دينار ؛ وكان يقف بين المأزمين ويرفع عقيرته ، فيقف الناسُ له فيركب بعضُهم بعضًا . وروى الأصفهانىّ بسنده إلى إسحاق ابن إبراهيم الموصلىّ قال :

جلس الأبجر فى ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريب من التّنْعيم فإذا عسكر جرّار [قد أقبل][3] فى آخر الليل وفيه دوابُّ تُجْنَب ومنها فرس أدهمُ عليه سرجٌ حليته ذهَب ، فآندفع يغنّى :

عرَفتُ ديارَ الحىّ خاليةً قَفْرا * كأن بها لمّا توهّمتُها سطرا

فلما سمعه من فى القِباب والمحامل أمسكوا وصاح صائحٌ : ويحك أعِد الصوتَ ! فقال : لا والله إلا بالفرس الأدهم بسَرْجه ولجامه وأربعمائة دينار ؛ وإذا الوليد بن يزيد صاحبُ العسكر . فنُودِى : أين منزلُك ؟ ومن أنتَ ؟ فقال : أنا الأبجرُ ، ومنزلى على

---

(١) فى ترجمته فى الأغانى (ج ٣ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) : « ضبية » . وورد فى بعض أصول الأغانى : « ضية » و « ضيبة » . (٢) الذى فى الأغانى « وهو مولى لكنانة ثم لبنى بكر ، ويقال : إنه مولى لبنى ليث » . (٣) الزيادة عن الأغانى .

زُقاق باب الخرّازين[1] . فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت ثياب وَشْيٍ وغير ذلك، ثم أُتِى به الوليـدُ، فأقام وراح مع أصحابه عشـيّة التّروية وهو أحسنُهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم .

(٢١)

وحكى عن عمرو بن حفص بن أُمّ كلاب[2]، قال :

كان الأبجرُ مولانا وكان مكيّاً، وكان إذا قدم من مكة نزل علينا . فقال لنا يوما : أسمِعونا غِناء ٱبن عائشتكم هذا ؛ فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما فى بيت ٱبن هبّار . فغنّى ٱبن عائشــة ؛ فقال الأبجرُ : كلُّ مملوكٍ له حرّ إن غنّيت معك إلّا بنصف صوتى، ثم أدخل إصبعه فى شِـدْقِهِ وغنّى فسمِع صوتَه من فى السوق ، فحشر الناس علينا ، فلم يفترِقا حتى تشاتَمـا .

ذكر أخبار أبى زيد الدّلال

هو أبو زيد ناقِدٌ مَدَنِيٌّ، مولى عائشة بنت سعيد بن العاص، وكان مُخَنّثاً .

قال إسحـاق :

لم يكن فى المخنّثين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أظرف من الدّلال . قالوا : ولم يكن بعد طُوَيْس أظرف منه ولا أكثر مُلَحًا . وكان كثيرَ النوادر نَزْرَ الحديث، فإذا تكلم أضحك الثّكالى ، وكان ضاحكَ السنّ ، ولم يكن يغنّى إلّا غنـاءً مُضَعَّفًا (يعنى كثير العمل) .

وقال أيّوب بن عَبَاية :

شهدتُ أهلَ المدينــة إذا ذكروا الدّلال وأحاديثَه طوّلوا رقابَهــم ونخروا به، فعلمتُ أن ذلك لفضيلةٍ كانت عنده . قالوا : وكان مُبتَلًى بالنّساء والكونِ معهنّ،

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « الجزازين » . وهو تصحيف .

(٢) الذى فى الأغانى : « عن عمرو بن حفص بن أبى كلاب » .

فكان يُطلَب فلا يُقْدَر عليه . وكان صحيحَ الغناء حسنَ الجِرْم . قالوا : وإنما لُقِّب بالدّلال لشكله وحسن ظَرْفه ودلّه وحلاوةِ مَنْطِقه وحسنِ وجهه . وكان مشغوفًا بمخالطة النساء يُكثر وصفهنّ للرجال . وكان يُشاغِل كلَّ من يجالسه عن الغناء بأحاديث النساء كَراهةً منه للغناء . وكان إذا غنّى أجاد ، كما حكاه ابن الماجِشُون

٥ عن أبيه قال : غنّانى الدّلالُ يوما بشعر مجنون بنى عامر، فلقد خِفْتُ الفتنةَ على نفسى . واستحضره سليمانُ بن عبد الملك من المدينة سرًّا وغنّاه وأقام عنده شهرا ثم صرفه إلى الحجاز مكرما .

قال الأصمعىّ :

حجّ هشامُ بن عبد الملك؛ فلما قدم المدينة نزل رجلٌ من أشراف أهل الشأم وقوّادِهم

١٠ بجَنْب دارِ الدّلال، فكان الشامىُّ يَسمع غناءَ الدلال ويُصغى إليه ويصعَد فوق السطح لِيقرب من الصوت، ثم بعث إلى الدّلال: إمّا أن تزورنا وإمّا أن نزورَك. فبعث إليه الدّلالُ بل تزورنا . فبعث الشامىّ ما يَصْلُح ومضى إليه بغلامين من غِلمانه كأنهما دُرّتان مكنونتان . فغنّاه الدّلالُ ، فاستحسن الشامىُّ غناءَه فقال : زِدْنى؛ قال : أوَ ما يكفيك ما سمعتَ ! قال : لا والله ما يَكفينى . قال : فإنّ لى حاجة .

١٥ قال : وما هى ؟ قال : تَبيعنى أحدَ هذين الغلامين أوكليهما ، فقال : اخْتَرْ أيَّهما شئتَ ، فاختار أحدهما ، فقال له الشامىّ : هو لك ؛ فقبِله منه الدّلالُ، ثم غنّاه وغنّى :

دَعَتْنى دَواعٍ من أُرَيّا فهيّجتْ * هوًى كان قِدْمًا من فؤاد طَروبِ

لعل زمانًا قد مضى أن يعودَ لى[(1)] * فتَغفِرَ أَرْوَى عند ذاك ذنوبى

٢٠ سَبَتْنى أُرَيّا يوم نَعْف مُحَسِّرٍ * بوجهٍ جميلٍ للقلوب سَلُوبِ

(١) كذا فى الأغانى (ج ٤ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : «لعل زمانا للرضا» .

فقال له الشامىّ: أحسنتَ . ثم قال له : أيها الرجل الجميلُ، إن لى [إليك][1] حاجةً،
قال الدّلال : وما هى ؟ قال : أُريد وصيفةً وِلدتْ فى حِجْر صالح ونشأت فى خير،
جميلةَ الوجه مجدولةً وضيئةً جَعْدةً فى بياض مُشرَبةً حُمْرةً حسنةَ الهامةِ سَبْطةً أسيلةَ
الخدّ عذبةَ اللّسان لها شِكْلٌ [ودلٌّ][1] تملأ العين والنفس . فقال له الدّلال: قد أصبتُها
لك، فما لى عندك إن دللتُك عليها؟ قال: غلامى هذا . قال: إذا رأيتَها وقبلتها فالغلامُ ٥
لى ؟ قال نعم . قال : فأتى آمرأةً كَنّى عن آسمها، فقال لها : جُعِلتُ فِداءكِ!
نزل بقربى رجلٌ مِن قوّاد هشام، له ظَرْف وسخاءٌ، وجاءنى زائرا فأكرمتُه، ورأيتُ
معه غلامين كأنهما الشمسُ الطالعة المنيرة والكواكب الزاهرة ما وقعتْ عينِى على
مثلِهما ولا يطول لسانى بوصفهما، فوهب لى أحدَهما والآخرُ عنده، وإن لم يَصِرْ
إلىّ فنفسِى ذاهبةٌ . قالت : وتُريد ما ذا ؟ قال : طلب منى وصيفةً على صِفةٍ ١٠
لا أعلمها إلا فى آبنتِك ، فهل لك أن تُريه إيّاها ؟ قالت : وكيف لك بأن يَدْفع
الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : إنى قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع .
قالت: شأنَك، لا يعلم هذا أحد . فمضى الدّلال وأتى بالشامىّ . فلما صار إلى المرأة
وُضِع له كرسىٌّ وجلس . فقالت له المرأة : أمِن العرب أنتَ ؟ قال نعم . قالت :
مِن أيّهم ؟ قال : مِن خُزَاعة . قالت : مرحبا بك وأهلا ! أىَّ شىء طلبتَ ؟ ١٥
فوصف لها الصِّفةَ . قالت: قد أصبتَها، وأسرّت إلى جارية لها فدخلتْ فمكثت
هنيهة ثم خرجت فنظرت فقالت : آخرجى ، فخرجت وصيفةٌ ما رأى [الراءون][1]
مثلَها . فقالت لها : أقْبِلى فأقبلتْ، ثم قالت : أدْبِرى فأدبرت تملأ العينَ والنفسَ،
فما بَقِى منها شىء إلا وضَع يدَه عليه . فقالت له : أتحبّ أن نؤزِّرَها لك؟ قال نعم.
قالت: آئتزِرى، فضمّها الإزارُ وظهرت محاسنها الخفيّة، فضرب بيده إلى عَجِيزتها ٢٠

(١) الزيادة عن الأغانى .

وصدرِها . ثم قالت : أتحب أن نجرّدها لك ؟ قال نعم . قالت : [أى حبيبتى] (١)
وضّحى ؛ فالقت الإزارَ فإذا أحسنُ خَلْق الله كأنها سبيكةٌ . فقالت : ياأخا العرب،
كيف رأيتَ ؟ قال : منيةُ المتمنّى . قال : بِكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر
يوم البيع، ولكن تعود غدًا حتى نُبايعك فلا تنصرف إلا عن رضًا ، فانصرف من
٥ عندها . فقال له الدّلالُ : أرضيتَ؟ قال : نعم، ما كنتُ أحسب أن مثل هذه
فى الدنيا ، وإن الصفة لتَقْصُر دونها، ثم دفع إليه الغلامَ الثانى . فلما كان من الغَدِ
قال له الشامىّ : امض بنا . فمضَيَا حتى قرعا البابَ، فأُذن لهما فدخلا فسلّما، فرحّبت
المرأة بهما ثم قالت للشامىّ : أعطِنا ما تَبْذُل ؛ فقال : ما لها عندى ثمنٌ إلا وهى
أكثرُ منه، فقولى أنت يا أَمَةَ الله . قالت : بل قل أنتَ، فإنا لم نُوطئك أعقابَنا ونحن
١٠ نُريد خِلافَك وأنت لها رضًا . قال : ثلاثة آلاف [دينار] (١) . قالت : والله لقبلةٌ منها
خيرٌ من ثلاثة آلاف [دينار] (١) . قال : أربعة آلاف [دينار] (١) . قالت : غفَر الله لك
أَعطِنا أيّها الرجل . قال : والله مامعى غيرها — ولو كان لزدتُك — إلا رقيقٌ ودوابّ.
قالت : ما أراك إلا صادقًا، أتَدْرى مَنْ هــذه ؟ قال : تُخبرِينِى . قالت : هذه
ابنتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان، قم راشِدًا . فقال للدلال : خدَعْتنى.
١٥ قال : أوَ ما تَرْضى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبُ مائة غلام بمثل غلامك ؟ قال:
أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

والدّلال أحدُ من خُصِىَ من المخنّثين بالمدينة لمّا أمر سليمانُ بن عبد الملك عامله
على المدينة أبا بكربن عمرو بن حَزْم بخَصْيِهم .

وقد اختُلِف فى سبب ذلك ، فكان ما حكاه إسحاق عن مصعب الزبيرىّ
٢٠ قال : أنا أعلمُ خلق الله بالسّبب الذى خُصِى من أجله الدّلال، وذلك أنه كان القادمُ

(١) الزيادة عن الأغانى .

يقدَم المدينــة فيسأل عن آمرأة يتزوّجها فيُــدَلّ على الدّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لى ما تعــرف من النساء للتزوّج ؛ فلا يزال يَصف له واحدةً واحدة حتى ينتهى إلى ما يوافق هواه؛ فيقول : كيف لى بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا. فإذا رَضِى بذلك أتاها الدّلالُ فقال لها : إنى قد أصبتُ لكِ رجلا مِن حالِه وقِصّته وهيئته ويَساره، ولا عهدَ له بالنساء وإنما قدِم بلدنا آنِفًا؛ فلا يزال كذلك يشوّقها ويحرّكها حتى تُطيعَه، فيأتى الرجلَ فيُعلمه أنه قد أحكم له مرادَه . فإذا تزوّجها قال لها : قد آن لهذا الرجلِ أن يدخل والليلةُ موعِدُه وأنتِ مُغْتَلِمة شَبِقَةٌ، فساعةَ يجامعك قد دفَقْت عليــه مثلَ سَيْلِ العَرِم فيَقْذَرُكِ ولا يُعاوِدكِ وتكونين مِن أشأم النساء على نفسك. فتقول له : كيف أصنع؟ فيقول: أنتِ أعلم بدواء فَرْجك ودائه وما يُسكّن غُلْمَتَك. فتقول له : ما أعرف له دواءً أشفى مِن الجماع . فيقول لها : إن لم تخافى الفضيحةَ فأبعثى إلى بعض الزّنوج حتى يقضِى بعضَ وطرِكِ ويكُفَّ عاديةَ فرجِك. فتقول له : ويلك! ولا ذا بمرّة![1] فلا تزال المحاورةُ بينهما حتى يقول لها : فكما حُكم علىّ أقوم فأخفِّفُك وأنا إلى التَّخْفيف أحوج. فتفرح المرأةُ فيجامعُها حتى يقضِىَ وطره منها؛ فيقول لها : أما أنتِ فقد آسترحتِ وأمِنتِ العيبَ وبَقِيتُ أنا . ثم يأتى الزوجَ فيقول له : قد وعدتُها أن تدخلَ بها الليلةَ وأنت رجلٌ غريبٌ عَزَبٌ، ونساءُ المدينة يُحبّون المُطَاولةَ فى الجماع، وكأنّى بك تُجامِعها فتُفرِغ وتقوم فتُبغِضك وتَمْقُتك ولا تعاوِدُك ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر فى وجهك بعدها. فلا يزال فى مثل هذا من القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوتُه، فيقول : كيف أعمل؟ قال : تَطلُب زِنجيّةً فتجامعها مرّتين أو ثلاثا حتى تسكن غُلْمتُك ، فإذا دخلتَ عليهــا لم يَجْرِ أمرُك إلا جميلا. فيقول له الرجل : أعوذ بالله! لا أفعلُ. فإذا أكثر محاورتَه قال له : فكما حُكم علىّ قم فأفْعَل بى حتى تسكنَ

(١) فى الأغانى : « ولا كل هذا » .

غُلْمتُك وشَبَقُك ، فيفعل ذلك به مرّة أو مرتين ؛ فيقول له : قد آستوى أمرُك الآن وطابت نفسُك ، وتدخل على زوجتك فتجامعها مجامعةً تملؤها سرورًا ولذّةً . فيقرَبُ المرأة قبل زوجها ، ويقربُه الرجلُ قبل زوجته . فكان ذلك دأبَه ، إلى أن بَلغ خبرُه سليمانَ آبن عبد الملك وكان غيورا شديدَ الغَيْرة ، فكتب بأن يُخْصَى هو وسائر المخنّثين بالمدينة ومكة ، وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهن؛(١) فورد الكتابُ على آبن حزم فخَصاهم .



ذكر أخبار عَطَرَّد

هو أبو هارون(٢) عطرّد ، مولى الأنصار [ثم مولى(٣)] بنى عمرو بن عوف ، وقيل : إنه مولى مُزَيْنَة . مدنىٌّ كان ينزل قُباء . وكان جميلَ الوجه حسنَ الغناء طيِّبَ الصوت جيِّد الصنعة حسنَ الزىّ والمروءة فقيهًا قارئا للقرآن . وقيل : إنه كان مُعَدَّل الشهادة بالمدينة . وأدرك دولةَ بنى أميّة وبقِى إلى أوّل أيام الرشيد . وكان يُغنّى مرتجِلا .

وحكى أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه قال :

لمّا آستُخْلِف الوليدُ بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عَطَرّد المغنّى إليه ، ففعل . قال عَطرّدُ : فدخلتُ على الوليد وهو جالسٌ فى قصره على شَفِير بركة مُرَصَّصَة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة ولكنّها يدور الرجلُ فيها [سِباحةً(٣)] . قال : فوالله ما تركنى أسلِّم حتى قال : أعَطَرّد؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : مازلتُ إليك مشتاقًا يا أبا هارون ، غنّنى :

(١) فى الأصل : « ويشدونهن » والتصحيح عن الأغانى .

(٢) كذا فى الأغانى (ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية) وسيأتى قريبا . وفى الأصل هنا : «أبو مروان» وهو تحريف .	(٣) الزيادة عن الأغانى .

حَيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ(١) * إذ لا يُشا كلُ شكلُها شكلِي

اللهُ أنجحُ ما طلبت به * والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ

إنى بحبْلكِ واصلٌ حبلِى * وبِرِيش نَبْلكِ رائشٌ نَبْلِي

وشمائلى ما قد عَلِمتِ وما * نبحتْ كلابُكِ طارقًا مِثْلِي

قال : فغنّيتُــه إياه ، فوالله ما أتممتُــه حتى شــقّ حُلّةَ وَشْى كانت عليــه لا أدرى كم قيمتُها ، فتجرّد منها كما ولدته أُمّه ، وألقى نفسه فى البركة فنَهِل منهـا حتى تبيّنتُ أنها قدنقصت نقصانًا بينًا ، وأُخرِج منها وهو كالميت سكرا ، فأُضْجِع وغُطِّى ، فأخذت الحُلّةَ وقمتُ وآنصرفتُ إلى منزلى متعجّبًا من فعله . فلما كان فى غد ، جاءنى رسولُه فى مثل الوقت فأحضرنى . فلمـا دخلتُ عليــه قال : يا عَطَرّد ! قلت : لبّيْك يا أمير المؤمنين ! قال : غنِّنى :

أيذهب عمرِى هكذا لم أَنَلْ به * مجالسَ تَشْفِى قَرْحَ قلبى من الوجدِ

وقالوا تَدَاوَ إنّ فى الطبّ راحةً * فعلّلتُ نفسى بالدواء فــلم يُجْـدِ

فغنّيتُه إيّاه ، فشقّ حُلّةَ وَشْى كانت تَلْمَع عليه بالذّهب احتقرتُ والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسه فى البركة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ نُقْصانها وأُخرِج كالميت سكرا ، فأُلقِىَ وغُطِّى ونام ، وأخذتُ الحُلّة وآنصرفت . فلمـا كان اليوم الثالث ، جاءنى رســولُه فدخلت إليه وهو فى بَهْوٍ قد أُلقِيتْ ستورُه ، فكلّمنى من وراء الســتور وقال : يا عطَرّد ! قلت : لبّيْك يا أمير المؤمنين ! قال : كأنى بك الآن قد أتيتَ إلى المدينة فقمتَ فى مجالسها وقعدتَ وقلتَ : دعانى أميرُ المؤمنين فدخلتُ عليــه فآقترح علىّ فغنّيتُه فأطربتُه فشقّ ثيــابَه وأخذتُ سَلَبه وفعل وفعــل ! ووالله يآبن الزّانيــة إن تحرّكت شَفَتاك بشىء مما جرى لأضرِبنّ عُنُقك . يا غلام أعطِه ألف دينار ، خذها

(١) هو ماء بين البصرة واليمامة .

وانصرف إلى المدينة . فقلتُ : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تقبيل يده ويزوّدنى نظرة منه وأغنّيه صوتًا ! فقال : لاحاجةَ بى ولا بك إلى ذلك، فآنصرِفْ .
قال عطَرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أنّى ذكرتُ شيئا ممـا جرى حتى مضت من دولة بنى هاشم مدّةٌ . ودخل عطرّد على المهدىّ وغنّاه . قيـل : ودخل على
٥ الرشيد وغنّاه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أخبـار عمر الوادىّ

هو عمر بن داود بن زَاذَان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّـان ؛ وأخذ الغناءَ عن حكَم، وقيل : بل أخذ حكَمٌ عنـه . وهو من أهل وادى القُرى ؛ قدِم الحَرَم وأخذ من غناء أهله فحذِق وصنع فأجاد . وكان طيِّبَ الصـوتِ شجِيًّا
١٠ مُطرِبا . وهو أوّل من غنّى من أهل وادى القُرى، وآتصل بالوليد بن يزيد فى أيام إمارته فتقدّم عنده جدّا، وكان يسمّيه « جامع لذّاتى ومُحيى طربى » . وقُتل الوليدُ وهو يغنّيه، وكان آخرَ الناس به عهدًا . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن أبى السَّمْح وغيرهما من المُغنّين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ إليه والآختصاص به . وفى عمر هذا يقول الوليدُ بن يزيد :

١٥ إنمـا فكّرتُ فى عُمَـــرٍ * حين قال القولَ واختلجا
إنه لَلْمُسْتَنِيـــر بـــه * قمرٌ قـد طمّس السُّرُجا
ويغنّى الشـــعرَ ينْظِمه * ســيّدُ القوم الذى فَلَجا
أكمل الوادىُّ صـــنعته * فى كتاب الشـــعر فاندمجا

أراد الوليد بن يزيد بقوله : « سيّدَ القوم » نفسَه .

ذكر أخبار حكم الوادىّ

هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون. مولى الوليدبن عبد الملك، كان أبوه حلّاقا يَحلِق[1] رأس الوليد، فآشتراه فأعتقه . وكان حكمٌ طويلا أحولَ، يُكْرِى الجمال يَنْقُل [عليها][2] الزيت من الشأم إلى المدينة. وقيل : كان أصلُه من الفُرس . وكان واحدَ عصره فى الحِذْق، وكان يغنّى بالدّفّ ويغنّى مرتجلا. وعُمِّر عمرا طويلا، غنّى الوليدَ بن عبد الملك، وغنّى الرشيدَ، ومات فى الشَّطر من خلافته. وأخذ الغناء عن عمر الوادىّ، وقد قيل : إن عمر أخذ عنه . قال حمّاد بن إسحاق قال لى أبى: أربعةٌ بلَغت فى أربعة أجناس من الغناء مبلغًا قصّر عنه غيرهم : «معبدٌ» فى الثقيل، و«ابن سريج» فى الرَّمَل، و«حكم» فى الهَزَج، و«إبراهيم» فى الماخُورىّ. قال أبو الفرج الأصفهانىّ : وزار حكمٌ الوادىّ الرشيدَ، فبرّه ووصله بثلثمائة ألف درهم، وخيّره فيمن يكتُب له بها عليه؛ فقال: آكتب لى بها على إبراهيم بن المهدىّ — وكان إبراهيم إذ ذاك عاملا له بالشأم — فقدِم عليه حكمٌ بكتاب الرشيد، فأعطاه ما كتَب له به، ووصلَه بمثل ذلك، إلّا أنه نقَصه ألف درهم من الثلثمائة ألف، وقال له : لا أَصِلُك بمثل ما وصلَك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدىّ : وأقام عندى ثلاثين يومًا أخذت عنه فيها ثلثمائة صوت، كلُّ صوت أحبُّ إلى من الثلثمائة ألف التى وهبتُها له . وقيل: إنه لم يَشْتهِر بالغناء حتى صار إلى بنى العبّاس، فآنقطع إلى محمد بن أبى العباس، وذلك فى خلافة المنصور، فأُعْجِب به وآختاره على المغنّين وأعجبته أهزاجُه. وكان يقال: إنه أهزجُ الناس . ويقال: إنه غنّى الأهزاجَ فى آخر عمره؛ فلامه ابنُه على ذلك وقال : أبَعدَ الكِبَر تغنّى غناءَ المخنّثين! فقال له : اسكت

(١) كذا فى الأغانى (ج ٦ ص ٢٨٠ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصلين : «غلاما» .

(٢) الزيادة عن الأغانى .

فإنك جاهل، غنّيتُ [الثقيل](١) ستين سنة فلم أَنَلْ إلا القوت، وغنّيتُ الأهزاجَ منذ سنتين فكَسَبْتُك ما لم تر مثله قطّ . والله أعلم .

ذكر أخبار ابن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبى وَدَاعة
٥ آبن صُبَيْرة بن سهم بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَىّ . قالوا : وكان آبنُ جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله تعالى، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّى الصبح ثم يَصُفُّ قدميه حتى تَطْلُع الشمس، فلا يصلّى الناسُ الجمعةَ حتى يختم القرآنَ ثم ينصرف إلى منزله . وكان حسنَ السَّمْت، كثيرَ الصلاة . وكان يعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة و يلبَس لباسَ الفقهاء و يركب حمارًا مَرِّيسيًّا(٢) فى زىّ أهل الحجاز . ورُوى
١٠ عنه أنه قال : لولا أن القمارَ وحبَّ الكلاب قد شغَلَانى لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبزَ . قال آبن جامع : أخذتُ من الرشيد ببيتين غنّيتُه إياهما عشرةَ آلاف دينار . قالوا : وكان إبراهيمُ بن المهدىّ يفضّل آبنَ جامع فلا يقدّم عليه أحدا . قال : وكان آبن جامع مُنقطِعًا إلى موسى الهادى فى أيام أبيه، فضربه المهدىّ وطردَه . فلما مات المهدىّ بعث الفضلُ بن الربيع إلى مكة فأحضَر آبنَ جامع فى قُبّة ولم يُعْلِم به أحدا .
١٥ فذكره موسى الهادى ذاتَ ليلةٍ فقال لجلسائه : أمَا فيكم أحدٌ يُرسل إلى آبن جامع وقد عرفتم مَوْقِعَه منى؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندى ياأمير المؤمنين وأحضره إليه . فوَصَل الفضلَ فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولّاه حِجابتَه .

---

(١) التكملة عن الأغانى .

(٢) فى الأصول : «مرمسا» والتصويب عن الأغانى (ج ٦ ص ٢٩١ طبع دار الكتب المصرية) .
٢٠ والمريسىّ : نسبة الى مريس وهى أدنى بلاد النوبة التى تلى أرض أسوان ، وهى معروفة بجودة الحمير .

وحُكى أنه دخل على الهادى فغنّاه فلم يُعجبه ؛ فقال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنّيْتَ الثقيل . قال : فأدخلنى عليه أُخرى فأدخله ؛ فغنّاه الخفيفَ ، فأعطاه ثلاثين ألف دينار . قال أحمـد بن يحيى المكىّ : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حزِن . وأحبّ الرشيدُ أن يَسمع ذلك ، فقال للفضل بن الربيع : ابْعَثْ بخريطة فيهـا نَعْىُ أمّ ابن جامع — وكان بَرًّا بأمّه — ففعل . فقال الرشيد : يابن جامع ، فى هذه الخـريطة نَعْىُ أمّك ؛ فاندفع ابن جامع يغنّى بتـلك الحُرْقة والحـزنِ الذى فى قلبـــه :

كم بالدروب وأرضِ السِّنْدمن قَدَم * ومن جماجم صَرْعى ما بهـا قُبِروا
بقُندهارَ[2] ومن تُكْتَبْ منيّتُه * بقُنـدهارَ يُرَجّمْ دونه الخـبرُ

قال : فوالله ما ملكنا أنفسَنا ، ورأيت الغلمانَ يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطين ، وأمر له الرشيدُ بعشرة آلاف دينار .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن علىّ بن عيسى بن ماهان قال : سمعتُ يزيد يحـدّث عن أمّ جعفر أنه بلغها أنّ الرشـيد جالسٌ وحده وليس معه أحد من النـدماء ولا المسامرين ، فأرسلت إليه : يا أميرَ المؤمنين ، إنّى لم أرَكَ منذ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندى ابنُ جامع . فأرسلتْ إليه : أنتَ تعلم أنى لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تُشْرِكَنى فيه ، ما كان عليك أن أُشْرِكَك فى هذا الذى أنتَ فيه ! فأرسل إليها : إنى صائرٌ إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال للخادم : امضِ إليها وأعلِمها أنّى قد جئت . وأقبل الرشيد ؛ فلما نظر

(١) فى الأغانى : « وأرض الروم » . وورد هذا البيت فى معجم البلدان لياقوت عند الكلام على « قندرهار » هكذا :

كم بالجروم وأرض الهند من قدم * ومن سرابيل قتلى ليتهم قبروا

(٢) جاء فى معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح .

إلى الخدم والوصائف قد آستقبلوه علِم أنّها قد قامت تستقبله؛ فوجّه إليها : إن معى آبن جامع، فعدَلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيدُ وصيّر آبنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه فيها، ثم أمر آبن جامع فآندفع يغنّى :

ما رَعَدَتْ رَعْدَةً ولا بَرَقَتْ * لكنها أُنْشِئت لنا خَلِقَهْ[1]

آلمـاءُ يَجْرى ولا نِظامَ له[2] * لو يجد المـاءُ مَخْرقًا خَرَقَهْ

بِتنـا وباتت على نَمارِقها * حتى بدا الصبح عينُها أَرِقَهْ

أنْ قيل إن الرحيل بعد غدٍ * والدّار بعـد الجميع مُفْتَرِقه

فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما آشتهيتَ والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت لمسلم خادمها : اِدْفع إلى آبن جامع بكل بيت مائة ألف درهم . فقـال الرّشيد : غَلَبتِنا يا آبنة أبى الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا. فلما خرج حمَل الرشيدُ إليها مكان كل درهم دينارًا .

ذكر أخبار عمرو بن أبى الكَنَّات[3]

قال أبو الفرج الأصفهانىّ : هو أبو عثمان، وقيـل : أبو معاذ عمرو بن أبى الكَنّات، مولى بنى جُمَح . وهو مكىٌّ مُغَنّ حسنُ الصوت، من طبقة آبن جامع وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ الناسِ فآعلموه غناءً * رجلٌ من بنى أبى الكَنّاتِ

(١) يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أى فيها أثر المطر .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «على نظام له » .

(٣) فى الأصول : «الكبات» بالباء الموحدة بدل النون وهكذا ورد فى هذا الفصل كله . والمثبت هنا هو ما ورد فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق وما بعدها الى آخر الترجمة) .

قال محمد بن عبد الله بن فَرْوة : قلت لإسماعيل بن جامع يومًا : هل غلَبك أحدٌ من المغنّين قط؟ قال : نعم، كنتُ ليلةً ببغداد إذ جاءنى رسولُ أمير المؤمنين هارون الرشيد فأمرنى بالرّكوب، فركبتُ حتى صرتُ إلى الدار، فإذا أنا بالفضل بن الربيع ومعه زَلْزَل العوّاد وبَرْصوما، فسلّمت وجلست يسيرا . فطلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء؟ قال لا . قال : فٱبعث إليه. ولم يزل المغنّون يدخلون واحدًا واحدًا حتى ٥ صاروا ستةً أو سبعةً . ثم طلَع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال لا ؛ فقال : قم فٱبعثْ فى طلبه ؛ فقام فغاب غيرَ طويلٍ فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبى الكَنّات . فسلّم وجلس إلى جَنْبى، فقال لى : مَنْ هؤلاء ؟ قلتُ : مُغَنّون، هذا «زلزلٌ» وهذا «برصوما» . فقـال : لأُغَنّينّك غناءً يخرِق هـذا السقف وتجيبه الحيطانُ . ثم طلع الخَصِىّ فدعا بكراسىّ، وخرج الجَوارى . فلما جلسن قال الخادم : شُدّوا فشَدّوا عيدانَهم ؛ ثم قال : ١٠ يغنّى ٱبنُ جامع ، فغنّيت سبعة أو ثمانية أصوات؛ قال : ٱسكت ، وليغنِّ إبراهيم الموصلىّ؛ فغنّى مثل ذلك أو دونه ثم سكتَ، وغنّى القوم كلُّهم واحدا بعد واحد حتى فَرَغوا . ثم قال لٱبن أبى الكَنّات : غَنّ ؛ فقال لزلزل : شُدّ طبقتك فشَدّ ؛ ثم قال له : شُدّ فشَدّ ، ثم أخذ العودَ من يَده بجَسّه حتى وقف على الموضع الذى يريده ، ثم قال : على هـذا . وٱبتدأ الصوت الذى أوّلُه «ألالا»؛ فوالله لقد خُيِّل إلىّ أن ١٥ الحيطان تجاوبه؛ ثم رجّع النّغمةَ فيه؛ فطلع الخصىّ فقال : ٱسكت لا تُتِمّ الصوتَ فسكت . ثم قال : يجلس عمرو بن أبى الكَنّات وينصرف سائرُ المغنّـين ؛ فقمنا بأسوأ حال وأكسفِ بال ، ولا والله ما زال كُلّ واحد منّا يسأل صاحبَـه عن كلّ ما يرويه من الغناء الذى أوّلُه « ألالا » طمَعًا فى أن يعرفه وأنـ يوافقَ غناءَه فما عرَفه منا أحدٌ . وبات عمرو عند الرشيد ليلتَه وٱنصرف من عنده بجوائزَ وصِلاتٍ ٢٠ وطُرَفٍ سنيّة .

وقال موسى بن أبى المهاجر : خرج آبن جامع وآبن أبى الكنّات حين دفع الإمامُ[1] من عرفة ، حتى إذا كانوا بين المأزِمَين جلس عمرو على طَرَف الجبل ثم آندفع يغنّى ، فركب الناسُ بعضُهم بعضًا حتى صاحوا به وآستغاثوا : يا هذا ، اللهَ اللهَ ! أُسكُتْ عنا يَجُزِ الناسُ ؛ فضبط آبن جامع بيده على فِيه حتى مضى الناسُ إلى مُزْدَلِفة .

٥ قال علىّ بن الجهم : حدّثنى من أثِق به قال : وافقتُ آبنَ أبى الكنّات على جسر بغداد أيام الرشيد فحدّثته بحديث آتّصل بى عن آبن عائشة أنه وقف فى الموسم فى أيام هشام، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال : ما تصنع؟ فقال : إنى لأعرف رجلا لو تكلم لحبَس الناسَ فلم يَذْهَب منهم أحدٌ ولم يَجِئْ. فقلت له[2] : من هذا الرجل؟ قال: أنا ، ثم آندفع فغنّى فحبَس الناسَ، فآضطربت المحامل ومدّت الإبلُ أعناقَها . فقال ١٠ آبن أبى الكنّات وكان مُعْجَبا بنفسه : أنا أفعل كما فعـل وقدرتى على القلوب أكثرُ من قدرته . ثم آندفع فغنّى الصوت الذى غنّى فيه آبن عائشة، وهو :

جَرَتْ سُنُحًا فقلت لها أَجِيزِى * نَوًى مشمولةً فـتى اللّقـاءُ
بنفسى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ * أُعاِلجـه ومطلبُـه عنـاءُ

قال : فغنّاه، وكنّا إذ ذاك على جسر بغـداد، وكان على دجلة ثلاثةُ جسور ، ١٥ فآنقطعت الطُّرقُ وآمتلأت الجسورُ بالناس فآزدحموا عليها وآضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثِقَل من عليها من الناس . فأُخِذ فأُتِى به الرشيد ؛ فقال له : ياعدوّ الله ، أردت أن تَفْتِن النـاس ! قال: لا والله يا أمير المؤمنين ولكنّه بلغنى أن آبن عائشة فعل مثل هذا فى أيام هشام، فأحببتُ أن يكون فى أيامك مثله . فأعجبه ذلك،

(١) فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « حين دفعا من عرفة حتى اذا كانا » .
٢٠ (٢) كذا فى الأصل والأغانى . وكان مقتضى السيـاق أن يكون : « فقال له » : اذ مرجع الضمير بعض أصحابه الذى مرّ به .

وأمر له بمال وأمره أن يغنّى فغنّى؛ فسمع شيئا لم يَسْمَع مثله ، فآحتبسه عنده شهرا يَستزيده، وكلّ يوم يُستأذَن له فى الآنصراف فلا يأذَن له حتى تمّم شهرا، وآنصرف بأموال جسيمة .

وقال عثمان بن موسى : كنّا على شَراب يوما ومعنا عمرو بن أبى الكَنّات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: مَنْ تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصور الحَجَبىّ . فقال: أمهلوا حتى يكون الوقتُ الذى يَنْحـدِر فيه إلى ســوق البقر. فمكثنا ساعةً ثم آندفع يغنّى :

أحسنُ النـاسِ فآعلموه غِنـاءً * رجلٌ من بنى أبى الكَنّاتِ
عَفَتِ الدّارُ فالهِضابُ اللّواتى * بين ثَوْرٍ (١) فمُلتقى عَرَفاتِ

فلم نلبث أن رأينا منصورًا من بُعْد قد أقبل يركُضُ دابّتَه نحونا . فلما جلس إلينا قلت له : من أين علِمتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا فى سوق البقر، فخرجت أركض دابّتى حتى صِرتُ إليكم . قال : و بيننا و بين ذلك الموضع ثلاثةُ أميـال .

وقال يحيى بن يَعْلَى بن سعيد : بينا أنا ليـلةً فى منزلى فى الرَّمْضَة بأسفل مكة، إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبى الكَنّات كأنّه معى ، فأمرتُ الغلامَ فأسرج لى دابّتى وخرجت أُريده، فلم أزل أتبع الصوتَ حتى وجدتُه جالسـا على الكثيب العارِض ببطن عرفة يغنّى :

خُذِى العَفْوَ مِنّى تَستديمى مَودّتى * ولا تَنْطِقى فى سَوْرَتِى حين أغضَبُ

(١) فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : * بسوار فملتقى عرفات *
وثور : جبل بمكة فيه الغار الذى اختفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم . وأما سوار فمن قرى البحرين . (انظر ياقوت ج ١ ص ٩٣٨ وج ٣ ص ١٨٠) .

ولا تَنْقُرِينِي نَقْــرَةَ الدّفّ مرّةً * فإنّكِ لا تَدْرِيــن كيف المُغَيَّبُ
فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصدر والأذى * إذا ٱجتمعا لم يَلْبثِ الحب يذهب

ذكر أخبـار أبى المُهَنَّأ مُخارِق

هو أبو المُهَنّأ مخارِق بن يحيى بن ناووس الجزّار مولى الرشـيد . وقيـل : بل ناووس لقبُ أبيه يحيى؛ وإنما لُقّب بناووس لأنه بايع رجلا أنه يمضى إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قِدْرا بالليل حتى تَنْضَجَ، فطرح رهنَه بذلك؛ فدسّ الرجل الذى راهنَه رجلا فألقى نفسَه فى الناووس بين الموتى . فلما فرغ ناووس من الطبخ مدّ الرجلُ يدَه من بين الموتى وقال له : أطْعِمنى؛ فغرف بالمغرفة من المَرَق وصبّها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له : اصْـبِر حتى نُطْعِمَ الأحياء أوّلا ثم نتفرّغ للموتى؛ فلُقّب ناووسًا لذلك .

قال : وكان مخارقٌ لعاتكة بنت شهدة، وهى من المغنّيات المُحْسنات المتقدّمات فى الضرب . نشأ مخارقٌ بالمدينة؛ وقيل : كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزّارًا مملوكا ، وكان مخارقٌ وهو صبىّ ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طِيبُ صوته علّمته مولاتُه طَرَفًا من الغناء ، ثم أرادت بيعَه، فٱشتراه إبراهيم الموصلىّ منها وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . وقيل : ٱشتراه إبراهيم من مولاته بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم . قال : ولمـا ٱشتراه قال له الفضل بن يحيى : ما خبرُ غلام بلغنى أنك ٱشتريتَه ؟ فقال : هو ما بَلَغك . قال: فأَرِنيه ، فأحضره ، فغنّى بين يديه؛ فقال له : ما أرى فيه الذى رأيتَ. قال: تريد أن يكون فى الغناء مثلى فى ساعةٍ واحدةٍ ! فقال : بكم تَبيعُه؟ قال : ٱشتريتُه بثلاثين ألف درهم، وهو حرّ لوجه الله تعالى إن بعتُه إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار . فغضِب

الفضـــل وقال : إنمـا أردتَ ألّا تبيعَه أو تجعلَه سببا لأن تأخذ منّى ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال إبراهيم : أنا أصـنع بك خَصْلة واحدة، أبيعك نصفه بنصف هذا المـال وأكون شريكَك فى نصفه [وأُعلّمه](1)، فإن أعجبك إذا علمتَه أتممتَ لى باقى المـال وإلا بعتَه بعدُ، وكان الرِّبحُ بينى و بينك . فقال الفضلُ : إنمـا أردتَ أن تأخذ منّى المـالَ الذى قدّمتَ ذكرَه، فلما لم تَقْـدِرْ على ذلك أردتَ أن تأخذ نصفَه ، وغضِب . فقال إبراهيم له : فأنا أَهَبُه لك على أنه يساوى ثلاثة وثلاثين ألف دينار ؛ قال : قد قبلتُه ؛ قال : وقد وهبتُه لك . وغدا إبراهيم على الرشيد ؛ فقال له : يا إبراهيم ، ما غلامٌ بلغنى أنك وهبتَه للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم تَمْلِك العربُ ولا العجمُ مثـلَه ، ولا يكون مثلُه أبدا . قال : فوجّه إلى الفضـل يأمره بإحضاره . فوجّه به إليه ، فغنّى بين يديه ؛ فقال له : كم يُساوِى ؟ قال إبراهيم : يساوى خراجَ مصر وضِياعَها . قال : ويحك ! أتدرى ما تقول ! مبلغُ هذا المـال كذا وكذا ! قال : وما مِقدارُ هذا المـال فى غلام لم يَمْلِك أحدٌ مثلَه قطُّ ! قال : فالتفت الرشيدُ إلى مسرور الكبير وقال : قد عرفتَ يمينى أنى لا أسأل أحدًا من البرامكة شيئا . فقال مسرور : فأنا أمضى إلى الفضل فأَسْتَوْهِبه منه ، فإذا كان عندى فهو عندك . فقال له : شأنَك . فمضى مسرور إلى الفضل وآستوهَبه منه ، فوهَبه له . وقيل : بل إبراهيمُ هو الذى أهداه للرشيد ؛ فأمره الرشـيدُ بتعليمه فعلّمه حتى بَلَغ ما بلَغه . قال : وكان مخارقٌ يقف بين يدَى الرشيد مع الغِلمان لا يجلس و يغنّى وهو واقف . فغنّى آبنُ جامع ذاتَ يوم بين يدى الرشيد :

كأنّ نيرانَنـا(2) فى جَنْبِ قَلْعتِهمْ * مُصَبَّغَاتٌ على أَرْسَانِ قَصَّـارِ(3)

(1) الزيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٢) . (2) فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٣) : «نيرانها» . (3) القصار (كالمقصر) : المحوّر للثياب .

هوَتْ هِرَقْلةُ لمّا أن رأتْ عجبًا * جوائمًا[(١)] تَرْتمى بالنِّفط والنّار

فطرِب الرشيد وآستعاده مرارًا ؛ وهو شعر مُدِح به الرشيدُ فى فتح هِرَقْلة . فأقبل الرشيد على آبن جامع دون غيره . فغمز مخارقٌ إبراهيمَ بعينه وتقدّمه إلى الخلاء، فلما جاء قال له : مالى أراك مُنكسِرًا ؟ فقال له : أمَا ترى إقبالَ أمير المؤمنين على آبن جامع بسبب هذا الصوت! فقال مخارقٌ : قد والله أخذتُه. فقال : ويحك! إنه الرشيد ، وآبنُ جامع من تَعْلَم، ولا يُمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت ! فقال: دعنى وخَلاك ذَمٌّ ،وعَرِّفْه أنّى أُغَنّى به ، فإن أحسنتُ فإليكَ يُنسَب ، وإن أسأتُ فإلىّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين، أراك مُتعَجّبًا من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر مما يستوجبه ! فقال : لقد أحسن فيه آبن جامع ما شاء . قال : أَوَ لآبنِ جامع هو؟ قال : نعم، كذا ذكَر . قال : فإنّ عبدَك مخارقًا يغنّيه . فنظر إلى مخارق؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاتِه؛ فغنّاه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب ، وطرِب الرشيدُ حتى كاد يطير؛ ثم أقبل على آبن جامع فقال : ويلك! ما هذا ؟ فآبتدأ يحلِف بالطلاق وكلِّ مُحْرِجة أنه لم يسمع ذلك الصوتَ قطّ من غيره وأنه صنَعه وأنها حيلةٌ جَرَتْ عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أَصْدُقْنى بحياتى ؛ فصدَقَه عن قصّة مخارق . فقال لمخارق : اجلس إذًا مع أصحابك ، فقد تجاوزتَ مرتبةَ من يقوم . وأعتَقه ووصلَه بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضَيْعةً ومنزلًا .

وقد روى أبو الفرج الأصفهانىّ عن هارون بن مخارق ، قال : كان أبى إذا غنّى هذا الصوت :

يا رَبْعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طَرَبا * زدتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبا

رَبْعٌ تبدّل ممن كان يسكنه * عُفْرَ الظباء وظُلمانًا به عُصَبا

(١) فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٣) : «حوائما» .

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبتِ؟ فقال : غنّيتُه مولاى الرشـيد ، فبكى وشرب عليـه رطلا ثم قال : أحسنتَ يا مخارق ! فسَلْنى حاجتَك؛ فقلت : تُعْتِقُنى يا أمير المؤمنين أعتقَك الله من النـار؛ فقال : أنت حرٌّ لوجـه الله تعالى، فأعِدِ الصوتَ فأعدتُه؛ فبكى وشرِب رِطلا، ثم قال : أحسنتَ يا مخارق! فسلنى حاجتَك؛ فقلتُ : ضَيْعَةٌ تُقيمنى غَلّتُهـا[1]؛ فقال : قد أمرتُ لك بها، أعِدِ الصوتَ فأعدتُه ؛ فبكى وقال : سل حاجتَك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، تأمر لى بمنزل وفرش وخادمٍ؛ فقال: ذلك لك، أعِدِ الصوت فأعدتُه؛ فبكى وقال: سل حاجَتك؛ فقبّلتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتى أن يُطيل اللهُ بقاءَك ويُديم عزَّك ويجعلنى من كل سوءٍ فداءك؛ فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى .

ويُروى أيضا عن الحسين بن الضحّاك عن مُخارق أنّ الرشـيد قال يوما للمغنّين وهو مصطبح : مَن منكم يغنّى :

* يا ربعَ سَلْمَى لقد هيّجْت لى طربا *

فقمتُ وقلت: أنا يا أمير المؤمنين . فقال : هاتِه؛ فغنّيتُه فطرِب وشرب ثم قال : علىّ بهَرْثَمَة؛ فقلت فى نفسى : ماذا يريد منه! فجاء هرثمةُ فقال له : مخارق الشّارى الذى قتلناه بنواحى المَوْصل ما كانت كنيتُه؟ فقـال : أبو المُهَنّا؛ فقال : آنصرِفْ فآنصرف؛ ثم أقبل الرشيد علىّ فقال : قد كنّيتُـك أبا المهنّا لإحسانك ؛ وأمر لى بمـائة ألف درهم؛ فآنصرفتُ بها وبالكُنْية .

قال أبو عبد الله بن حمدون : كنّا عند الواثق وأمّه عليلةٌ . فلما صلّى المغربَ دخل إليها وأمر ألا نبرحَ، فجلسنا فى صَحْن الدار، وكانت ليلةً مقمرةً وأبطأ الواثقُ علينا ؛ فآندفع مخارق يغنّى، فآجتمع علينا الغِلْمان، وخرج الواثقُ فصاح : يا غلام، فلم يُجبْه

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٤) . وفى الأصل : «عليها» وهو تصحيف .

أحد، ومشى فى المجلس الى أن توسّط الدارَ؛ فلما رأيتُه بادرتُ إليه؛ فقال لى : ويلك ! هل حدَث فى دارى شىءٌ؟ فقلتُ : لا ياسيِّدى . قال : فما بالى أَصيح فلا أُجاب ؟ فقلت : مخارق يغنّى والغِلْمان قد اجتمعوا اليــه فليس فيهم فَضْلٌ لسماع غير ما يسمعونه . فقال : عذرٌ والله لهم يا ابن حمدون وأىّ عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه الى السَّحَر . وقد رُوى نحو هــذه الحكاية فى أمر الغِلْمان مع مخارق عند المعتصم . وقال محمد بن عبد الملك الزيّات : قال لى الواثق : ما غنّانى مخارق قط إلا قدّرت أنه من قلبى خُلِق . وكان يقول : أتُريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على جميع أصحابه؟ أُنظروا الى هؤلاء الغِلْمان الذين يقفون فى السِّماط ، فكانوا يتفقّدونهم وهم وقوفٌ فكلّهم يسمع الغناء من المغنّين جميعا وهو واقفٌ مكانه ضابطٌ لنفسه، فاذا تغنّى مخارق خرجوا عن صُوَرهم فتحرّكت أرجلُهم ومناكبُهم و بانت أســبابُ الطرب فيهم، وازدحموا على الحبل الذى يقفون من ورائه .

وحكى أنّه خرج مرّة الى باب الكُناسة بمدينة السلام والناسُ يرحلون الى مكة ؛ فنظر إلى كثرتهم وازدحامهم ، فقــال لأصحابه الذين معــه : قد جاء فى الخبر أنّ ابن سريج كان يغنّى فى أيام الحجّ والناسُ يمشون فيستوقفهم بغنائه، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعًا لتعلموا أنه لم يكن لِيَفْضُلَنى إلّا بصنعته دون صوته؛ ثم اندفع يؤذّن، فاستوقف أولئــك الخلقَ واستلهاهم، حتى جعلت المحــاملُ يَغْشَى بعضُها بعضًا .

قالوا : وجاء أبو العتاهية الى باب مخارق وطَرَقه فخرج اليه؛فقال له : ياحُسّان هذا الإقليم، ياحكيمَ أرض بابل،اُصْبُبْ فى أذنى شيئا يفرَح به قلبى وتتنعّم به نفسى— وكان فى جماعة منهم محمد بن سعيد اليَزيدىّ — فقال : انْزِلوا ، فنزلوا ، فغنّاهم . فقال محمد بن سعيد : فكدتُ أسعى على وجهى طربًا . قال : وجعل أبو العتاهية

يبكى، ثم قال : يادواءَ المجانين، لقد رقّقتَ حتى كِدتُ أن أحْسُوَكَ، فلوكان الغناء طعامًا لكان غناؤك أُدْما، ولو كان شرابًا لكان ماءَ الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمر بن شبّة قال : حدّثنى بعض آل نُوبَخْت قال : كان أبى وعبد الله بن أبى سهل وجماعةٌ من آل نو بخت وغيرُهم وقوفا بكُناسة الدّوابّ فى الجانب الغربىّ ببغداد يتحدّثون، وإنهم لكذلك إذ أقبل مخارقٌ على حمار أسود وعليه قميصٌ رقيقٌ ورداءٌ مُسَهّم، فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه. فقال : دعونا من وَسْواسكم هذا، أىُّ شىء لى عليكم إن رميتُ بنفسى بين قبرين من هذه القبور وغطّيتُ وجهى وغنّيت صوتا فلم يَبْقَ أحد بهذه الكُناسة ولا فى الطريق من مُشْتَرٍ ولا بائع ولا صادرٍ ولا وارد إلا ترك عملَه وقَرُب منّى واتّبع صوتى؟ فقال عبد الله : إنى لأُحبّ أن أرى هذا، فقل ماشئتَ. فقال مخارق: فرسَك الأشقرَ الذى طلبتُه منك فمنعتنيه. قال : هو لك إن فعلتَ ماقلتَ . قال : فرمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه، ثم آندفع يغنّى بشعر أبى العتاهية :

نادَتْ بوَشْكِ رحيلِكَ الأيّامُ * أفلستَ تسمَعُ أم بك آستِصْامُ
ومضى أمامك مَنْ رأيتَ وأنتَ للـ * ـباقين حتى يلحقوك أمامُ
مالى أراك كأنّ عيْنَك لا ترى * عِبَرًا تمرّ كأنهنّ سهامُ
تمضى الخطوبُ وأنتَ منتبهٌ لها * فإذا مضت فكأنها أحلامُ

قال : فرأيتُ الناس يأتون إلى المَقْبُرة أرْسالا بين راكبٍ وراجل وصاحب شغل ومارّ فى الطريق حتى لم يَبْقَ أحد. ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقى أحدٌ؟ قلنا : لا، وقد وجَب الرّهن . فقام فركب حماره، وعاد الناسُ إلى صنائعهم، وقال لعبد الله : أحضِر الفرس، قال : على أن تُقيم عندى، قال نعم ! فسلّم الفرس إليه وبرّه وأحسن رِفْدَه .

ورُوِى عن يحيى المكىّ قال: خرج مخارقٌ مع بعض إخوانه إلى بعض المُتنزّهات، فنظر إلى قوس مُذْهَبة مع بعض من خرج معـه، فسأله إيّاها، وكان المسئولُ ضَنّ بها، وسنحت ظِباءٌ بالقرب منه، فقال لصاحب القوس: أرأيتَ إن تغنّيتُ صوتا فعطَفتْ علىّ به خدودُ هـذه الظباء أتدفع إلىّ القوسَ؟ قال نعم! فاندفع يغـنّى:

ماذا تقول الظبـاءُ * أفُـرْقَةٌ أم لِقاءُ
أم عهدُها بسُلَيْمَى * وفى البيـان شِـفاء
مرّت بناسانحاتٍ * وقد دنا الإمساءُ
فمـا أحارَتْ جوابا * وطال فيهـا العَناءُ

قال: فعطَفتِ الظباءُ راجعةً إليـه حتى وقفت بالقرب منـه تنظر إليه مُصْغِيةً إلى صوته. فعجب من حضَر من رجوعها ووقوفها، وناولَه الرجلُ القوسَ، فأخذها وقطع الغناء [فعاودت الظباء نِفارَها ومضت راجعةً على سَنَنها](١).

ورُوِى عن إسحـاق بن إبراهيم قال: دخلت على أبى وهو جالسٌ بين بابين له ومخارقٌ بين يديه وهو يغنّيه:

يا ربعَ بِشْرةَ إن أضَرّ بك البِلَى * فلقد رأيتُـك آهلًا معمورا

قال: فرأيتُ أبى ودموعُه تجرى على خدّيه من أربعةِ أماكن وهو يَنْشِج أحرّ نشيجٍ. فلمـا رآنى قال: يا إسحاق، هذا والله صاحبُ اللّواء غدًا إن مات أبوك.

ورُوِى عن مخارق قال: رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنّ شيخا جالسا على سرير فى روضة حسنة، فدعانى فقال لى: غنِّنى يامخارق، فقلت: أصوتًا تقترحه أو ماحضَر؟ فقال: ماحضَر. فغنّيتُه:

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ٢٣٧).

دَ رِى القلبَ لا يَزْدَدْ خَبَالًا مع الذى * به منـكِ أو داوِى جَوَاهُ المُكَتَّما

وليس بتزويق اللسان وصَـوْغه * ولكـنّه قد خالط اللّحمَ والدّما

فقال لى : أحسـنتَ يا مخارق ! ثم أخذ وتَرا من أوتار العود فلفّـه على المِضْراب ودفعه الىّ ، فجعل المِضرابُ يطول و يغلُظ والوتر ينتشر ويَعْرُض حتى صـار المِضرابُ كالرمح والوتر كالعَذَبة [عليه][1] وصار فى يدى علماً ، ثم انتبهت فحدّثت برؤياى إبراهيم الموصلىّ ؛ فقال لى : الشيخ بلا شك إبليسُ ، وقد عقد لواء صنعتك فأنتَ ما حييتَ رئيسُ أهلها .

وقال أحمد بن حمدون : غضِب المعتصمُ على مخارق فأمر أن يُجْعَل فى المؤذّنين ويَلْزمهم ففُعل ذلك ؛ وأُمْهِل حتى علِم أن المعتصم يشرب ، فأذّن العصر ، فدخل الى السِّـتر حيث يقف المؤذِّنُ للسلام ، ثم رفع صوته جهدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصلاةَ يرحمـك الله . فبكى حتى جرت دموعُه وبكى كُلّ من حضر ، ثم قال : أدْخِلوه علىّ وأقبل علينا ؛ ثم قال : سمعتم هكذا قط ! هذا الشيطانُ لا يترك أحدًا يغضب عليه ! . فدخل اليه فقبّل الأرض بين يديه ؛ فدعاه المعتصم اليه فأعطاه يدَه فقبّلها وأمَره بإحضار عوده فأُحْضِره ، وأعاده الى مَرْتَبته . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه منها كفاية . وكانت وفاتُه فى أوّل خلافة المتوكّل ؛ وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق . وغنّى خمسةً من الخلفاء : الرشيدَ والأمينَ والمأمونَ والمعتصمَ والواثقَ . رحمهم الله تعالى .

---

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ٢٣٣) .

(١٢٩)

ذكر أخبار يحيى بن مَرْزوق المكّىّ

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكىّ، مولى بنى أميّة، وكان يكتُم ذلك لخدمته للخلفاء من بنى العبّاس؛ وكان إذا سُئِل عن ولائه انتمى الى قريش، ولم يذكر البطنَ الذى ولاؤُه له، ويَستعفِى من يسأله عن ذلك .

٥ قال الأصفهانىّ :

وعُمِّر يحيى المكىّ مائة وعشرين سنة، وأصاب بالغناء مالم يُصِبْه أحدٌ من نظرائه ومات وهو صحيحُ العقل والسمع والبصر . وكان قدِم مع الحجازيّين الذين قدِموا على المهدىّ فى أوّل خلافته فبَقِى بالعراق . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ وفُلَيْح يفزَعون اليه فى الغناء القديم فيأخذونه عنه، ويُعَايِى بعضُهم بعضا بما يأخذونه

١٠ منه . فإذا خرجت لهم الجوائزُ أحْذَوْه[1] منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعةٌ عجيبةٌ نادرة متقدّمة . قال : وله كتاب فى الأغانى ونِسَبها وأجناسِها كبير جليل مشهور، إلّا أنّه كالمطروح عند الرواة لكثرة تخليطه فى رواياته؛ والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيرا ممــا أفسده وأزال ماعرفه من تخاليط أبيه، وحقّق مانسبه من الأغانى الى صانعه . قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

١٥ قال أحمد بن سعيد :

كانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت ، منها زُهاءَ ألف صوت لم يُقارِبْه فيها أحدٌ . وسُئِل ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذى صحّ عندى منها ألفُ صوت وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتا، غَلَب[2] فيها على الناس جميعا من تقدّم منهم و[من][3] تأخّر، فلم يَقُم له أحد فيها .

٢٠ (١) أحذاه : أعطاه مما أصاب من غنيمة أو جائزة . (٢) فى الأصل : «خطب»، والتصويب عن الأغانى (ج ٦ ص ١٧٨) . (٣) الزيادة عن الأغانى .

قال أحمـد بن يحيي قال لى إسحاق : يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتًا من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرّابح . والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيي المكىّ المُلقّب بطَنِين[1]

هو أبو جعفر أحمد بن يحيي المكىّ، وكان يُلَقّب طنينا[1] . وهو أحد المحسنين المُبرِّزين الرّواةِ للغناء المُحكِمِي الصنعة . كان إسحاقُ يقـدّمه ويُؤْثِره ويَشْدُو[2] بذكره ٥ ويَجْهَر بتفضيله .

قال أبو الفرج : وكتابُه المجرَّد فى الأغانى ونِسَبها أصـلٌ من الأصول المعوّل عليها . قال : وكان مع جودة غنائه وحسنِ صـنعته أحدَ الضُّرّاب الموصـوفين المتقدّمين .

قال علىّ بن يحيي : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ — وقد جرى ذكر أحمد ١٠ ابن يحيي المكىّ — : يا أبا محمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيي مملوكًا كم كان يُساوِى؟ قال : أُخبرك عن ذلك، انصرفتُ ليلةً من دار الواثق فآجتزتُ بدار الحسن بن وهب فدخلتُ اليه فإذا أحمدُ عنده . فلما قاموا لصلاة العِشاء الآخرةِ قال لى الحسن بن وهب : كم يُساوى أحمد لو كان مملوكًا؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنّى صوتًا، فقال لى الحسن : كم يساوى أحمد لو كان مملوكًا؟ قلتُ : يساوى ١٥ ثلاثين ألف دينار . ثم تغنّى صوتا آخَر، فقلت للحسن : يا أبا علىّ أضْعِفها . ثم أردتُ الآنصرافَ فقلت لأحمد : غنِّنى

لولا الحياءُ وأنّ السَّتْرَ[3] من خُلُقِى * إذًا قعدتُ إليـك الدهرَ لم أقُمِ

(١) فى الأغانى (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « ظنين » بالظاء المعجمة .

(٢) الذى فى الأغانى : « ويشيد » .

٢٠ (٣) الذى فى الأغانى (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « السير » .

أليس عنـدك سكرٌ[1] للتى جعلتْ * ما ٱبيضّ من قادمات الرأس كالحُمَم

فغنّاه فأحسن فيه كلّ الإحسان . فلما قمتُ للآنصراف قلتُ : يا أبا علىّ ، أضْعِف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذى أسمعكما تقولانه ولستُ أدرى ما معناه؟ فقال : نحن نَبيعك ونَشتريك منذ الليلة وأنتَ لا تدرى . وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألنى إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ يوما : مَنْ بَقِى من المغنّين؟ قلت : وجْهُ القَرْعة محمد بن عيسى . فقال : صالح كيِّس ؛ ومَنْ أيضا ؟ قلت : أحمـد بن يحيى المكىّ . قال : بَخٍ بَخٍ ! ذاك المحسنُ المُجْمِل الضارب المغـنّى ، القائمُ بمجلسه لا يُحْوِج أهلَ المجلس الى غيره . وكانت وفاتُه فى أوّل خلافة المستعين .

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أميّة

يُكْنَى أبا العباس . وكان موسى الهادى يسمّيه أبا الغريض . قال أبو الفرج : وهو حسنُ الصنعة غزيرُها ؛ وفيه يقول الشاعر :

يا وَحْشتى بعـدك يا هاشمُ * غِبتَ فَشَجْوِى بكَ لِى لازِمُ[2]

اللّهـوُ واللّـذّةُ يا هاشم * ما لم تكـن حاضرَهُ ماتمُ

وقال الأصبهانىّ بسند رفعه إلى هاشم :

أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده جماعةٌ فقال : يا هاشمُ غنّنى :

* أَبَهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا *

فإن أصبتَ مرادى فيه فلك حاجةٌ مقضية . قال : فغنّيتُه ، وهو :

أَبَهارُ قـد هيّجتِ لى أوجاعا * وتركتِنى عبـدًا لكم مِطْـواعا

---

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « شكر » .

(٢) فى الأغانى (ج ١٤ ص ٤٤ طبع بولاق) : « دائم » .

بحديثك الحسن الذى لو كُلِّمتْ * وحشُ الفــلاة به لجئْنَ سِراعا
وإذا مررتُ على البَهارِ مُنَضَّدًا * فى السوق هيّج لى إليك نزاعا
والله لـو عـــلِم البهـارُ بأنها * أضحتْ سميّتـه لصـار ذراعا

فقال : أصبتَ وأحسنتَ ، سَلْ حاجتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن يُملأ هـذا الكانون دراهم — وكان بين يَدَيه كانون عظيم — فأمر به فمُلِئ فوسِع ثلاثين ألف درهم . فلمّا حصّلتُها قال لى : يا ناقص الهمة ، والله لو سألتَ أَن أملأه لك دنانير لفعلتُ . فقلت : أقِلْنى يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيلَ الى ذلك ولم يُسْعِدك الجَـدّ به . وقد رُوِيتْ هذه الحكايةُ فى موضع آخر ، وذُكِر أنّ الذى غنّاه غيرُ هـذا الشعر ، وأن الكانون وَسِع ستّ بِدَر ، فدفعها اليه .

ذكر أخبـار يزيد حَوْراء

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبـد مَنَاة بن كِنانة ؛ ويُكْنى أبا خالد . مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصنعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ . وكان ممن قدِم على المهـدىّ فى خلافته فغنّاه . وكان حسنَ الصوت حلوَ الشمائل . فحسده إبراهيمُ الموصلىّ على شمائله وإشاراته فى الغناء ، فاشترى عدّة جوار وشاركه [فيهنّ][1] ، وقال له : علِّمهنّ ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهنّ فهو بيننا . وأمرهنّ أن يجعلن وكْدَهنّ[2] أخذَ إشاراته ففعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهنّ هو وابنُه ويأمرهنّ بتعليم كل من يعرِفنه ذلك حتى شهرها فى الناس ، فأبْطَل عليه ما كان منفردًا به من ذلك .

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٣ ص ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الوكد : الهم والقصد .

قال عبد الله بن العباس الرَّبيعىّ :

كان يزيد حَوْراء نظيفًا ظريفًا حسنَ الوجه شَكِلًا، لم يقــدَم علينا من الحجاز أنظفُ منه ولا أشكلُ، وماكنتَ تَشاءُ أن ترى خَصْلةً جميلة لا تَراها فى أحد منهم الا رأيتَها فيه . وكان يتعصّب لإبراهيم الموصلىّ على آبن جامع، فكان إبراهيمُ يرفع منه ويُشيع ذكره بالجميل وينبِّه على مواضع تقدُّمه [وإحسانه](١)، ويبعث بآبنه إسحاق [إليه](١) يأخذ عنه .

وحكى أبو الفرج بسَنَد رفعه الى يزيد حوراء قال :

كلّمنى أبو العتاهية فى أن أكلِّم المهدىّ فى عُتْبَة، فقلت : إن الكلام لا يُمكننى، ولكن قل شعرًا أُغنّيه به؛ فقال :

نفسى بشىء من الدنيا معلّقةٌ * آللهُ والقــائمُ المهدىُّ يكفيها
انى لَأيأَسُ منها ثم يُطمِعُنِى * فيها آحتقارُك للدّنيا وما فيها

قال : فعمِلتُ فيــه لحنًا وغنّيتُــه . فقال : ما هــذا ؟ فأخبرتُه خبر أبى العتاهية؛ فقال : ننظرُ فيما سأل؛ فأخبرتُ بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شهر فجاءنى فقال : هل حدَث خبرٌ ؟ قلت لا . قال : فآذكُرْنى للهدىّ . فقلتُ : إن أحببتَ ذلك فقل شعرا تحرّكه به وتذكّره وعدَه حتى أغنّيه به؛ فقال :

ليتَ شعرى ماعندكم ليتَ شعرى * فلقــد أُخِّر الجــوابُ لأَمْر
ما جوابٌ أولى بكــل جميلٍ * مِن جــوابٍ يُرَدُّ مِن بعــدِ شهر

قال يزيد : فغنّيت المهدىّ، فقال : علىّ بعتبة فأُحضِرت؛ فقال : إن أبا العتاهية كلّمنى فيك، فما تقولين ولك عندى وله ما تُحبّان ممــا [لا](١) تبلُغه أمانيكما؟ فقالت :

(١) الزيادة عن الأغانى .

قد علِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله علىّ من حقّ مولاتى، وأُريد أن أذكر هذا لها.
قال : فأفعلى . قال : فأعلمتُ أبا العتاهية. ومضت أيام فسألنى معاودةَ المهدىّ؛
فقلتُ : قد عرفتَ الطريق، فقل ماشئتَ حتى أغنّيه به؛ فقال :

أَشْرَبتُ قلبى مِن رجائكَ ماله * عَنَقٌ يَخُبّ إليكَ بى ورَسِـــيم
وأَمَلْتُ نحو سماء جَوْدك ناظرى * أرْعَى مَخايِلَ بَرْقِهـا[(١)] وأَشِــيمُ
ولقد تنسّمتُ الرِّياحَ لحاجتى * فإذا لهـا مِن راحتيك نَسِــيم
ولربمـا آستيأستُ ثم أقول لا * إن الذى وعـــدَ النّجاحَ كريم

قال يزيد : فغنّيتُه الشعر، فقال : علىّ بعتبة؛ فجاءت؛ فقال : ماصنعت؟ فقالت :
ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرِهَتْه وأبتْ أن تفعل، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد. قال :
ماكنتُ لأفعل شيئا تكرهه. فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال :

قطّعتُ منك حبائلَ الآمالِ * وأرَحْتُ مِن حِلّ ومن تَرْحالِ
ماكان أشأم إذ رجاؤك قاتلى * وبناتُ وعدك يَعْتَلِجن ببالى
ولئن طَمِعتُ لربّ بَرْقةِ خُلّبٍ * مالت بذى طمع ولَمْعةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكايةَ وآختصرها، ولم يذكر الأبيات التى منها

* أشرَبْت قلبى من رجائك ماله *

إلا أنّه غيّر قولَه : "أشربت قلبى" بقوله : "أعلمتُ نفسى من رجائك" . وقال :
فصنع فيه يزيد لحنا وغنّاه المهدىّ. فدعا بأبى العتاهية وقال له : أمّا عُتْبةُ فلا سبيلَ
إليها، لأن مولاتها قد مَنعتْ منها، ولكن هذه خمسون ألف درهم فآشْتَرِ ببعضها خيرًا
من عتبة؛ فحُمِلت إليه، فأخذها وآنصرف .

---

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «قربها» .

وحُكى عن حماد بن إسحاق قال :

قال يزيد حوراء : كنتُ أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، وكانت تمرّ بى جاريةٌ تختلف الى الزرقاء تتعلّم منها الغناء. فقلت لها يوما : افْهمى قولى ورُدّى جوابى وكونى عند ظنّى؛ فقالت : هاتِ ما عندك. فقلتُ : بالله ما آسمك؟ فقالت : مُمَنَّعة . فأطرقتُ طِيَرَةً من آسمها مع طمعى فيها ، ثم قلتُ : بل باذِلةٌ ومبذولةٌ ٥
إن شاء الله فآسمعى منّى . فقالت وهى تبسّم : إن كان عندك شىء فَقُل . فقلت:

لِيَهْنِك منّى أنّنى لستُ مُفْشِياً * هواكِ إلى غيرى ولومُتّ من كربى

ولا مانحًا خَلْقًا سواكِ محبّةً * ولا قائلًا ماعشتُ من حبكم حسبى

فنظرت إلىّ طويلا ثم قالت : أَنْشُدُك الله ، أعن فَرْط محبّة أم آهتياجِ غُلْمةٍ
[تكلمت](1)؟ فقلتُ : لا والله إلا عن فرط محبّة . فقالت : ١٠

فوالله ربّ الناس لا خُنْتُك الهوى * ولا زلتَ مخصوصَ المحبّة من قلبى

فثِقْ بى فإنى قد وَثِقْتُ ولا تكن * على غيرما أظهرتَ لى يا أخا الحبّ

قال : فوالله لكأنما أضرمتْ فى قلبى نارًا . فكانت تلقانى فى الطريق الذى كانت تسلُكه فتحدّثنى فأتفرّج بها؛ ثم آشتراها بعضُ أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبنى
وتلاطفنى دهرا طويلا . ١٥

ذكر أخبار فُلَيح بن أبى العَوراء

هو رجل من أهل مكّة مولى لبنى مخزوم، وهو أحد مُغَنِّى الدولة العبّاسية ؛ له محلٌّ كبير من صناعته، وهو أحد الثلاثة الذين آختاروا المائة الصوت للرشيد التى بنى أبو الفرج الأصفهانى كتابَه المترجمَ بالأغانى عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ :
ما سمعتُ أحسنَ من غناء فليح وآبن جامع . وكان المهدىّ لا يُغَنّيه مُغَنٍّ إلا من ٢٠

(١) الزيادة عن الأغانى .

وراء الستارة إلا فليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه و بين المهدىّ . وهو أوّل مُغَنّ نظر وجهَ المهدىّ .

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ عن يوسـف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدىّ قال : كتب إلىّ جعفـر بن يحيى وأنا عامل الرشـيد على [جُنْـد](١) دمشـق : قد قدم علينا فُلَيْح بن أبى العوراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناءٍ سمعناه قبله . وأنا محتال لك فى تخليصه إليك لتسمع منـه كما أسمعنا . فلم ألبث أن ورد علىّ فليحٌ بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار؛ فورد علىّ منه رجلٌ أذكرنى لقاؤه الناسَ وأخبرنى أنه قد ناهز المـائة . فأقام عندى ثلاث سنين، وأخذ جوارىّ عنه كلَّ ما كان معه من الغناء، وآنتشر بعضُ غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسـنده إلى أحمد بن يحيى المكّىّ عن فُلَيْح بن أبى العوراء قال : كان بالمدينـة فتًى يعشَق آبنـةَ عمّ له ، فوعدتْه أنهـا تزوره ؛ وشكا إلىّ أنها تأتيه ولا شىء عنـده؛ فأعطيتُه دينارا للنفقة . فلما زارتْه قالت له : من يُلْهينا ؟ قال : صديقٌ لى، ووصفنى لهـا؛ ودعانى فأتيتُه؛ وكان أوّل ماغنّيتُه :

مِن الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم تَرْفَعْ لوالدهـا شَـــنارا

فقامت الى ثوبها فلبِسـتْه لتنصرف . فتعلّق بهـا وجَهِد كلَّ الجهد فى أن تُقيم فلم تفعل وآنصرفتْ . فأقبل يلومنى فى أن غنّيتُها ذلك الصوتَ . فقلت : والله ماهو شىءٌ آعتمدتُ به مساءَتك ولكنّه شىء آتّفق . قال : فلم نَبْرَح حتى عاد رسولُها ومعه صُرّةٌ فيها ألف دينار، فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك آبنةُ عمّك : هذا مَهْرى، فادفعه إلى أبى وآخطُبْنى، ففعل وتزوّجها .

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٤ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية) . والجند : المدينة وخص به أبو عبيدة مدن الشام . وأجناد الشام خمس كور : دمشق وحمص وقنسرين والأردن وفلسطين .

ذكر أخبار إبراهيم الموصلىّ عفا الله عنه

هو إبراهيم بن مَاهان بن ميمون، وأصلُه من فارس، ومولِدُه فى سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، ووفاتُه ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة . قالوا : ومات ماهان وترك إبراهيمَ صغيرًا، فكَفَله آلُ خزيمة بن خازم، فكان ولاؤُه لبنى تميم . وكان السببُ فى نسبه إلى المَوْصل أنه لما كَبِر وآشتدّ وأدرك صَحِب الفِتيانَ وآشتهى الغناءَ وطلبَه، فاشتدّ أخوالُه بنو عبد الله بن دارم عليه فى ذلك و بلغوا منه ، فهرب منهم إلى الموصِل فأقام بها سنة؛ فلما رجَع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مَرْحبًا بالفتى الموصلىّ، فغلب عليه[1] ثم آرتحل إلى الرّىّ فى طلب الغناء، فطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسى والعربى .

قال إسحاق : حدّثنى أبى قال :

أوّل شىء أُعطيته بالغناء أنى كنت بالرّىّ أنادِم أهلها بالسوِيّة لا أرزؤهم شيئا ولا أُنفق إلا من بقية مال كان معى. فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عُمّاله برسالة، فسمعنى عند رجل من أهل الرّىّ فشُغِف بى وخلَع علىّ دُوّاج[2] سَمُّور له قيمة، ومضى بالرّسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكُسوةٍ كثيرة، فجاءنى إلى منزلى الذى كنت أسكنه، فأقام عنـدى ثلاثة أيام ووهب لى نصف الكسوة [التى معـه][3] وألفى درهم . وكان ذلك أوّل مالٍ كسبته من الغناء، فقلت : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلّا على الصناعة التى أفادتْنيها . ووُصِف لى رجلٌ بالأُبُلّة[4]

(١) فى الأغانى (ج ٥ ص ١٥٦ طبع دار الكتب المصرية) : « فلقب به » .

(٢) ضرب من الثياب . والسمور دابة معروفة تسوّى من جلودها فراء غالية الأثمان .

(٣) الزيادة عن الأغانى .

(٤) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة .

اسمه : "جُوانُويه"(١) وكان حاذقا ، فخرجت إليه ، وصحبت فتيانها وأخذت عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بى .

قال إبراهيم : ولمـا أتيت " جُوانُويَه " لم أُصادِفه فى منزله فأقمت حتى جاء . فلما رآنى آحتشمنى وكان مجوسيا ، فأخبرته بصناعتى والحال التى قصدتُه فيها ، فرحّب بى وأفرد لى جَناحًا فى داره ووَكّل بى جاريةً(٢) ، فقدّمتْ لى ما أحتاج إليه . فلمـا كان العِشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يغنّى ، فنزلت إليه فجلسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنّوا ، فلم أجِدْ فى غناء أحد منهـم فائدة ، وبلغت النَّوْبة إلىّ فضربتُ وغنّيت ، فقاموا جميعا إلىّ فقبّلوا رأسى وقالوا : بَخرتَ بنا ، نحن إلى تعليمك إيّانا أحوج منك إلينا . فأقمت على تلك الحال أياما حتى بلغ [محمد بن](٣) سليمان بن علىّ خبرى ، فوجّه إلىّ فأحضرنى وأمرنى بملازمته . فقلتُ : أيها الأمير ، لستُ أتكسّب بهذه الصناعة وإنما ألتذّ بالغناء فلذلك تعلّمتُه ، وأُريد العَوْد الى الكوفة ؛ فلم أنتَفِعْ بذلك عنده وأخذنى بملازمته وسألنى : من أين أنا ؟ فآنتسبتُ الى المَوْصل ، فلزِمتنِي وعُرِفتُ بها . ولم أزل عنده مُكرَّمًا ، حتى قدِم عليه خادمُ المهدىّ . فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هـذا منك ، فَدافَعه عنّى . فلما قدِم الخادمُ على المهدىّ سأله عمّا رأى فى طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بما رأى ، حتى آنتهى إلى ذكرى فوصَفَنى له . فأمره المهدىُّ بالرّجوع وإشخاصى إليه ، فجاء وأشخصنى إلى المهدىّ ، وحَظِيتُ عنده وقدّمنى .

قال : وما سمِـع المهدىُّ قبلى أحدًا من المُغَنّين سـوى فُلَيْح بن أبى العـوراء وسِياط ، فإن الفضل بن الربيع وصفهما له .

---

(١) جوانويه : مغن مجوسىّ . (٢) فى الأغانى « أخته » .

(٣) الزيادة عن الأغانى .

قال : وكان المهدىّ لا يَشرب ، فأرادنى على ملازمته وترك الشُّرب، فأبيتُ عليه . وكنتُ أغيب عنه الأيام، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتَشيا، فغاظَه ذلك منّى وضرَبنى وحبَسنى، فحَـذقتُ القراءةَ والكتابة فى الحبس . ثم دعانى يوما فعاتبنى على شربى فى منازل الناس والتبذّل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين، إنما تعلّمتُ[1] هذه الصناعة للّذّتى وعشرةِ إخوانى ولو أمكننى تركُها تركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله تعالى . فغضب غضباً شديدا وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ وأصنعنّ . فقلت نعم . ثم بلغــه أنّى دخلتُ عليهما وشربتُ معهما وكانا مشتهِرين[2] بالنّبيــذ، فضربنى ثلاثمائةَ سوط وستين سوطا . فقلتُ له وأنا أُضْرَب : إن جُرمى ليس من الأجرام التى يَحِلّ بها ســفك دمى، ووالله لو كان سرُّ ٱبنيــك تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا، ولو فعلتُ ذلك كنت فى حالة أبانٍ[3] العبدِ الساعى . فلما قلتُ ذلك ضربنى بالسيف فى جفنه[4] فشجّنى، فسقطت مَغْشِيًّا علىّ . وقال لعبد الله ٱبن مالك : خُذْه إليك وٱجعله فى مثل القبر . فدعا عبدُ الله بكبش فذَبحه وسَلخه وألبَسنى جلدَه ليسكن الضّربُ عنى، ودَفَعنى الى خادم له يقال له أبو عثمان ســعيد التركىّ ، فجعلنى فى قبر ووكّل بى جارية . فتأذّيت بنَزّ كان فى القبر وبَقّ[5] . فقلت للجارية : أَصْلِحى لى مِجْمَرةً وكُنْدُرا[6] ليذهب عنى هــذا البَقّ ففعلتْ . فلما دخّنت أظلم القبرُ وكادت نفسى تذهب ، ثم خفّ ذلك و زال البَقّ ، وإذا حيّتان مُقْبِلتان نحوى من شَقّ فى القــبر تَدُوران حولى ، فهمَمْتُ أن آخُذَ واحدةً بيدى اليمنى

(١) فى الأصل «فعلت» . والتصويب عن الأغانى (ج ٥ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) فى الأغانى : «مستهترين» .

(٣) هو العبد الذى سعى به و بموسى وهارون إلى المهدىّ وحدثه بما كانوا فيه .

(٤) جفن السيف : غمده .

(٥) المراد بالبق هنا ما يسميه أهل مصر الناموس، وأهل العراق يسمونه البق، و يطلقون الناموس على ما يسميه أهل مصر بالبق .

(٦) الكندر : اللبان .

والأخرى بيدى اليسرى، فإمّا علىّ وإمّا لى، ثم كُفيتُهما، فدَخلنا فى الثَّقب الذى خرجنا منه . فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرِجتُ منه . وأحْلَفنى المهدىّ بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمينٍ لا فسحةَ لى فيها ألّا أدخلَ على آبنيه موسى وهارون أبدا ولا أغنّيهما، وخلّى سبيلى . قال إبراهيم : وقلتُ وأنا فى الحبس :

ألَا طال ليلى أُراعِى النجوم * أُعالج فى السّاقِ كَبْلًا ثقيــلا ٥
بدارِ الهوانِ وشرّ الديارِ * أُسامُ بها الخَسْفَ صَبْرًا جميلا
كثيرُ الأخِلّاء عنــد الرخاء * فلما حُبِستُ أراهم قليلا
لطول بلائى ملَّ الصـديق * فلا يأمَنَنّ خليلٌ خليلا

قال : فلمّا ولِى موسى الهادى الخلافةَ آستتر إبراهيم منه ولم يَظْهر له بسبب الأيمان التى حلَف بها للمهدىّ. فلم يزل يطلبه حتى أُتِى به . فلما عاينه قال : ياسيّدى، ١٠ [فارقتُ][1] أمّ ولدى أعزّ الخلق علىّ، ثم غنّاه :

يابنَ خيرِ الملوك لا تتْركنّى * غَرَضًا للعــدوّ يَرْمِى حِيالِى
فلقد فى هواك فارقتُ أهلى * ثم عرّضتُ مهجتى للزوال
ولقد عِفْتُ فى هواك حياتى * وتغرّبت بين أهــلى ومالى

قال إسحاق بن إبراهيم : فموّله الهادى وخوّله ؛ وبحَسْبك أنه أخذ منــه مائة ألف ١٥ وخمسين ألف دينار فى يوم واحد ، ولو عاش لنا لبنينا حيطانَ دُورنا بالذهب والفضّــة .

قال حمّاد بن إسحاق قال لى أبى :

والله ما رأيتُ أكمَلَ مروءةً من جدّك ، كان له طعام يُعَدّ أبدًا فى كل وقت .
فقلت لأبى : كيف كان يُمكنه ذلك ؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِياهٍ ، ٢٠

(١) الزيادة عن الأغانى .

واحدةٌ مقطّعة فى القدور ، وأخرى مسلوخةٌ معلّقة ، وأخرى قائمة فى المطبخ؛ فإذا أتاه قوم طَعِموا ممّا فى القدور ، فإذا فرغت القدورُ قُطِّعت الشاةُ المعلّقةُ ووُضِعَتْ فى القدور وذُبِحَتِ القائمة وأُتى بأخرى فأُقيمت فى المطبخ . وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبــه وما يتّخــذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم ســوى ما كان يُجرِى وسوى ٥ كُسوته . ولقد كان مرّةً عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما فيهنّ واحدة إلا ويُجرِى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثل ما يُجرِى لأخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدةُ الى مولاها وصلَها وكساها . ومات وما فى ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال :

١٠ اشترى الرشيد من أبى جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل الى الفضل بن الرّبيع وقال له : إنا آشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم ونحن نحسَب أنها على صفةٍ وليست كما ظننّا وما قَرِبْتُها ، وقد ثَقُلَ علىّ الثمنُ و بينك و بينــه ما بينكما ؛ فآذهب اليه فسَله أن يَحُطّنا من ثمنها ستة آلاف دينار . قال : فأتاه الفضل ، فخرج اليه وتلقّاه ؛ فقال له : دعنى من هذه الكرامة التى لا مَئُــونة فيها ، قد جئتُك ١٥ فى أمر ، ثم أخبره الخبر . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يبلُوَ قدْرَكَ عندى . قال : هو ذاكَ ؟ قال : فمالى فى المساكين صدقةٌ إن لم أُضْعِفْه لك ، قد حططتُك آثنى عشرَ ألف دينار . فرجع الفضل اليه بالخبر ؛ فقال : ويحك ! احمل اليه المــالَ بجملته ، فما رأيت سُوقةً أنبل[1] منه نفسا . قال إسحاق : وكنتُ قد أتيت أبى فقلت : ما كان لحطيطة هذا المــال معنًى ولا هو قليل يُتغافل عنه ، قال لى : يا أحمقُ ، أنا أعرف الناسِ به ، ٢٠ والله لو أخذتُ المــالَ منه كَمَلًا ما أخذته إلا وهو كاره ولَحَقَدَ ذلك ، وكنت أكون

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «أمثل» .

عنده صغيرَ القدر ، وقد مَننتُ عليــه وعلى الفضل وٱنبسطتْ نفسُه وعَظُمَ قدرى عنده، وإنمـا ٱشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار . فلمـا حُمِلَ اليه المـالُ بكماله دعانى وقال : كيف رأيتَ يا إسحاقُ، مَنِ البصيرُ أنا أم أنتَ؟ [١] فقلت : أنت، جعلنى الله فداك . قال : وإبراهيمُ أوّل من علّم الجوارى المثمّنات الغناء فإنه بلغ بالقيان كلّ مبلغ ورفع من أقدارهنّ . ٥

ومن أخباره مع الرشيد ما رُوى عن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

إنّ الرشيد غضب علىّ فقيّدنى وحبسنى بالرَّقّة وجلس للشرب يوما فى مجلس قد زينه وحسّنه . فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم، غيبةُ إبراهيم الموصلىّ عنه . فأمره بإحضارى، فأُحضرتُ فى قيودى، فَفُكّت عنّى بين يديه ، وأمرهم فناولونى عودا، ثم قال : غنّ يا إبراهيم، فغنّيته : ١٠

تَضَوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعمانَ أن مَشتْ * بـه زينبٌ فى نسـوةٍ عَطِـرَاتِ

فاستعاده وشرب وطرِب وقال : هَنَأْتَنِى وسأهنِئك بالصلة، وقد وهبت لك الهنىء والمرىء، [٢] فانصرفتُ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتى ألف درهم .

قال إبراهيم : دخلت على موسى الهـادى فقال لى : يا إبراهيم، غنّ من الغناء ما ألَذُّ وأطرَبُ عليه ولك حكمُكَ . فقلت : يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلنى زُحَلُ ببرده رجوتُ ذلك، فغنّيته : ١٥

وإنى لَتعـرُونى لذِكراكِ هِزةٌ * كما ٱنتفض العُصفورُ بلّله القطرُ

(١) فى الأصل « أو » .

(٢) الهنىء والمرىء : نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما «واسط الرقة» . يريد أنه أقطعه ضيعتهما (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٩٩٤ طبع أوروبا) . ٢٠

فضرب بيده إلى جيب دُرّاعته[1] فخطّه ذراعا، ثم قال: أحسنتَ والله! زدنى، فغنّيتُ:

فيا حُبّها زِدْنى جَوًى كلَّ ليلةٍ * ويا سَلوةَ الأيام مَوعِدُكِ الحشرُ

فضرب بيده الى دُرّاعته فخطها ذراعا آخر وقال: زدنى ويلك! أحسنتَ والله ووجب حكمك، فغنّيتُ:

٥ هجرتُكِ حتى قيل ما يعرف الهوى * وزُرتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ

فرفع صوته وقال: أحسنت والله! لله أبوك! هات ما تريد. فقلت: يا سيّدى عَيْن مروان بالمدينة. فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان وقال: يابن اللخناء! أردت أن تَشْهَرنى بهذا المجلس فيقول الناس: أطربه فحكم عليه فتجعلنى سَمَرًا وحديثا! يا إبراهيم الحرّانى[2]، خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت مال الخاصة، فإن ١٠ أخذ كلَّ ما فيه فخلّه وإياه. فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار. وهذا الشعر لأبى صخر الهذلىّ، وأوّله:

عَجِبتُ لسعى الدّهر بينى وبينها * فلما ٱنقضى ما بيننا سَكَن الدّهرُ

فياحبّها زِدْنى جَوًى كلّ ليلةٍ * ويا سَلْوةَ الأيام مَوْعِدُكِ الحشرُ

ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بىَ المَدَى[3] * وزدتَ على ما ليس يبلغه الهجرُ

١٥ وإنى لتعرونى لذكراكِ هِزّةٌ * كما ٱنتفض العصفورُ بلّله القطرُ

هجرتُكِ حتى قيل لا يعرفُ الهوى * وزرتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ

---

(١) الدرّاعة: جبة مشقوقة المقدّم ولا تكون إلا من صوف.

(٢) فى نسخة من الأصل: «الجدانى». وفى أخرى: «الحدانى» والتصويب عن الأغانى. وهو من ندماء الهادى وكان قيما على خزائن الأموال فى أيامه.

٢٠ (٣) ورد هذا الشطر هكذا فى الأغانى وأمالى القالى (ج ١ ص ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية). وفى الأصل: * وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر *

أمّا والذى أبكى وأضحـك والذى * أمات وأحيا والذى أمره الأمرُ
لقد تركَتْنى أحسُدُ الوحشَ أن أرى * أليفَـيْنِ منهـا لا يروعُهما الذُّعْرُ

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلى مع البرامكة رحمهم الله تعالى

كان لإبراهيم الموصلىّ مع البرامكة أخبار مستحسنة، سنُورد منها طرَفا . منها ما حكى عن مُخَارِق قال :

أذِن لنا أمير المؤمنين الرشـيدُ أن نُقيمَ فى منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا أنه يشتغل فيها مع الحُرَم. فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم وقد أصبحت السماء مُتَغيِّمةً تطِشّ طِشيشا خفيفا . فقلت : والله لأذهبنّ الى أستاذى إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، وأمرتُ مَنْ عنـدى أن يسوّوا لنـا مجلسا الى وقت رجوعى . فجئتُ الى إبراهيم، فدخلت إليه ، فإذا هو جالس فى رِواق له والسـتارةُ منصوبةٌ والجوارى خلفها ؛ فدخلت أترنّم ببعض الأصوات وقلت له : ما بالُ السّتارةِ لست أسمع من ورائهـا صوتا؟ فقال : اقعد ويحك! إنى أصبحت فجاءنى خبرُ ضَيعةٍ تُجاوِرنى قد والله طلبتها زمانًا وتمنّيتُها ولم أملكها، وقد أُعطى بها مائةَ ألف درهم. فقلت له : ما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المـال وأكثر. قال : صدقت ، ولكن لستُ أطِيبُ نفسا بأن أُخرِجَ هذا المـال. فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألف درهم؟ قال[1] : والله ما أطمع فى ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! ثم قال : اجلس، خذ هذا الصوت . ثم نَقَر بقضيب على الدّواة وألقى علىّ هذا الصوتَ :

نام الخليّونَ من همٍّ[2] ومن سَقَمِ * وبِتُّ من كثرة الأحزان لم أنَمِ

(١) كلمة «قال» غير موجودة فى الأغانى، وسياق كلامه أن ما بعدها من كلام مخارق .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « من همى ومن حزنى » .

يا طالبَ الجودِ والمعروف مجتهدًا * اِعْمِدْ ليحيي حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكمتُه . ثم قال لى : آنصرف الى الوزير يحيي بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يُفتح البابُ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ، فآستأذِنْ عليه قبل أن يصل اليه أحدٌ، فإنه يُنكر مجيئكَ ويقول : مِن أين أقبلتَ
٥ فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقصدك إيّاى وما ألقيتُ اليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى قد صنعت هذا الصوت وأعجبنى ولم أر أحدًا يستحقه إلا جاريته فلانة، وأنى ألقيتُه عليك [حتى أحكمته][1] لتطرحه عليها؛ فسيدعوها ويأمر بالستارة فتُنصبُ ويوضع لها كرسىّ ويقول لك : اِطْرَحْه عليها بحضرتى؛ فآفعل وأْتِنى بما يكون بعد ذلك من
الخبر . قال مخارق : فجئت الى باب يحيي بن خالد فوجدته كما وصف . وسألنى
١٠ فأعلمته بما أمرنى به؛ ففعل كل شىء قاله لى إبراهيمُ وأحضر الجارية فألقيتُه عليها . ثم قال لى : تُقيم عندنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف؟ فقلت : بل أنصرف، أطال الله بقاءك، فقد علمتَ ما أُذِنَ لنا فيه . فقال يا غلام، اِحْمِل مع أبى المهنّأ عشرة آلاف درهم واحمل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمنَ هذه الضيعة . فحملت عشرة الآلاف معى، وأتيتُ منزلى وقلت : أَسَرُّ يومى هذا وأَسُرُّ مَنْ عندى . ومضى الرسول بالمال
١٥ الى إبراهيم؛ فدخلتُ منزلى ونثرتُ على مَنْ عندى دراهم من تلك البَدْرة وتوسَّدتُها وأكلتُ وشربت وطرِبت وسُرِرتُ يومى كلّه . فلما أصبحت قلت : والله لآتِينّ أستاذى ولأعرفنّ خبره؛ فأتيْته فوجدته كهيئته بالأمس على مثل ما كان عليه، فترنّمت وطرِبت فلم يتلَقَّ ذلك بما يجب؛ فقلت : ما الخبر؟ ألم يأتك المال بالأمس؟! فقال : بلى، فما كان خبرك أمس؟ فأخبرتُه بما كان وقلت : ما تنتظر؟
٢٠ فقال : ارفع السِّجف، فرفعتُه فإذا عشر بِدَر؛ فقلت : فأىّ شىء بقى عليك فى أمر

(١) الزيادة عن الأغانى .

الضيعة ؟ فقال : ويحــك ! ما هو والله إلا أن دخلتْ منزلى حتى شَحَحتُ عليهـا وصارت مثل ماحويتُ قديما . فقلت : سبحان الله! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى أُلقِيَ عليك صوتا صنعتُه يفوق ذاك . فقمت فجلست بين يديه، فألقى علىّ :

ويَفــرَحُ بالمولود من آل بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدى، والسيفُ والرمحُ والنصلُ

وتنبســطُ الآمالُ فيه لفضــله * ولا سيما إن كان والدَه الفضـــلُ ٥

قال مخارق : فلمـا ألقى علىّ الصوتَ سمعتُ ما لم أسمـع مثلَه قطّ وصَغُر فى عينى الأول، فأحكمته . ثم قال : امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بَعْدُ وهو يريد الخلوةَ مع جواريه اليوم؛ فاستأذن عليه وحدِّثه بحديثنا وما كان من أبيه إلينا، وأعلمه أنى صنعتُ هذا الصوت وكان عندى أرفعَ منزلةً من الصوت الأول الذى صنعته بالأمس ، وأنى ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه ووجّهتُ بك قاصدًا ١٠ لِتُلْقِيَه على فلانة جاريتِـه . فصرتُ إلى باب الفضل فوجدتُ الأمر على ماذكر، فاستأذنتُ فوصلت إليه، وسألنى عن الخبر، فأعلمتُه بخبرى وما وصل إلىّ وإليه من المـال ؛ فقال : أخزى الله إبراهيم ! ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له : اِضرب السِّتارةَ، فضربها؛ فقال لى : ألقِه . فلما ألقيته وغنّته الجاريةُ لم أُتِمّه حتى أقبل يجرّ مِطْرَفَه ، ثم قعد على وِسادة دون الســتارة وقال : أحسنَ والله أستاذُك ١٥ وأحسنتَ أنتَ يامخارق . ولم أبرح حتى أحكَمْته الجاريةُ؛ فسُرَّ بذلك سرورا عظيما وقال : أقِم عنــدى اليومَ . فقلت : ياسيِّدى إنمـا بقى لنا يوم واحد ، ولولا أنّنى أُحِبّ سرورَكَ لم أخرج من منزلى . فقال : ياغلام ، اِحمل مع أبى المهنّأ عشرين ألف درهم وإلى أبى إسحـاق مائتى ألف درهم . فانصرفتُ إلى منزلى بالمـال ، وفتحتُ بَدرةً ونثرت منها على الجوارى وشربت وسُرِرتُ أنا ومَنْ عنــدى يومنا . ٢٠ فلمـا أصبحت بكّرت إلى إبراهيم أتعرّف خبره وأعرّفه خبرى، فوجدته على الحال

التى كان عليها أوّلا وآخرا ، فدخلت أترنّم وأُصَفّق . فقال لى : أُدنُ ، فقلت : ما بقى عليك ؟ فقال : اجلس وارفع سَجْفَ هـذا الباب ، فرفعته فإذا عشرون بدرةً مع تلك العشر . فقلت : ماتنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو إلا أن حَصلتْ حتى جرت مَجْـرى ما تقدّم . فقلت : والله ما أظن أحدًا نال من هذه الدولة ٥ مانلتَ ! فلِمَ تبخل على نفسك بشىء تمنيتَه دهرًا وقد ملّكك الله أضعافه ! ثم قال: اجلس نخذ هذا الصوتَ . فألقى علىّ صوتا أنسانى صوتىّ الأوّلين وهو :

أفى كلّ يومٍ أنتَ صَبٌّ وليـلةٍ * إلى أمّ بكرٍ لا تُفيـق فتُقصِرُ
أُحبُّ على الهِجرانِ أكنافَ بيتِها * فيالكَ مِن بيت يُحَبُّ ويُهجَـرُ
إلى جعفرٍ سارتْ بنا كلُّ جَسْرةٍ * طواها سُراهـا نحـوَه والتهجُّرُ
١٠ إلى واسع للمجتـدين فِنَاؤهُ * تروح عطاياه عليهـم وتَبْـكُرُ

ـــ وهو شعر مروان بن أبى حفصة يمدح جعفر [بن يحيى] (١) ـــ قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هـذا قطّ ؟ فقلتُ : ما سمعتُ قط مثـله ! فلم يزل يردّده علىّ حتى أخذته ، ثم قال لى : اِمض إلى جعفر فافعـل به كما فعلتَ بأبيـه وأخيه . قال: فمضيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت ؛ ١٥ فسُرَّبه ودعا خادمًا فأمره أن يضرب السِّـتارةَ ، وأحضر الجاريةَ وقعد على كرسىّ ؛ ثم قال : هاتِ يا مخارقُ ؛ فألقيتُ الصوتَ عليهـا حتى أخذته ؛ فقـال : أحسنتَ يا مخارق وأحسن أُستاذُك ، فهل لك فى المُقَام عندنا اليوم؟ فقلت: يا سيّدى ، هذا آخرُ أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّى حتى ألقيته على الجارية . فقال: ياغلام ، اِحمِل معـه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلىّ ثلثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلى ٢٠ بالمَـال وأقمتُ ومَن عندى مسرورين نشرب طولَ يومنا ونطرَب . ثم بكّرتُ إلى إبراهيم

(١) زيادة عن الأغانى .

(١٣٥) فتلقّانى قائما، ثم قال لى : أحسنتَ يامخارق! فقلتُ : ما الخبر؟ قال : اِجْلِس فجلستُ؛ فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم عليه[1] ثم رفع السَّجف فإذا المـالُ . فقلت : ماخبر الضَّيْعة ؟ فأدخل يده تحت مِسْورة[2] وهو متكئ عليها فقال : هذا صَكُّ الضَّيْعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلىّ : "قد علمتُ أنك لاتسخو نفسُك بشراء هذه الضَّيْعة من مال يحصُل لك ولو حويتَ الدنيا كلَّها ،وقد ٱبتعتها من مالى". ووجّه إلىّ بصكها، وهذا المـال كما ترى . ثم بكى وقال : يا مخارقُ ، إذا عاشرتَ فعاشِرْ مثـلَ هؤلاء ، وإذا خنكرتَ فخَنْكِرْ[3] لمثل هؤلاء ، ستمائة ألف ، وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك ، حَصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه ، متى يُدْرَك مثلُ هؤلاء! .

ورُوِى عنه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوما فقلت له : يا أبا العبّاس ، جُعِلتُ فداك ! هَبْ لى دراهمَ فإن الخليفة قد حبس بِرّه . فقال : ويحك يا أبا إسحاق ، ماعندى ما أرضاه لك . ثم قال : هاه ! إلّا أنّ هاهنا خَصْلةً ، أتانا رسـولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه ، ووجّه [إلينا][4] بخمسين ألف دينار يَشترى لنا بها محبّتنا . فـما فعلتْ ضياءُ جاريتُك ؟ قلت : عندى جعلتُ فِداك . قال : فهوذا ، أقول لهم يَشْترُونها[5] منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبّلتُ رأسه ثم ٱنصرفتُ . فبكّرعلىّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ له ولى ، فقال : جاريتُك فلانة [عندك][6] ؟ قلتُ : عندى . قال : ٱعْرِضها علىّ فعرضتُها عليـه ؛ فقال : بكم ؟ فقلت : بخمسـين ألف دينار ولا أنْقُصُ منها دينارا واحدا ، وقد أعطانى الفضـلُ بن يحيى أمس هذه العطيّةَ ،

(١) فى الأغانى : « فيما أنتم فيه » . (٢) المسورة : الوسادة من الجلد .

(٣) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ١٨٣ طبع دار الكتب المصرية) ومعناها : إذا أردت أن تغنى فغنّ لمثل هؤلاء . وفى الأصل : « وإذا احتكرت فاحتكر » وهو تحريف . (٤) الزيادة عن الأغانى . (٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « حتى يشترونها » . (٦) الزيادة عن الأغانى .

فقال : هل لك فى ثلاثين ألف دينار مُسَلَّمة؟ وكان مشترى الجارية أربعمائة دينار،
فلما وقع فى أُذُنى ذكْرُ ثلاثين ألف دينار أُرْتِجَ علىّ ولَحِقنى زَمَعٌ[(١)]، وأشار علىّ صديق
الذى معه بالبيع ،وخِفْت والله أن يَحْدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بالفضل بن يحيى[(٢)]،
فسلّمتُها وأخذتُ المـال . ثم بكّرت على الفضل، فإذا هو جالسٌ وحده . فلما نظر
٥ إلىّ ضَحِك وقال لى : ياضيّق العَطَن والحَوْصلة، حَرَمْتَ نفسَك عشرين ألف دينار.
فقلت له : جُعِلتُ فِداك ، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخلنى شىء أَعْجِزعن وصـفه
وخِفتُ أن تحدُث بى حادثةٌ أو بالجارية أو بالمشترى أو بك أعاذك الله من كل سوء،
فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار. فقال : لاضَيْر، ياغلام جئْ بجاريته، فجىء بها،
فقال : خُذْ بيدها وٱنصرف بارك الله لك فيها، ما أردنا إلّا منفعتك ولم نُرِد الجَارِيةَ.
١٠ فلمـا نهضتُ قال لى : مكانَك، إن رسول صاحب أَرْمينية قد جاءنا فقضينا
حوائجه ونَفَّذْنا كُتُبَه ،وقد ذكر أنه قد جاء بثلاثين ألف دينار يشترى لنا بها ما نُحِبّ،
فاعْرِض عليــه جاريَتك هــذه ولا تَنْقُصْها من ثلاثين ألف دينار؛ فٱنصرفتُ
بالجارية. وبكّر علىّ رسولُ صاحب أَرْمينية ومعه صديقٌ لى آخَرُ، فقاولنى بالجارية؛
فقلت : لن أنقصها من ثلاثين ألف دينـار . فقال لى : معى عشرون ألف دينار
١٥ مُسَلّمَــة خذها بارك الله لك فيها . فدَخَلنى والله مثـلُ الذى دخلنى فى المرّة الأولى
وخِفتُ مثلَ خوفى الأوّل، فسلّمتُها وأخذت المـال. وبكّرتُ على الفضل، فإذا هو
وحده. فلما رآنى ضحك وضرب برجله ثم قال : ويحك، حَرَمْتَ نفسَك عشرةَ آلاف
دينار . فقلتُ : أصلحك الله، خِفْت والله مثلَ ما خِفْتُ فى المرّة الأولى . فقال :
لا ضيرَ، [أَخرِجْ][(٣)] يا غلام جاريتَه فجىء بها؛ فقال : خُذْها، ما أردناها وما أردنا إلا

٢٠ (١) كذا فى الأغانى . والزمع : شبه الرعدة تأخذ الانسان . وفى الأصل : «جزع» .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «أن يحدث بالجارية حدث أو فى أمر الفضل» .
(٣) الزيادة عن الأغانى .

منفعتك . فلما ولّت الجارية صحْتُ بها : ارْجعى فرجَعتْ ؛ فقلت : أُشْهِدكَ جُعِلتُ فداكَ هى حرّة لوجه الله تعالى ، وإنى قد تزوّجتُها على عشرة آلاف درهم ، كسبَتْ لى فى يومين خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا . فقال : وُفّقت إن شاء الله تعالى .

وأخبارُه مع البرامكة كثيرةٌ وصِلاتُهم له وافرةٌ . وقد ذكرنا منها ما فيه غُنْيةٌ عن زيادة . فلْنذكر وفاةَ إبراهيم . كانت وفاتُه ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات فى يوم وفاته العباسُ بن الأحنف الشاعر ، وهُشَيْمةُ الخمّارة ؛ فرُفِع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمونَ أن يصلّى عليهم ، فخرج وصلّى عليهم .

قال إسحاق : لمّا مَرِض إبراهيم مرضَ موْته ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعودُه وهو جالس فى الأَبْزَن[1] ، فقال له : كيف أنتَ يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيّدى كما قال الشاعر :

سَقِيمٌ ملَّ منه أقْرَبوه * وأسْلَمه المُداوِى والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله ! فخرج ، فما بَعُدَ حتى سَمِعَ الواعيةَ[2] عليه .

(١) الأبزن مثلثة الأول : حوض يغتسل فيه ، وقد يتخذ من نحاس ، معرب آب زن .

(٢) الواعية : الصراخ على الميت ونعيه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع فى أحد الأصلين الفتوغرافيين :

هـذا آخر الجزء الرابع من نهـاية الأرب فى فنون الأدب . والحمد لله وحده، وصلى الله على سـيّدنا محمد وآله وصحبه وسـلم؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٥ صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع فى الأصل الآخر الفتوغرافى :

كمل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرىّ التيمىّ القرشىّ المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

تمّ الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب،

١٠ يتلوه إن شاء الله تعـالى الجـزء الخامس وأوّله

ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ

(مطبعة الدار ٦٢/١٩٣٣/٥٠٠)

